



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف - المسيلة -

الرقم التسلسلي :

كلية الآداب و اللغات .

رقم التسجيل : 014/م د ل/2014

قسم اللغة والأدب العربي .

ثنائية الاتساق والانسجام في النص القرآني سورة المائدة أمودجا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

الميدان : لغة وأدب عربي - الشعبة : دراسات لغوية - التخصص : لسانيات عامة

لجنة الماقشة :

إعداد الطالبة :

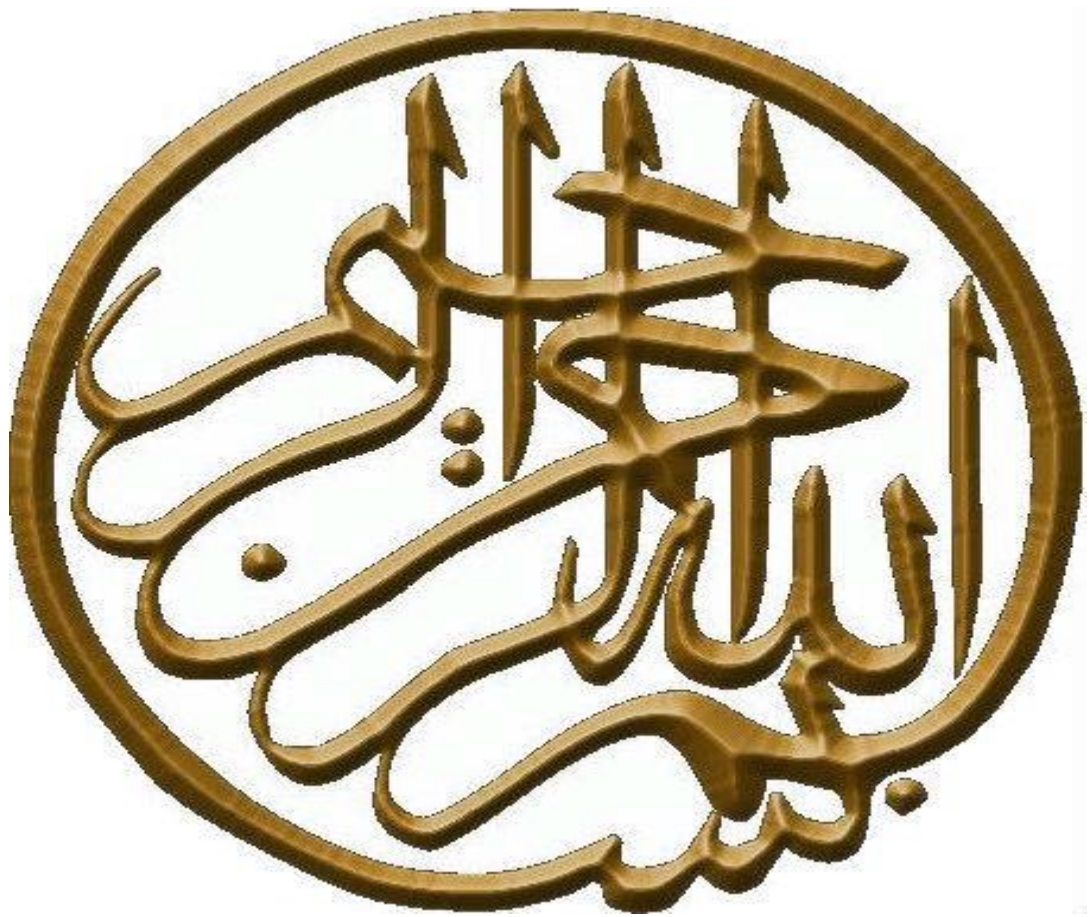
د. سليمان بوراس مشرفا

سالمة سويدي

د. ظاهر لحواو رئيسا

د. سمير براهيم مناقشا

السنة الجامعية : 2015 // 2016





شكر وعرفان

عرفانا بالجميل لكل يد رحمة أمدت لي يد العون وأحاطتني بالثقة
فكانت السند الحقيقي لي في إنجاز ثمره عملي
أحمد الله تعالى وأرفع بعد حمده أسمى عرفاني إلى من عبّد الطريق أمامي
وكان نعم الأب ونعم المعين
إلى الأستاذ المشرف
الدكتور : سليمان بوراس
كما أتقدم بالشكر إلى من حول الأوراق المبعثرة
مذكرة منظمة طاقم مكتبة المنهل

سألمة



أفكار

أهدي ثمرة جهدي ودليل سفري إلى الحب الذي أهواه
والقلب الذي أعشق دنياه إلى الشمس التي تشرق في أفقي
إلى الحاضر التي تبسم شفثاه ، إلى التي تذوب لكي نجيا ونذوق
من العمر هناءه ، إلى بحار من خير والبحر تدوم عطاياه
إلى حبي وعمري إلى بهجة قلبي ومناه إلى

أمي

إلى الذي لم يشهد هذا اليوم ولا فرحة نجاحي ولا ابتسامه شفتي
إلى روح أبي أسكنه المولى الفردوس الأعلى
إلى الورود في فقر الزمان إلى سندي في الحياة إلى رفيقي الدرب
ومصدرا ثباتي وإقدامي قمتا النبل وآيتنا العطاء أخواني

مصطفى وحسن

إلى وحيدة قلبي وريحانة فؤادي ومؤنستي إلى أجمل زهرة
في حياتي إلى ارتسامه البسمة أختي

فاطمة الزهراء

إلى مصدر البهجة وبرعم السعادة في المنزل وثمرته الأولى

سامي عبد الرزاق

إلى زوجة أخي الغالية أم سامي

مريم

سالمه

الفتنة

إلى أطفال حلب
إلى نساءها ورجالها
إلى حاراتها والشوارع
إلى كل نسمة هواء فيها

سأله



تعد اللغة أداة اتصال بين البشر تحقق غرض التبليغ والتواصل، ولذلك كانت محل دراسة وعناية وتحليل، من أجل كشف أسرارها وسبر أغوارها ومعرفة مكنونها، فحظيت بنصيب وافر من الاهتمام من المتخصصين في هذا المجال منذ القدم، وقد كانت الجملة في بداية هذا الدرس اللساني، مركز الاهتمام، واعتبرت الوحدة الأساسية للدراسة خصوصا عند أصحاب النظريات اللسانية، لكن الاهتمام الشديد باللغة والتطور الحاصل في جميع العلوم أحدث قفزة نوعية في هذا الجانب، ونقل محورية البحث اللساني إلى درجة أعلى مما كان عليه خصوصا قبل أربعة عقود من الزمن تقريبا، فتجاوز محورية الجملة في الدراسة لما شملته هذه الأخيرة من نقائص، إذ لا يمكن دراسة المعنى منفصلا عن سياقه اللساني المتمثل في البنية اللغوية الكبرى "النص".

ومن هذا المنطلق نشأ علم جديد يهتم بدراسة النصوص وتحليلها وهو ما يعرف اليوم بـ "لسانيات النص" هذا العلم الذي يبحث في تماسك النصوص وتعالقها حتى يكون وحدة كلية تؤدي أغراضا معينة في مقامات تبليغية محددة.

وقد احتل موضوع الدراسات النصية موقعا مركزيا في الدراسات اللغوية المعاصرة انطلاقا من مبدأ أن لسانيات النص مدخل مهم لانسجام وتماسك النصوص.

وقد تميز هذا العلم بحدائته، وتنوع موضوعاته، فتعددت المدارس اللسانية النصية وظهرت العديد من المصطلحات الخاصة به، ومن أهم المفاهيم التي عنيت بها لسانيات النص مفهوما: الاتساق والانسجام اللذان يحتلان موقعا مركزيا في الأبحاث والدراسات التي تتدرج في مجال هذا العلم إذ هما من أهم المسائل التي تطرحها لسانيات ما بعد الجملة ومن أهم القضايا التي لقيت اهتماما كبيرا من علماء العرب والمسلمين في دراستهم للنص القرآني أو النصوص الأدبية، وشغلت كذلك المستشرقين حتى إن من بينهم من قال إن القرآن الكريم غير منسجم، ويفتقد للأسس النصية، ومنهم المستشرق "مونتيه" الذي ما انفك يتكلم عن القرآن الكريم، ويهاجمه فعلى سبيل المثال حديث له عن سورة المائدة إذ يذهب به القول إلى تعارض محاورها، فجاءت بذلك أسباب اختياري لهذا الموضوع وكانت بين ذاتية

وموضوعية ، فأما الذاتية فرغبتني الملحة في التعرف أكثر على هذا العلم الجديد، و أما الموضوعية فأملني أن أطبق ما جاء به هذا العلم على سورة قرآنية تعبر عن قضية كبرى ودفاعا عما قيل عنها وهي سورة المائدة، وذلك بالبحث في اتساقها قصد الوصول إلى الهدف الأخير وهو انسجامها الدلالي، وتجسيدها لهذا الغرض اخترت لهذا البحث عنوان " ثنائية الاتساق والانسجام في النصّ القرآني " سورة المائدة أنموذجا .

وقد انطلقت من إشكالية تتمثل في نقطة هي: كيف يمكن أن نرد قول من قال إن سورة المائدة غير منسجمة ولا متسقة؟

واندرجت تحتها اسئلة جزئية منها:

_ ما النصّ وما حدوده؟

_ ما هي أبرز الجهود العربية الإسلامية التي أسهمت في مجال الدراسة النصّية؟

_ وهل بإمكان كلّ من امتلك أدواتهما أن ينزلهما من الإطار النظري إلى محك التجربة التطبيقية على النصّ القرآني للكشف عن تماسكه؟

_ وما هي أشكال اتساق سورة المائدة وانسجامها، خصوصا إذا علمنا أن هذه السورة تحوي العديد من المحاور؟

مما سبق ذكره ، اقتضت الإجابة ثلاثة فصول وخاتمة بعد هذه المقدمة ، فقد تضمن

الفصل الأول – لسانيات النصّ التشكل والمفهوم – وفيه حديث عن النصّ ولسانيات النصّ والدراسات النصّية: فنعرض في بدايته عرضا سريعا للمسار الانتقالي للدراسة اللسانية من الجملة إلى النصّ، وبعدها يتم تحديد مفهوم النصّ ولسانيات النصّ وأهدافها، وكذا القدماء وجهودهم في الدراسات النصّية .

أمّا **الفصل الثاني: فسيأتي موسوما بـ " الاتساق وتجلياته في سورة المائدة "** أحدد من خلاله مفهوم الاتساق و أدواته، وأهم هذه الأدوات التي أسهمت في الترابط الشكلي للسورة وفيها أتعرض للإحالة ودورها في تحقيق الاتساق كما أتناول بالدراسة والتطبيق العطف والحذف والتكرار بعدها وسائل اتساق شكلية ظاهرة في سطح النصّ.

والفصل الثالث، وهو بعنوان " الانسجام وتجلياته في سورة المائدة " وفيه يتم تحديد مفهوم الانسجام وآلياته وذكر أهم الآراء في تصنيف آليات الانسجام إذ يأتي السياق في أولها لما له من دور كبير في رصد الترابط الدلالي للنصوص، بالإضافة إلى تحديد أنواع السياق في القرآن الكريم، وتحديدًا في سورة المائدة، ودوره في إبراز الترابط الدلالي للسورة، ثم يتم الحديث عن بنية الخطاب و دور المتلقي في الحكم على انسجام النصوص بالإضافة إلى ذكر خصائص البنية الخطابية ودورها في كشف انسجام السورة، وبعدها يتم التطرق لآلية التكريس التي بها تكشف العلاقة الخفية بين عنوان السورة ومضمونها وخصص آخر هذا الفصل لأداة من أدوات الانسجام، وهي على درجة كبيرة من الأهمية لما تحققه من تماسك دلالي للسورة وهي " المناسبة " إلا أن طبيعة النصوص المعروضة على محك التجربة عند علماء لسانيات النص، أدى إلى عدم ذكرها، وقد نالت هذه الأداة الاهتمام الكبير من طرف العلماء العرب أمثال " البقاعي " و " السيوطي " .

وفي الأخير، وبعد البحث في هذا الموضوع، قدمت أهم النتائج التي تم الوصول إليها في خاتمة هذا البحث .

ولما يتطلبه البحث من منهج يسير عليه، ويسدد خطواته، اتبعت في ذلك المنهج الوصفي التحليلي والذي فرضته طبيعة المدونة، وطبيعة الموضوع، إذ من خلاله يمكن وصف الظاهرة اللغوية ووسائلها المختلفة، وتحليلها، وهذا المنهج سمح بتتبع عناصر البحث عن طريق تعقب ما فيه من مفاهيم مختلفة لضبطها ثم عرضها على محك التجربة وتحليلها وقد واجهت بعض الصعوبات كأني طالب، إلا أن أهم ما واجه هذا البحث من حواجز هو قلة المصادر والمراجع المتعلقة بلسانيات النص، كون هذا العلم ما زال في طور التنظير .

وقد اعتمدت الدراسة على عدد من المصادر والمراجع العربية والغربية، وذلك في الميادين المتصلة بموضوع البحث، فكان منها " النص والخطاب والإجراء " لـ " روبرت دي بوجراند "، و " تحليل الخطاب " لـ " براون و يول " وغيرها من المراجع الغربية .

أما الدراسات العربية، فمنها دراسات " محمد خطابي: " لسانيات النص " وسعيد بحيري،
صبحي إبراهيم الفقي، والأزهر الزناد .

وإذا كان هذا البحث قد تمَّ بعد جهد فإنَّ الفضل في إنجازه يعود بعد الله سبحانه تعالى
إلى ما لاقاني به أستاذي المشرف " الدكتور " سليمان بوراس " من رحابة صدر وسديد رأي
،وكريم بذل وتوجيه قيّم، فقد كان لي خير أستاذ وخير مشرف وخير قدوة، فهو الذي أنار لي
طريق البحث بنصائحه القيّمة وتشجيعاته المتواصلة، والتي كنت في أمس الحاجة إليها في
أصعب اللحظات فكان لي نعم الموجه ، فله مني خالص الشكر والعرفان .

كما لا أنسى فضل أي أستاذ لما لاقيته منهم من احترام كبير وعطاء واسع مديد، فلهم
مني جزيل الشكر والعرفان.

وأخيرا أسأل الله أن يوفقنا إلى ما فيه الخير والسداد ويجعل هذا البحث خالصا لوجهه
الكريم.

مفاهيم لسان سية

الفصل الأول



1 - من الجملة إلى النص :

حظيت اللغة بنصيب وافر من الدراسات ، كونها من أهم وسائل الاتصال ، إذ بها يعبر كل قوم عن أغراضهم " كما ذهب إلى ذلك ابن جني¹ ، واعتمدت دراسات التراكيب اللغوية جميعها على وجه التقريب منذ نشأتها في العصور السحيقة على مفهوم الجملة دون غيره² ، وكانت بذلك الجملة الوحدة اللغوية الكبرى للدراسة، حيث اجتهد الباحثون منذ "أفلاطون" (ت : 347 ق.م) حتى عصرنا الحاضر على اختلاف منازعهم ومناهجهم في تحديد مفهوم الجملة، فقدموا لنا عددا ضخما من التعريفات أرى على ثلاثمائة تعريف³، وهذا العدد الكبير من تعريفاتها يبرز لنا صعوبة تحديد مفهومها مما أعاقهم عن التوصل إلى تعريف جامع مانع لها ، وهذا ما هو ظاهر لدى نحائنا ، إذ نجدهم في دراستهم يستعملون مصطلحات كثيرة ومتشابهة كمصطلح الجملة والكلام ، إذ نميز بين اتجاهين في تعريفهم للجملة ، أحدهما يرى بأن الجملة هي الكلام والآخر يراها هي الكلام .

فالاتجاه الأول : يمثل " ابن جني " (ت : 392 هـ) وعبد القاهر الجرجاني

(ت : 471 هـ) ، والزمخشري (ت : 538 هـ) .

" فابن جني " : يعرف الكلام بأنه « كل لفظ مستقل بنفسه مفيد بمعناه وهو الذي

يسميه النحويون الجمل »⁴ .

وفي مقابل ذلك يرى بأن « الكلام جنس للجمل التوأم : مفردا ومثناها ومجموعها ،

كما أن القيام جنس للقوامات : مفردا ومثناها ومجموعها ، فنظير القومة الواحدة من القيام

الجملة الواحدة من الكلام »⁵ ، ويقول أيضا في كتابه اللّمع : « وأما الجملة فهي كل كلام

مفيد مستقل بنفسه »⁶ . فهو يسوي في ذلك بين الجملة والكلام.

¹ أبو الفتح عثمان ابن جني ، الخصائص ، تح : محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ، ج 1 ، ص : 33

² روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، تر : تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 1 ، 1998 ، ص : 88

³ محمود أحمد نحلة ، مدخل إلى دراسة الجملة العربية ، دار النهضة العربية ، بيروت (د،ط) ، 1988 ص : 11

⁴ ابن جني ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص : 17

⁵ ابن جني ، المرجع السابق ، ص : 27

⁶ ابن جني ، اللّمع في العربية ، تح : حسين محمود شرف ، عالم الكتب ، بيروت ، ط 2 ، 1979 م ، ص : 110

وإذا ذهبنا إلى " عبد القاهر الجرجاني " (ت : 471 هـ) نجده هو أيضا يسوي بين مطلق الجملة والكلام ، إذ يقول : « اعلم أن الواحد من الاسم والفعل والحرف ، يسمى كلمة ، فإذا ائتلف منها اثنان فأفادا ، نحو " خرج زيد " ، سمي كلاما وسمي جملة »¹ .
 والزمخشري (ت : 538 هـ) ، حيث يقول : « والكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداها إلى الأخرى ، وذلك لا يأتي إلا اسمين كقولك : " زيد أخوك " و " بشر صاحبك " أو فعل واسم نحو قولك : " ضرب زيد " و " انطلق بكر " ويسمي الجملة »² .
 أما الاتجاه الثاني فهو الذي يفرق بين المصطلحين ، فهذا " الرضى الاسترياضي " (ت : 686 هـ) يقول : « والفرق بين الجملة و الكلام أن الجملة ما تضمن الإسناد الأصلي سواء كانت مقصودة لذاتها أو لا ... والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصودا لذاته ... »³ .

ويتفق " ابن هشام " (ت : 761 هـ) مع " الرضى " في ذلك ويزيد الأمر وضوحا بقوله : « الكلام هو القول المفيد بالقصد ... والجملة عبارة عن الفعل وفاعله ... والمبتدأ وخبره ... وما كان بمنزلة أحدهما ... وبهذا يظهر لك أنّهما ليسا مترادفين ، كما توهمه كثير من الناس »⁴ فقد كان مصب اهتمام نحائنا حول الجملة وحدودها والفرق بينها وبين الكلام وغيرها من الدراسات التي تحوم حولها .

وانطلاق النحو العربي من نحو الجملة ، وانحصار التحليلات النحوية في هذا المجال ، لا يعد قصورا ، وإنما هو راجع إلى الأسباب التي من أجلها تم القيام بتقعيد اللغة ، إذ أن تقويم اللسان في نطق الجملة نطقا صحيحا يعد أهم هذه الأسباب ، مما يحتم على النحاة الاهتمام بالقواعد التي تضمن نطق الجملة نطقا يبتعد عن اللحن في العربية ، وكان النحو أحد هذه الأعمال ، بدأ أول ما بدأ بضبط أواخر الكلم في الآيات بالنقط الذي توصل إليه

¹ عبد القاهر الجرجاني ، الجمل ، تح : علي حيدر ، دمشق ، 1972 م ، ص : 40

² ابن علي بن يعيش ، شرح المفصل ، ادارة الطباعة المنيرية ، (د ، ط) ، (د ، ت) ، ص : 18

³ رضى الدين الاسترياضي ، شرح كافية ابن الحاجب ، تح : حسن محمد ابراهيم الحفيظي ، ص : 18

⁴ جمال الدين بن هشام الأنصاري ، معني اللبيب عن كتب الأعراب ، تح : مازن المبارك ، دار الفكر ، دمشق ، ط 1 ،

أبو الأسود الدؤلي (ت : 69 هـ) عند منتصف القرن الأول للهجرة ، لكن الدرس النحوي أخذ يستقل تدريجيا ، واتسع موضوعه وهدفه ووجد له باحثون أرادوا إلى أن تكون اللغة كلها مجال لهذا الدرس الجديد ، وطفقوا يدرسون النحو لذاته .¹

والواقع أن موقف البلاغيين كان غير موقف النحاة؛ فقد انطلقت مباحث عديدة في علم البلاغة من منطلق المعالجة النصية مثل الإيجاز والفصل والوصل وغيرهما . بل نظرية النظم نفسها أكدت التضام والاتساق بين الكلمة الأولى والثانية والثالثة ... إلى نهاية المعنى المراد² ، وكذلك الدراسات التي قام بها المفسرون في دراساتهم للنص القرآني ، وهذا ما سنلاحظه لاحقا .

ولم يكن الاهتمام بنحو الجملة فقط من قبل النحويين العرب، بل كان محور اهتمام المدارس الوصفية والتحويلية والتوليدية قبل السبعينيات من القرن الماضي³ . وكانت هناك اختلافات متعددة في تعريف الجملة.

_ تعريف الجملة:

فهي «عبارة عن فكرة تامة»⁴، كما يقول (إيفنش Ifnech) أو « تتابع من عناصر القول ينتهي بسكته »⁵، كما يذهب إلى ذلك (جون لاينز J.Lyons).

وفي تعريف آخر «هي نمط تركيبى ذو مكونات شكلية خاصة»⁶، فمما نلاحظه من التعريفات هذه أنها مختلفة عن بعضها في الحكم على جملة الجملة فيعتمد بعضها على الجانب الشكلي المحض، وبعضها يركز على الجانب الدلالي وثالث يعتمد المزج بين الدلالة والشكل.

¹ مهدي المخزومي ، في النحو العربي نقد وتوجيه ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ط2 ، 1986 ، ص : 13

² ينظر : صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، ص : 11.

³ المرجع نفسه ، ص : 3

⁴ روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 88.

⁵ المرجع نفسه، ص: 88.

⁶ المرجع نفسه، ص: 88.

غير أن معظم التعريفات تؤكد من خلال مفهومها استقلالية الجملة، ويتأكد هذا في نحو الجملة، حيث يقتصر على دراستها منزوعة من سياقها¹. وفي هذا الإطار يميز "جون لوينز" بين ما أطلق عليه بـ جملة - نظام وجملة- نصية.

جملة- نظام (System-Sentence) عنده بعض شكل الجملة المجرد الذي يولد جميع الجمل الممكنة والمقبولة في نحو لغة ما². وهذا يجعل من الجملة أكثر استقلالية. و**جملة- نصية (Texte-Sentence)** وهي الجملة المنجزة فعلا في المقام³. وهي تتسم بالتواصل مع جملة أخرى حيث يحتويها نص ما... وهذا النوع من الجمل لا يفهم إلا بإدماجه في نظام الجمل⁴.

وهذا التقسيم الثنائي هو الذي أدى بـ: "جون لاينز" (J.Lyons) إلى تعريف الجملة كما سبق، بأنها الوحدة الكبرى للوصف اللغوي، وربما هذا ما جعل علماء تحليل الخطاب أمثال "ج.ب. براون" (G.Brow) ر.ج بول يعتمدان النوع الثاني من تقسيم "ليونز" بقولهما: « سنستعمل مصطلح " الجملة" عامة بمعنى " الجملة النصية" لا بمعنى الجملة " النظامية»⁵ ، وهذا في كتابهما تحليل الخطاب .

فالتعريفات السابقة للجملة التي جاء بها النحاة واللغويون العرب والدارسون الغربيون كلها تشترك في اعتبار الجملة محور الدرس اللغوي، والوحدة اللغوية الأساسية المستقلة بذاتها المغنية عن غيرها، فهي دون غيرها الممثل الوحيد للغة .

وقد ظلت ردحا من الزمان باعتبارها موضوعا للدرس اللغوي فبينت مكوناتها ومختلف القواعد التي تحكمها، وعلى ذلك قامت النظريات النحوية والاتجاهات اللسانية

¹ أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرف، القاهرة، ط1، 2001م، ص:18.

² الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث فيما يكون به اللفظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993م، ص:14.

³ المرجع نفسه ، ص:14.

⁴ أحمد عفيفي، المرجع السابق، ص:19.

⁵ بربون ويول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الرباطي ومنير التركي، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، (د.ط)،

1417هـ-1997م، ص:24.

المختلفة والمتعاقبة، فالجملة بنية قارة في الكلام، وقرارها هذا جعل النظريات التي اشتغلت بوصفها وتقنياتها، متينة متانة نسبية، ونسبتها متأتية من طبيعة الكلام نفسه¹.

ونتيجة بعض العيوب التي وقع فيها نحو الجملة « كالأصرار على استقلال النحو عن الموقف الاتصالي، وإخضاع الجمل الطويلة المركبة لمجموعة ثابتة من التراكيب اللغوية البسيطة»²، بالإضافة إلى حدوث نوع من التطور العلمي في أوروبا خلال القرن التاسع عشر، حيث نجد أن الباحثين قد اتجهوا في هذه الفترة إلى دراسة النص الأدبي وضبط قوانينه ضبطا موضوعيا علميا بعيدا عن الذاتية والانطباعية من أجل الوصول إلى نتائج أقرب، ما تكون إلى الدقة .

وتطلب هذا الاتجاه الجديد من الدارسين بأن يتجاوزوا حدود الجملة إلى التراكيب أو الوحدات الأكبر من الجملة³، وهذا قادهم إلى ذلك الحواجز التي أقيمت بين علم النحو وعلم البلاغة، بل وعلم النقد وعلم الشعر أيضا... بإغناء النظر وإقرار بأن كثيرا من مسائل التفكير في اللغة وقضايا التعيد لاستعمالاتها لا يستقيم إلا بالاحتكام فيها إلى أحوال الكلام بمختلف مظاهره⁴ ، فحدث بذلك تداخل معرفي بين أكثر من علم قصد الخروج في النهاية بقواعد معرفية تتخذ من النص موضوعا لها دون إهمال الجملة .

وفي هذا الصدد يشير أكثر من باحث إلى أن بداية البحث في النص - بشكل عام - ترجع إلى رسالة " y.nye " وهي باحثة أمريكية قدمت أطروحتها للدكتوراه سنة (1912م)،

¹ الأزهر الزناد، نسيح النص، ص:14.

² فولفجانج هانيه من و ديترفيهيجر، مدخل الى علم اللغة النصي، تر: صالح فاتح الشايب، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، (د.ط)، 1997م، ص:18.

³ علي عزت، الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، شركة أبو الهول للنشر، القاهرة، ط01، 1996م، ص:47.

⁴ الأزهر الزناد، المرجع السابق، ص: 05.

والتي بحثت فيها علامات الاكتمال، وهي حجة نمطية في علم لغة النص، والتكرار بناء على أسس نصية، وبوصفها إشارات وأشكال محددة للعلاقات¹.

وقد ظهرت بعد هذه الفترة أيضا بعض النداءات من طرف لغويين عرب للانتقال من دراسة الجملة إلى الفقرة الأدبية، ثم إلى النص بصفة عامة، حيث دعا " أمين الخولي" في أواخر الثلاثينات من القرن الماضي إلى مجاوزة البحث البلاغي من مستوى الجملة إلى الفقرة والنص²، وهي دعوة جد مهمة وجد قيمة، إذ كانت حرية- إذا وجدت من يتابعها من اللسانيين والبلاغيين- أن تحدث ثورة في الدرس اللساني والبلاغي في العربية تنقله من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص، لكن هذه الثورة لم تحدث على أيدي عربية بل حدثت وبدأت ثوراتها واتجاهها في الغرب عن طريق " التحول الأساس الذي أخرج اللسانيات نهائيا من مأزق الدراسات البنيوية التركيبية التي عجزت في الربط بين مختلف أبعاد الظاهرة اللغوية: البنيوي، الدلالي، والتداولي"³، وذلك حين نشر " زليغ هاريس" بحثا بعنوان: " تحليل الخطاب" (Discourse Analysis) عام، 1952 إذ أنه بهذه الدراسة لم يكن أول لساني حديث يعتبر الخطاب موضوعا شرعيا للدرس اللساني فحسب، بل إنه جاوز ذلك إلى تحقيق قضاياها التي ضمّنها برامجه بتقديم أول تحليل منهجي لنصوص بعينها، وقد خرج بذلك على تقليد أرساه " بلومفيد" يقضي بأن التعبير اللغوي المستقل بالإفادة أو الجمل هو مادة اللساني، أما النص فليس إلا مظهرا من مظاهر الاستعمال اللغوي غير قابل للتحديد⁴.

وفي هذا الصدد يقول " هاريس" Harris: « إن اللغة لا تأتي على شكل كلمات أو جمل مفردة، بل في نص متماسك »⁵، فحاول بذلك الوصول إلى وصف بنيوي للنصوص لا

¹ أنظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية لونجمان، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1997م، ص: 18-290.

² أمين الخولي، فن القول، ص: 187، نقلا عن: جميل عبد الحميد، بلاغة النص، دار غريب، القاهرة، 5د.ط-، 1999م، ص: 13.

³ خولة طالب إبراهيم، مبادئ في اللسانيات، دار القصعة للنشر، حيدرة، 5د.ط، 2000م، ص: 167.

⁴ سعيد حسن بحيري، علم لغة المفاهيم والاتجاهات، ص: 18-19.

⁵ فولفجانج هانبيه من و ديترفيهيغر ، مدخل إلى علم اللغة النصي، ص: 21.

يُفقد عند حدود الجملة، ولكي يتحقق هذا الهدف، رأى " هاريس " أنه لا بد من تجاوز مشكلتين وقعت فيهما الدراسات اللغوية (الوصفية والسلوكية)، وهما:

الأولى: قصر الدراسات على الجملة والعلاقات فيما بين أجزاء الجملة الواحدة.

الثانية: الفصل بين اللغة والموقف الاجتماعي.

فهو اعتمد في منهجه في تحليل الخطاب على ركيزتين:

✓ علاقات توزيعية بين الجمل.

✓ الربط بين اللغة والموقف الاجتماعي¹.

وبعد هذه الفترة تنبه بعض اللسانيين إلى المشكلة التي طرحها " هاريس " خصوصا فيما يتعلق بالعلاقات التوزيعية بين الجمل ومشكلة الربط بين اللغة والموقف الاجتماعي والتي في مجملها تنادي بضرورة مجاوزة محور الجملة في الدراسات اللسانية إلى النص . وقد عُرف هذا الاتجاه بـ " لسانيات النص " وهو الاتجاه الذي يتخذ النص كوحدة للتحليل. وبهذا أحدثت أكبر نقلة في اللسانيات، نقلة أبسط ما يقال عنها أنها كشفت عن ضيق شديد في الدراسات التي اعتمدت على الجملة، واعتبرتها الوحدة اللغوية الكبرى خاصة في الدراسات الأدبية، وهذا ليس نبذا للنموذج القديم وإحلال آخر جديد²، بل الانتقال من الدرس القديم للوصول إلى موضوعنا اللساني الحديث- لسانيات النص- فهذا الأخير تكلمة واستمرار للأول .

ولقد أخذت ملامح هذا العلم تتبلور منذ الستينات تقريبا، وازدادت وضوحا خلال السبعينات من القرن الماضي، فقد استطاع " دي بوجراند " أن يستعرض المسار التاريخي للسانيات النص في هذه الفترة وقبلها حيث قسمها إلى ثلاث مراحل يقول: « ففي المرحلة الأولى التي استمرت حتى آخر الستينات، لا تجد غير إشارات تلمح إلى أنه ينبغي للنص أو الخطاب أن يكون أساسا للدراسات اللسانية، مثلا: " انجاردين " 1939، و " هيلمسليف "

¹ جميل عبد الحميد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د.ط)،.

1998م، ص: 68

² فولفجانج هانيه من و دبترفيهيجر ، مدخل إلى علم لغة النص، ص: 19.

1943 و" هاريس" 1952... و" هارتمان" 1964¹، و" فيانرش" 1966 الذي حرص على أن يقدم نهجا جديدا في معالجة النص²، وعدّ منهج تجزئة النصّ منهجا بديلا للمنهج المعروف والمستخدم باستمرار في كلّ مراحل الدراسة اللغوية في تحليل الجملة³.

لكن هذه الآراء لم تؤثر في مسيرة اللسانيات المألوفة، لأن أصحاب المناهج المتداولة اتجهوا اتجاها معاكسا... ذلك أن الانهماك في النظر إلى الوحدات الصغرى والجمال المفردة⁴، لم يتح الفرصة للاهتمام مباشرة بدراسة النصّ الكامل .

وفي المرحلة الثانية 1968 تلاقت آراء طائفة من اللسانيين الذين استقل بعضهم عن بعض في الغالب حول فكرة " لسانيات ما وراء الجملة"⁵، منهم على سبيل المثال:
- " إيزنبرغ" Isenperg الذي اعتنى بالبحث في العوامل المتحكمة في اختبارات صاحب النصّ⁶.

- و" هارفيج" Harveg الذي قدم نموذج استبدال، تتحرك فيه عناصر الاستبدال على المستوى الأفقي وغلب عليه إدراك النصّ إدراكا وظيفيا، ثم أدخل فيما بعد جوانب نصية كبرى للوصول إلى العلاقات الدلالية- التداولية⁷، والتي تشكل بناء النصّ .
و" فان دايك" الذي قدم عدة نماذج نصية، ونظرات مختلفة حول دراسة النصّ ووصفها وتفسيرها⁸، وقد حاول " فان دايك" مرارا تعديل نماذجه قصد استيعاب عدد أكبر من النصوص.

¹ روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص:65.

² سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص: 191.

³ المرجع نفسه، ص:194.

⁴ روبرت دي بوجراند، المرجع السابق ، ص:65.

⁵ المرجع نفسه، ص:65.

⁶ ابراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 1426هـ-2007م، ص:187.

⁷ سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص:94.

⁸ المرجع نفسه، ص:94.

وفي العموم فقد تركز الانتباه في هذه المرحلة على موضوعات كان الكلام عنها ممكنا بواسطة مفردات من لسانيات الجملة، لكن دون الوصول إلى حلول مقنعة، وكان الاتجاه السائد كما يقول " دي بوجراند": « هو النظر إلى النص من حيث هو جمل متوالية»¹، ولم توضح لنا هذه المرحلة إلا جزءا من مجموعة المميزات المهمة للنص.

وكانت سنة 1972 بشيرا بمرحلة جديدة من البحث في اتجاه نظريات بديلة مما سبقها في حقل اللسانيات²، أكثر مما هي مراجعة للقديم .

وجاءت الدراسات الجديدة نقدا لأسس الدراسات النحوية المبنية على الجملة، فأدت إلى مقترحات بأفكار جديدة جاء بها " يتوفي petovi"³، الذي قدم محاولات جدية وثرية، ولها ولها سمات خاصة، وقد اتسمت نظريته بالتوسع والتي استقرأ عناصرها من المنطق والنحو التحويلي ومكونات أخرى دلالية وتداولية⁴، والتي انتقل بها من محورية الجملة في الدراسة إلى اعتماد النص، وكانت محاولاته قفزة هامة للتحول للسانيات النصية.

وفي هذه المرحلة ظهر أيضا " دويسلر" و " شميدت" 1973 و " هارتمان" 1975، دون أن ننسى العمل الكبير الذي قام به "هاليداي Haliday" و"رقية حسن" سنة 1973 والموسوم بـ " الاتساق في الإنجليزية Cohésion in english" والذي يعد بحق إحدى الدراسات المهمة والعظيمة التي حددت المعالم الأساسية للسانيات النص.

فهذه هي المراحل الثلاث حتى السبعينات من القرن الماضي التي ذكرها " دي بوجراند" لتطور لسانيات النص للوصول إلى تشكلها، على الرغم من أن هذا العالم لم يكتمل بعد اكتمالا تتضح فيه معالمه الأساسية وتتوحد فيه مصطلحاته الرئيسية إذ لا تزال إلى حد الآن تتقاطع مصطلحاته مع مصطلحات علوم أخرى خصوصا منها اللغوية⁵، وهذا على عكس معظم العلوم الأخرى التي لم تتسم بهذه الميزة في الغالب .

¹ روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 65-66.

² المرجع نفسه، ص: 66.

³ المرجع نفسه، ص: 67.

⁴ سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص: 95-96.

⁵ المرجع السابق، ص: 100

فهذا العلم يتقدم الآن يوماً بعد يوم وصار يدرس في جميع أنحاء العالم، وهذا ما هو واضح في كليات الجامعات العالمية، وفي كل يوم تظهر لنا إسهامات جديدة تضاف إلى الدراسات السابقة، وظهر في العالم العربي كغيره من مناطق العالم باحثون ومهتمون بهذا المجال المعرفي الجديد أمثال " صلاح فضل" و " سعيد حسن البحيري" و " أحمد عفيفي " و " إبراهيم خليل" وغيرهم، كلهم يرون ضرورة تجاوز دراسة الجملة إلى النصّ دون إهمال الأولى التي تعد النواة الحقيقية للنصّ .

II - مفهوم النص :

لابد لدراسة أي موضوع أن نضبط مجاله الذي يدور فيه، والمفاهيم والمصطلحات التي يعتمد عليها، فيتعين بذلك موقعه من الاختصاصات المختلفة والمتنوعة والمتداخلة، وبذلك لا يستقيم الحديث عن الاتساق والانسجام وما اتصل بهذين المفهومين من آليات وأدوات دون الإشارة إلى أننا نتحدث عنها في إطار النصّ الذي يعتبر الوحدة الأساسية للتحليل في دراسات لسانيات النصّ، ومن الملاحظ بوجه عام أنّ هذا الاتجاه- لسانيات النصّ- قد أثار نقداً شديداً وخلافاً كبيراً بين الدارسين حول حدود النصّ وتصوراتهِ وعلاقاتهِ، ويرون أنه لا توجد مصاعب تواجه علماً من العلوم مثلاً هي الحال بالنسبة لهذا العلم، حيث أنه حتى الآن، وبعد مرور ما يربو عن ثلاثة عقود على نشأته الفعلية لم يتحد بدرجة كافية، رغم الجهود المضنية التي بذلها أعلامه لوضع حدود واضحة بينه وبين العلوم الأخرى¹، ولم يكن بذلك حظ مصطلح " نص " أسعد حالاً من مصطلح " جملة " فثمة اختلاف شديد... في تعريف النصّ إلى درجة التناقض أحياناً والإبهام أحياناً أخرى² .

وجدير بالذكر أن الاختلاف في التعريف بمصطلح النصّ ليس بدعا في الدراسات اللغوية، بل في العديد من العلوم، خاصة في بداية نشأتها ، وهذا أمر طبيعي، أمر عدم الاستقرار على التعريف بالمصطلحات، وطبيعة العلوم وأهدافها... وغيرها من الجوانب

¹ سعيد حسن بحيري، علم لغة النصّ، ص:105.

² المرجع نفسه، ص:101.

المتعلقة بكل علم¹، ولم يكتف مصطلح النص على دلالاته المعجمية، واكتسب دلالات أخرى جديدة، ولذلك كان من اللازم التعرّيج على المفهوم المعجمي وكذلك الاصطلاح للنص حتى تتحدد لنا الدراسة التي نحن بصددنا فاضطررنا بذلك إلى الوقوف أمام زخم هائل من التعريفات سواء في المعجم منها أو الاصطلاح التي تستند في معظمها إلى وجهات نظر خاصة، ومنطلقات ومرجعيات مختلفة، إذ يقول أحد الباحثين في هذا الصدد : « وتأتي صعوبة القبض على النص وتحديد ماهيته وأبعاده من تعدد الرؤى، ولكونه فضاء لأبعاد متعددة ومتنازعة، إضافة إلى كونه شحنة انفعالية، تحكمها قواعد لغوية ومعايير أخلاقية وقيم حضارية وخصائص اجتماعية »²، ورغم الاختلاف في الرؤى وتعدد مفاهيم النص إلا أنه يمكننا رصد ما تشترك فيه تلك المفاهيم من الناحية اللغوية والاصطلاحية في تحديد ماهية " النص".

1- المفهوم اللغوي:

لقد تعددت المعاني اللغوية لمادة (ن . ص . ص)، حيث إذا عدنا إلى المعاجم اللغوية فإننا نجد لمادة (ن . ص . ص)، عدة معاني، يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) في كتابه العين:

ونص الحديث الى أهله فإن الوثيقة في نصه

والمنصة التي تقعد عليها العروس ونصت الرجل أي استقصيت مسألته عن الشيء، يقال نص ما عنده أي استقصاه، وأنصتته استمعت له ومنه قوله سبحانه وتعالى: " وأنصتوا" الأعراف 204.

¹ صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النص، ج1، ص:227.

² السعيد بوسقطة، مجلة التواصل، شعرية النص بين جدلية المبدع والمتلقي، مجلة علمية محكمة، جامعة عنابة.

وفي حديث منسوب لعلي رضي الله عنه- " إذا بلغ النساء نص الحقائق فالعصبة أولى": أي إذا بلغت غاية الصغر إلى أن تدخل في الكبر، فالعصبة أولى بها من الأم، يريد بذلك الإدراك والغاية¹.

ولقد جاء في لسان العرب لابن منظور: النَّصُّ: رَفَعُ الشَّيْءِ. نَصَّ الْحَدِيثَ يَنْصُهُ نَصًّا: رَفَعَهُ. وَكُلَّ مَا أُظْهِرَ، فَقَدْ نُصَّ. وَقَالَ عمرو بن دينار: ما رأيت رجلاً أَنْصَّ لِلْحَدِيثِ مِنَ الرَّهْرِيِّ أَي أَرْفَعَ لَهُ وَأَسَدَّ. يُقَالُ: نَصَّ الْحَدِيثَ إِلَى فُلَانٍ أَي رَفَعَهُ.

وَوُضِعَ عَلَى الْمِنْصَةِ أَي عَلَى غَايَةِ الْفَضِيحَةِ وَالشَّهْرَةِ وَالظُّهُورِ وَنَصَّ الْمَتَاعَ نَصًّا: جَعَلَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ²، وَقَدْ جَاءَ فِي مَعْلَقَةِ امرئ القيس قوله: (الطويل):

وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش إذ هي نصته، ولا بمعطل³

وقد جاء في مختار الصحاح في مادة (ن . ص . ص)، ما يلي: نص الشيء: رفعه وبابه رد ومنه منصة العروس، ونص الحديث إلى فلان إليه ونص كل شيء منتهاه⁴.

ومن العجيب أنه ليس هناك اختلاف يذكر في معنى " نص " بين هذه المعاجم العربية القديمة، فما نجده عند الخليل بن أحمد نجده عند ابن منظور ونجده كذلك عند محمد بن أبي بكر الرازي.

ومما يلاحظ على المعاني اللغوية لمادة (ن . ص . ص)، في هذه المعاجم أنها متعددة وتدل إما على:

✓ الرفع بنوعيه الحسي وغايته.

✓ أقصى الشيء وغايته.

✓ ضم الشيء إلى الشيء.

✓ الإظهار.

¹ الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، ابراهيم السامرائي، دار ومكتبة هلال (د.ط) (د.س)، ج7، ص: 86-87.

² ابن منظور: لسان العرب، الدار المتوسطة للنشر والتوزيع، تونس، ط01، 1426هـ-2005م، ج04، ص: 3930.

³ مفيد قميحة، المعلاقات العشر، شرح ودراسة وتخلييل، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط05، 2002، ص: 68.

⁴ محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، (د.ط)، 1993، ص: 176 .

أما المعنى الشائع والمستقر بين متكلمي اللغة العربية المعاصرة، فهو صيغة الكلام الأصلية التي وردت في المعاجم الحديثة مثل المعجم الوسيط والمنجد، إذ جاء في الأول على أنه: " صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف... أو ما لا يحتمل إلا معنى واحد أو لا يحتمل التأويل، ومنه قوله: « لا اجتهاد ما النص »¹.

وتم تعريفه في المنجد على أنه: " النص، نصوص الكلام المنصوص، والنص من الكلام هو ما لا يحتمل إلا معنى واحد أو لا يحتمل التأويل"².

أما النص في المعجم الفرنسي (Texte) فهو مأخوذ من مادة (Textus) اللاتينية التي تعني النسيج ، كما تطلق كلمة (Texte) على الكتاب المقدس أو كتاب القديس كما تعني منذ العصر الإمبراطوري ترابط حكاية أو نص... والنص منظومة عناصر من اللغة أو العلاقات ، وهي تشكل مادة مكتوبة أو إنتاجا شفهيًا أو كتابيا³، فالملاحظ من مادة (Texte) أن معناها الأول كان يطلق على النسيج المادي الصناعي ثم انتقل إلى النص لأن النص نسيج من الكلمات يرتبط بعضها ببعض، وهذا الربط الذي يحدث في النص هو بمثابة خيوط النسيج تربط أول النص بآخره فتجمع بذلك عناصره المختلفة والمتباعدة لتكون بذلك وحدة متكاملة، ويفترض هذا أنه إذا لم تكن هذه الألفاظ والجمل نسيجا محكمة الترابط لم يعد هذا نصا.

ويحاول بعض الباحثين التقريب بين أصل كلمة " النص" في اللغة العربية وفي بعض اللغات الأخرى كالفرنسية (Texte) والانجليزية (Text) والاسبانية (Texto) والروسية (Tekta) والأصل لهذه الكلمة في كل هذه اللغات هي (Textux) ، والتي يعود أصل كلمة النص فيها إلى النسيج كما سبق، حيث ذهب محمد الهادي الطرابلسي : « إلى أن

¹ ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 04، 1426-2005م، ص:926.

² كرم البستاني وآخرون، المنجد في اللغة والاعلام، دار المشرق، بيروت، ط39، 2002، مادة، "ن. ص. ص. ص"، ص:810.

³Robert Micro. Alain Roy et auter. dictionnaire le Robert paris- Montréal 2 édition.1998.p 1321.

معنى النسيج يتوفر في المصطلح الأعجمي المقابل لمصطلح " نص Texte" على أن هذا المعنى ليس غريبا عن تصور العرب للنص، فقد تبين لنا أن الكلام عند العرب، يكون نصا، إذا كان نسيجا، والنسيج في بعض الأحيان يلتقيان، ففي اللسان (مادتا ن ص. ص و ن. س.ج) «النص جعل المتاع بعضه على بعض والنسيج ضم الشيء إلى الشيء فالأول تركيب والثاني ضم، والتركيب والضم واحد»¹.

ويذهب الأزهر الزناد إلى أنه " يتوفر في مصطلح" نص " في العربية وكذلك في مقابلة في اللغات الأعجمية Texte معنى " النسيج". فالنص نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد هو ما نطلق عليه مصطلح " نص"².

فما هو ملاحظ أن المعنى المعجمي لمصطلح النص في اللغة العربية وفي اللاتينية يقترب بعضه من بعض ويكاد يكون تعريفا واحدا، إلا أنه في التعريف اللاتيني أقرب من التماسك النصي الذي تتادي به لسانيات "النص".

2- النص اصطلاحا:

لقد تعددت تعريفات النص الاصطلاحية، وتتنوع بتنوع التخصصات المعرفية، ويتعدد الاتجاهات والنظريات والمدارس اللسانية، هذا ما أدى بالباحثين إلى التباين في إمكانية وضع مفهوم للنص يجتمعون عليه، لأن لكل باحث تصوره وخلفياته المعرفية التي تثير فكرة ، وترسم طريقة ورغم هذا فإنه لا بد من أن نتطرق إلى بعض تعريفاته قصد تقريب مفهومه إلى الأذهان محاولين تقديم أهمها، مما جاء به بعض الدارسين سواء العرب منهم أو الغربيين حيث كما سنرى هذا الاختلاف الكبير بين الباحثين في تعريف مصطلح النص إلى درجة عدم الاتفاق حول تعريف معين، بل التناقض أحيانا .

¹ الأزهر الزناد، نسيج النص، ص:6.

² المرجع نفسه ، ص:12.

أ - مفهوم النصّ في الدراسات اللغوية العربية:

فمما جاء في الدراسات العربية الحديثة التعريف الذي قال به **عبد الرحمان طه** بأنه - النصّ- « كلّ بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات »¹، ويعتبر هذا التعريف من أهم التعريفات العربية المعاصرة للنصّ، وقد جاء هذا الأخير على أساس منطقي، يظهر فيه صاحبه بأنّه عبارة عن جمل مترابطة داخل بناء بعلاقات معينة .

ويذهب "نور الدين السد" في كتابه الأسلوبية وتحليل الخطاب إلى أنّ النصّ ليس « مجموعة جمل فقط، لأنّ النصّ يمكن أن يكون منطوقا أو مكتوبا نثرا أو شعرا، حوارا أو مونولوجيا، يمكن أن يكون أي شيء من مثل واحد حتى مسرحية بأكملها من نداء استغاثة حتى مجموعة مناقشة الحاصلة طوال يوم في لقاء هيئة»².

ثم يذهب بعد ذلك إلى أنّ النصّية هي التي تميز النصّ من اللانصّ، فيقول: «النصّية تحقق للنصّ وحدته الشاملة، ولكي تكون لأي نص نصّيته ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تحلق النصّية، بحيث تسهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة»³.

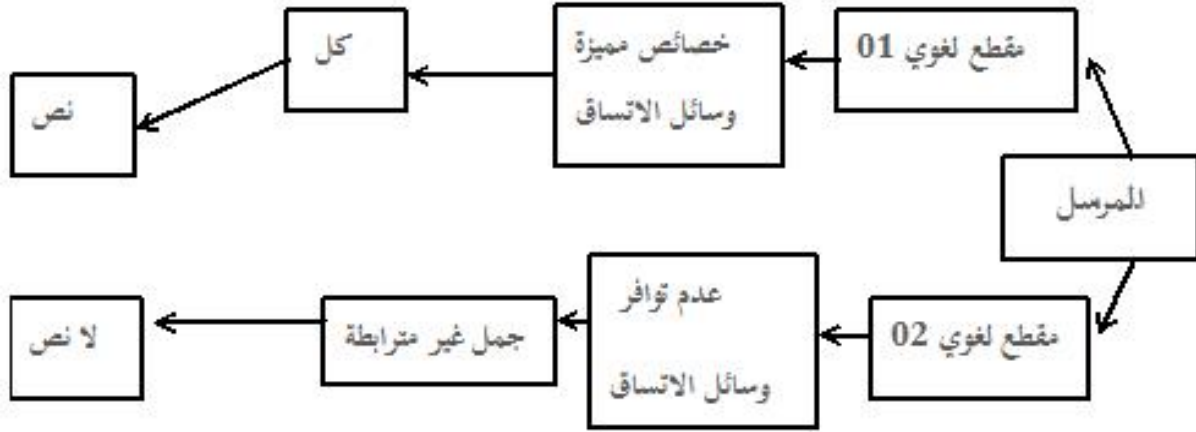
فقد انطلق "السد" في تعريفه للنصّ من رؤية لسانية تصنف النصّ نوعيا من خلال تحقق وحدة النصّ الشاملة من عدم تحققها، ويرجع تحقق هذه الوحدة النصّية إلى مجموعة من الوسائل اللغوية والتي يأتي على رأسها كما يذكر "السد" الاتساق الذي يعدّ المقوم الأساسي في الحكم على نصّية أي نص فيقول: « فإذا توافرت وسائل الاتساق كان المقطع اللغوي كلا موحدا، وإذا افتقد إلى الخصائص التي تميزه ، والوسائل التي تجعل منه متسقا

¹ طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط2، 2000، ص:35.

² نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 1417هـ-1997، ج2، ص:69.

³ المرجع نفسه، ص:69.

موحدا وجملة غير مترابطة ، فقد مقومات وجوده «¹، وقد وضع "السد" مخططا بيانيا يوضح فيه الفرق بين الظاهرتين: (النص واللائص) :



أما مفهوم النص عند "عبد المالك مرتاض" : فإنه من حيث الشكل لا يحدد مرتاض النص من خلال كلمة أي من خلال الجملة أو مجموعة الجمل داخل النص، فهو يرى أن النص لا ينبغي أن يحدد بمفهوم الجملة، ولا بمفهوم الفقرة التي هي وحدة كبرى لمجموعة من الجمل ، فقد يتصادف أن تكون جملة واحدة من الكلام نصا قائما بذاته مستقلا بنفسه ، وذلك ممكن الحدوث في التقاليد الأدبية كالأمثال الشعبية والألغاز والحكم السائرة والأحاديث النبوية التي تجري مجرى الأحكام وهلم جرا².

أما النص من حيث دلالاته، فهو شبكة معطيات، السنة وبنوية، أيديولوجية كلها تسهم في إخراج النص إلى حيز الفعل والتأثير؛ وهنا يستند مرتاض على نظرية القراءة في تحديد مفهوم النص الأدبي، « فالنص قائم على التجديدية بحكم مقروئية، وقائم على التعددية بحكم خصوصية عطائيه تبعا لكل حالة يتعرض لها في مجهر القراءة، فالنص من حيث هو ذو قابلية للعطاء المتجدد المتعدد بتعدد تعرضه للقراءة، ولعل هذا ما تطلق عليه " جوليا

¹ نور الدين السد ، الأسلوبية وتحليل الخطاب ، ص:69.

² عبد المالك مرتاض، في نظرية النص الأدبي، المجاهد (الأسبوعي الجزائرية)، عدد 1424، ص: 57، نقلا عن: رابطة

كريستيفا" (إنتاجية النص) حيث أنه يتخذ من اللغة مجالاً للنشاط فتراه يتردد إلى ما يسبق هذه اللغة التي هي أصل النص في كل مراحلها ومظاهره «¹.

ويعرف النص الأدبي أيضاً بأنه: « عالم ضخم متشعب متشابك، معقد، ورسالته مبدعة تنتهي لدى الفراغ من تدبيجه، فهو لا يرافقه إلا في لحظة المخاض، أو لحظة الصفر كما يطلق عليها " رولان بارت" «².

وإذا تأملت من خلال هذا التعريف الذي قدمه مرتاض للنص الأدبي، وألمحت إلى بعض الكتب التي تتمحور دراستها حول لسانيات النص نجد أنه قد أحسن في تعريفه هذا ووضع مصطلح " عالم" كون كتب لسانيات النص تضع المصطلح القريب منه والمتمثل في " عالم النص".

ويذهب "صبحي إبراهيم الفقي" في كتابه "علم اللغة" النصي بين النظرية والتطبيق إلى تبني تعريف " روبرت دي بوجراند"، ويعتبره من التعريفات الجامعة والذي يرى النص « أنه حدث تواصل يُلزم لكونه نصاً أن تتوفر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تختلف واحد من هذه المعايير:

1- السبك أو الربط النحوي Cohesion

2- الحبكة Coherence أو التماسك الدلالي، وترجمها تمام حسان بالالتحام.

3- القصد (Intentionality) وهو الهدف من إنشاء النص.

4- القبول أو المقبولية (Acceptability) وتتعلق بموقف المتلقي من قبول النص.

5- الإخبارية أو الاعلام (Informativity) أي توقع المعلومات الواردة فيه أو عدمه.

6- المقامية (Situationality) وتتعلق بمناسبة النص للموقف.

7- التناص³ (Intertextuality). «

¹ عبد المالك مرتاض ، في نظرية النص الأدبي، ص:57.

² عبد المالك مرتاض، النص الادبي من أين؟ وإلى أين؟، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، 1983، ص:42.

³ صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص:33-34.

وما هو واضح من هذا التعريف الذي يتبناه "صبحي إبراهيم الفقي" أنه تعريف شامل لا يلغي أخذ أطراف الحديث الكلامي في التحليل، حيث أنه جمع بين المرسل للرسالة ومتلقيها وكذلك السياق بالإضافة إلى أدوات الربط اللغوية ، حيث كل هذه العناصر النصية كانت محل اهتمام في التحليل النصي لديه، ومما هو ملاحظ عليه أنه لا يعطي عنصرا اهتماما أكثر على حساب العناصر الأخرى بل يساوي بين كافة عناصر التحليل النصي.

ب- النص في الدراسات الغربية :

يختلف مفهوم النص عند الباحثين واللسانيين في الغرب شأنه في ذلك شأن الاختلاف الموجود عند العرب.

وهي كثيرة ومن التعريفات ذات البعد البنيوي أن النص عبارة عن « بناء لغوي لمعنى مأخوذ من معجم ليس لمفرداته معان خارج البناء الذي يضمنها »¹، وهذا التعريف منقول عن "بيرمان آرت" .

وتحدد جوليا كريستيفا النص على أنه: جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين الكلام تواصلية يهدف إلى الإخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملحوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه، فالنص إذن إنتاجية، وهو ما يعني:

أ- أن العلاقة باللسان الذي يتموقع داخله هي علاقة إعادة توزيع (صادمة بناءه)، ولذلك فهو قابل للتناول عبر المقولات المنطقية لا غير المقولات اللسانية الخالصة.

ب- «أنه ترحال للنصوص وتداخل نصي، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتنافي ملحوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى»².

يبدو واضحا أن "كريستيفا" تتطلق من مفهوم التناص في تحديد مفهوم النص، أي ينظر إلى النص من حيث إنتاجه كنص يتعالق مع نصوص أخرى .

¹ عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، (د.ط)، 1418-1998م، ص:160.

² جوليا كريستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط2، 1997، ص:21.

أما عند الرجوع إلى المنطلقات اللسانية في تعريف النص خصوصاً تلك التي تأخذ من لسانيات النص منهجاً في تعريفاته ، فنجد: "كلاوس برينكر": يذهب إلى أن النص: « تتابع متماسك من علامات لغوية، أو مركبات من علامات لغوية لا تدخل تحت أية وحدة لغوية أخرى أشمل »¹، فهو يرى في تعريفه هذا أن النص وحدة لغوية كبرى يتكون من وحدات صغرى متماسكة بعضها ببعض، في إشارة إلى عملية التماسك النصي من خلال التعالق بين الأجزاء المتوالية .

ويرى "برينكر" أن تعريفات النص المختلفة قد انطلقت من اتجاهين:

الاتجاه الأول : يقوم على أساس النظام اللغوي ، وقد اعتمدت معظم التعريفات فيه إلى حد بعيد على تحديدات علم لغة الجملة ذات الأصل البنيوي أو التوليدي- التحويلي، حيث يظهر النص كنتابع متماسك من الجمل .

والاتجاه الثاني : يقوم على أساس نظرية التواصل، فيعرف النص بوصفه فعلاً لغوياً معقداً يحاول المتكلم به أو كتابه أن ينشئ علاقة تواصلية معينة مع السامع والقارئ ، وترتكز في ذلك على نظرة الفعل الكلامي المتطورة داخل الفلسفة اللغوية الأنجلوسكسونية² . واقتراح "برينكر" في نهاية عرضه للاتجاهين مفهوماً يجمع ويدمج الجانبين اللغوي البنيوي والتواصلية السياقية، فيعرف النص على أنه «وحدة لغوية تواصلية في الوقت نفسه»³ .

أما هاليداي Halliday و رقية حسن Roqaiya Hassan فقد أشارا إلى أن: «كلمة نص تستخدم في علم اللغويات لتشير إلى أي فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كان طرحها، شريطة أن تكون وحدة متكاملة»⁴، وظاهر هذا التعريف أن النص يشمل المنطوق والمكتوب سواء طال حجمه أو قصر .

¹ أحمد عفيفي، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط01، 2001، ص:28.

² كلاوس برينكر، التحليل اللغوي النصي، تر: سعيد حسن بحتري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط01، 1425-2005، ص:22-26.

³ المرجع نفسه ، ص:28.

⁴ أحمد عفيفي، نحو النص، ص:22.

ويذهب هارفج R. Harwg إلى أن النص عبارة عن « ترابط مستمر للاستدلالات السنتحيمية التي تظهر الترابط النحوي في النص »¹.

وهناك من ينظر إلى النص على أنه كم أو مجموعات من الإشارات التواصلية، التي تحقق العملية التواصلية بين منشئ النص ومتلقيه ولعل تعريف سميث S.J.Schmidt للنص يؤكد هذا المفهوم حيث يقول: النص « جزء حدد موضوعيا (محوريا) من خلال حدث اتصالي ذي وظيفة اتصالية (إنجازية) »²، فهو هنا اشترط وحدة الموضوع الذي يتمحور حوله النص، وأيضا وحدة مقصده ، ويكون قد تشكل لأداء أهداف معين، وهناك تعريفات كثيرة لم تذكر واقتصرنا على بعضها خشية الإطالة .

III - مفهوم لسانيات النص:

لسانيات النص: هي فرع علمي بكر وحقل جديد من الحقول المعرفية الأخرى، تشكل تدريجيا مع نهاية الستينات وبداية السبعينات، حتى غدا رافدا على ساحة الدراسات اللسانية المعاصرة، وقد جاء ليكون بديلا لمناهج لسانيات سبقتة فيكمل ما عجزت عنه، وينتقل بالدارسة اللسانية من محورية الجملة في الدراسة إلى النص، أي من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص لتجعل بذلك من النص الوحدة اللغوية الكبرى الأكثر استقلالية .

وفي الحقيقة لا يوجد خلاف حول المفهوم بالصورة نفسها التي وجدت في تعريفات مصطلح " النص"، حيث أن مصطلح لسانيات النص واحدة من المصطلحات التي حددت لنفسها هدفا واحدا وهو الوصف والدراسة اللغوية للأبنية النصية، وتحليل المظاهر المتنوعة الأشكال لتواصل النصي³، إذ نجد من تعريفه أنه: « فرع من فروع علم اللغة يدرس النصوص المنطوقة والمكتوبة... وهذه الدراسة تؤكد الطريقة التي تنظم بها أجزاء النص،

¹ سعيد حسن بحتري، علم لغة النص، ص:108.

² المرجع نفسه، ص:108.

³ احمد عفيفي، نحو النص ، ص:31.

وترتبط فيما بينها لتخير عن الكلّ المفيد¹، ومن ثم فإنّ كثيرا من الظواهر تعالج في إطار الوحدة الكبرى للتحليل .

وقد استطاع هذا العلم أن يجمع بين عناصر لغوية وغير لغوية لتفسير الخطاب أو النصّ تفسيراً إبداعياً²، إذ تتمثل مهمة لسانيات النصّ في وصف العلاقات الداخلية الأفقية منها والعمودية، وكذا العلاقات الخارجية للأبنية النصّية، بمستوياتها المختلفة وشرح المظاهر العديدة لأشكال التواصل واستخدام اللغة .

ويعرف "سعيد حسن بحيري" لسانيات النصّ أو نحو النصّ فيقول: « نحو النصّ يراعي في وصفه وتحليلاته عناصر أخرى لم توضع في الاعتبار من قبل، وبلجاً في تفسيراته إلى قواعد دلالية ومنطقية إلى جوار القواعد التركيبية، ويحاول أن يقدم سياقات كلية دقيقة للأبنية النصّية وقواعد ترابطها وبعبارة موجزة قد حددت للنصّ مهام بعينها لا يمكن أن ينجزها بدقة إذا التزم حد الجملة³ .»

ومما يستنتج من هذا التعريف أنّ لسانيات النصّ لها قواعدها التي لم توجد في علوم سابقة لها، بل قواعد وضعت خصيصاً لها باعتبارها علماً جديداً من أجل تشكيل نصّ باعتباره الوحدة الكلية الكبرى للتحليل.

وبعد ذلك بين لنا "بحيري" أنواع الظواهر التركيبية الموجودة في لسانيات النصّ بقوله: « لقد عني علم اللغة النصّي في دراسته نحو النصّ بظواهر تركيبية نصّية مختلفة ، منها: علاقات التماسك النحوي النصّي، وأبنيته التطابق والتقابل، والتراكيب المحورية، والتراكيب المجترأة وحالات الحذف، والجمل المفسرة، والتحويل إلى ضمير، والتنويعات التركيبية وتوزيعاتها في نصوص فردية، وغيرها من الظواهر، التي لا يمكن تفسيرها تفسيراً كاملاً دقيقاً إلا من خلال وحدة النصّ الكلية⁴ .»

¹ نقلاً عن : محمود بوسنة ، الاتساق والانسجام في سورة الكهف ، ص : 22

² سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ج01، ص99.

³ المرجع نفسه ، ص: 134-135.

⁴ المرجع نفسه، ص:135.

من هنا، وحسب منظور "سعيد حسن بحيري" فإن هدف لسانيات النص هو وصف كيفية تماسك النصوص، وكيف أن هذه الأخيرة- النصوص- تؤدي أغراضا معينة في مقامات تبليغية محددة.

وعلى الرغم من أن تعريفات لسانيات النص لا يوجد خلافا حولها بالدرجة التي يحدث فيها التباين إلا أن الاختلاف الموجود حول المصطلح في حد ذاته لم يلق التوحيد من جانبيين؛ سواء عند منظريه أو عند المترجمين .

حيث نجد درسلر (W.Diressler) يستخدم علم دلالة النص، وعلم نحو النص، والتداولية النصية، في حين نجد هارفيج يستخدم (Textologie) للدلالة على هذا الاتجاه اللغوي، وهو مصطلح أكثر قبولا عند سعيد حسن بحيري، بينما يرى سوينسكي Swiniskie أن المصطلح الأنسب والذي يعتبره جامعا لكل البحوث التي لها علاقة بالنص داخل علم اللغة، هو مصطلح لسانيات النص TextLinguistic.

أما عند المترجمين والدارسين العرب فقد استعمل علي خليل محمد وسعيد حسن بحيري وإلهام أبو غزالة " علم النص " واستعمل صبحي إبراهيم الفقي وفالح شبيب مصطلح " علم اللغة النصي " واستعمل صلاح فضل وجميل عبد المجيد " علم النص " وهو نفسه الذي استعملته جوليا كريستيفا، وعلم النص أشمل من لسانيات النص وعلم لغة النص ونحو النص، لأنه لا يقتصر على نوع واحد من التحليل بل يتجاوزه إلى أشكال أخرى من النصوص (إعلانات، المقال الصحفي والإشهار) وكل منتج ثقافي يتشكل في هيئة نص، بينما إبراهيم خليل وأحمد عفيفي مصطلح " نحو النص " وذلك لأن التحليل اللغوي اتجه إلى النص وأصبح المحور الأساسي اللغوية في الوقت الحاضر، ولذلك جاء تغير المنهج والأهداف أحد العوامل الرئيسية لضرورة الحاجة إلى نحو النص.¹

أما تمام حسان ومحمد خطابي وبشير إبرير ونعمان بوقرة ومعظم المغاربة يستعملون مصطلح " لسانيات النص " كتعبير منهم على الدراسة العلمية اللغوية للنصوص، وهو يعتبر من أشهر مصطلحات هذا العلم.

¹ محمود بوسنة ، الاتساق والانسجام في سورة الكهف ، ص : 24

IV - أهداف لسانيات النص:

تسعى لسانيات النص إلى تحليل البنى النصية واستكشاف العلاقات النسقية المفضية إلى اتساق النصوص وانسجامها والكشف عن أغراضها التداولية، إذ يرى صبحي إبراهيم الفقي، أن مهام لسانيات النص تتجلى في إحصاء الأدوات والروابط التي تسهم في التحليل ويتحقق هذا الأخير بإبراز دور تلك الروابط في تحقيق التماسك النصي مع الاهتمام بالسياق وأنظمة التواصل المختلفة¹.

فمن أهم ملامح لسانيات النص دراسة الروابط مع التأكيد على ضرورة المزج بين المستويات اللغوية المختلفة وهذا بالاتساق الذي يتضح في تلك النظرة الكلية للنص برصد وسائل الترابط العميق بين الوحدات الجزئية، دون فصل بين هذه الأجزاء .

فلسانيات النص تراعي في وصفها وتحليلاتها عناصر لم توضع في الاعتبار من قبل، وتلجأ في تفسيراتها إلى قواعد تركيبية² وقواعد دلالية ومنطقية³، بحيث تسعى إلى تحقيق هدف يتجاوز قواعد إنتاج الجملة إلى إنتاج النص، إذ لم يعد الاهتمام مقتصرًا على الأبعاد التركيبية للعناصر اللغوية في انفرادها وتركيبها، بل لزم أن تتداخل معها الأبعاد الدلالية والتداولية، حتى يمكن أن نفرز نظامًا من القيم والوظائف التي تشكل جوهر اللغة، إذ ليس من المجدي الاهتمام بالوصف الظاهري للمفردات، وأبنية تتضمن في أعماقها دلالات متراكمة نشأت عن استخدامها وتوظيفها في سياقات ومقامات متعددة⁴.

ويرى دي بوجراند أن العمل الأهم للسانيات النص هو دراسة مفهوم النصية Textuality من حيث عامل ناتج عن الإجراءات الاتصالية من أجل استعمال النص⁵.

¹ صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ص:56.

² سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص:135.

³ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، الجزيرة، مصر، ط01، 1996، ص:321-322.

⁴ محمود بوسته، الاتساق والانسجام في سورة الكهف، ص: 24

⁵ روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص:95.

وهكذا يكون تميز لسانيات النص في اتساع مجال الرؤية بأنها تنطلق من دلالات عامة تتجاوز الجمل على وحدات نصية كبرى، لأن هدفها تحديد الوسائل التي مكنت من ربط الجمل وشكلت منها وحدة دلالية متلاحمة الأجزاء.

ويرى **صبحي إبراهيم الفقي** أن من أسباب اللجوء إلى الدراسة النصية، هو أن أوجه الترابط التي أفرزتها التحليلات على مستوى الجملة لم تعد كافية لتغطية مستوى النص وإيجاد العلاقة بين فقرة وفقرة، ونص ونص، وهكذا يبرز عند النظر إلى السور القرآنية؛ فلا يمكن إدراك هذه الصلة والترابط من خلال نحو الجملة، بل النظرة النصية كما هي بمفهومها الواسع¹.

وهكذا يكون تميز لسانيات النص في اتساع مجال الرؤية، بأنها تنطلق من دلالات عامة تتجاوز بها الجمل إلى وحدات نصية كبرى، لأن هدفها هو تحديد الوسائل التي مكنت من ربط الجمل والوصول إلى وحدة النص.

إذن لسانيات النص جاءت لتثبت نصية نص ما من عدمها، إذ تفيدنا في التفريق بين ما هو نص يعتمد في الدراسة والوصف والتحليل، وما هول ليس بنص، فهي بمثابة غربال يكشف به ترابط النص في وحدة علائقية، تلتحم أجزاؤه لتشكل لنا وحدة كلية شاملة، أو بين لنا عدم الترابط والالتحام بين هذه الأجزاء والوحدات.

V_ القدمات والدراسات النصية:

يعتبر الربط والمزاوجة بين القديم والحديث منهاجاً ومقوماً لدراسة الفكر الإنساني بصفة عامة، والفكر اللغوي خصوصاً، ولذا قامت دراسات كثيرة في العصر الحديث على إنتاج القدمات، ومن ذلك التراث العربي الإسلامي الذي يعد منظومة واحدة، تتكامل فيها المعارف وتتشابك عندها الاختصاصات، يحتاج إليها الدارسون في وقتنا الحاضر، ومن ذلك دراسة النص وتحليله، والذي أكدته القراءة لتراثنا العربي، خاصة البلاغة والتفسير والنقد بل النحو كذلك، وأن هناك تحليلات تقترب من التحليلات المعاصرة للنص، كما سنرى لاحقاً، فإغفال أربعة عشر قرناً من العمل الجاد في مجال البلاغة والتفسير، ثم في مجال اللغة، يعد أمراً

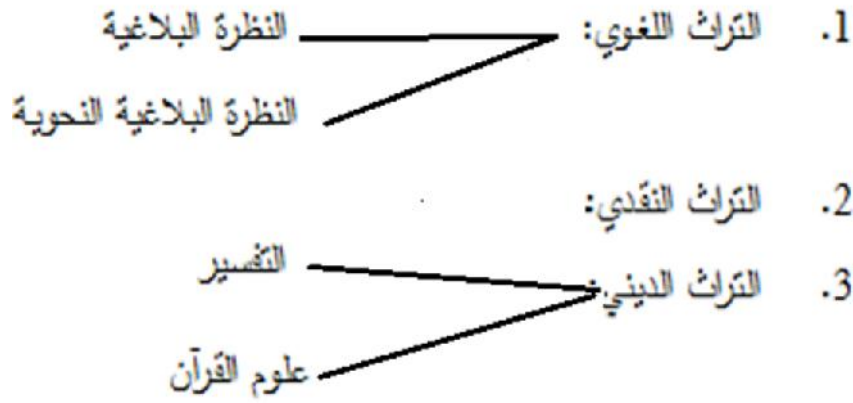
¹ صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ص: 52

غاية في الخطورة ، ومن ثمّ " فإننا نؤمن أنّ البدء من الصفر المنهجي في هذا المقام - مقام الدراسة النصّية - يعني إهدار أربعة عشر قرناً من النتاج اللساني المتميز ، الذي هو إنتاج قوم من أعلم الناس بفقّه العربيّة وأسرار تركيبها وذخائر تراثها...¹ ، فلن يتحقق طموح في وضع نظرية علمية ... دون إحياء الأفكار الصالحة في التراث ، والإفادة من الدراسات الحديثة ، والإخلاص للبحوث التطبيقية² ، لأنّ الدراسة النصّية الخالية تقتضي النّظر في أصول المنهج العربيّ، ثم دراسة هذه الأصول على ضوء المناهج المعاصرة المتاحة .

وبعد كل هذا، هل يمكننا الحديث عن لسانيات النّص كعلم مرتبط بالبلاغة القديمة أو النقد أو النحو أو حتى علوم القرآن والتفسير؟ وهل كانت هناك دراسات نصية حقيقية تثبت الدور الكبير الذي من أجله عجزنا عن الفصل بين القديم والحديث في الدراسات النصّية ؟

للإجابة عن هذه التساؤلات وجب علينا القيام بإطلالة قصيرة لمعرفة وتوضيح العلاقة المحكمة بين هذه العلوم ولسانيات النّص كحقل معرفي جديد يجعل من النّص محور الدراسة.

قبل هذا يجب علينا تحديد جوانب النظرة التراثية، وهي كالآتي³ :



¹ سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة فس قصيدة جاهلية، مجلة فصول، ج1، مج10، عدد2، 1، يوليو 1991، ص:45.

² محمد العيد، اللغة والإبداع الأدبي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط01، 1989، ص:08.

³ عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط02، 1986م، ص:36.

ولكبر المخزون التراثي واتساع مجال البحث نكتفي ببعض الأعلام وبشيء من الاختصار دون تشعب فيه.

1- التراث اللغوي:

أ- النظرة البلاغية:

الناظر إلى البلاغة يؤكد أنها السابقة التاريخية لعلم النص، إذا نأخذ في الاعتبار توجهها العام المتمثل في وصف النصوص وتحديد وظائفها المتعددة ... وكذا تتوجه إلى المستمع أو القارئ لتؤثر فيه، وتلك العلاقات ذات خصوصية في البحث اللغوي النصي... فعملية الاتصال تجمع العلاقة بين أطراف الاتصال الأساسية (نص- منتج- متلق) وكيفيات التفاعل بينها...¹.

فدراسة الأبنية النصية الخاصة، والوظائف الجمالية للنصوص، وكذلك الاهتمام بفصيح الكلام الذي تتناسق معانيه مع ألفاظه كانت من اختصاص البلاغيين كما سنرى مع "ابن قتيبة" وبداية بحثه في الانسجام النصي وكذا "البقلاني" ونظرته الشمولية للنص.

أ-1- ابن قتيبة (213م-276هـ) وبداية البحث في الانسجام:

نبرز بداية البحث في الانسجام عند ابن قتيبة في كتابه "تأويل مشكل القرآن" الذي ألفه في القرن الثالث الهجري، وقد كان هدف الكتاب هو الرد على الملاحدة، الذين يريدون الانتقال والطعن في القرآن العظيم، إذ أنهم اتبعوا ما تشابه منه، قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ آل عمران الآية 07.

يقول ابن قتيبة: « فأحببت أن أتضح عن كتاب الله ، وأرمي من ورائه بالحجج النيرة والبراهين البيّنة، وأكشف للناس ما يلبسون »² ، ومن الواضح أن هؤلاء الملحدّين طعنوا في القرآن الكريم من وجوه عدة مردودة عليهم ، حيث أنهم ادّعوا اللحن في القرآن والتناقض والاختلاف وتأولوا كثيرا من القضايا .

¹ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 152.

² أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرح السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، المدينة النبوية،

لذلك بدأ ابن قتيبة بتقديم حجج هؤلاء، ثم يقوم بدحضها، وكثيرا ما كان يستدل بالأحاديث النبوية الشريفة، والشعر أيضا، ثم ينتقل إلى حجمه بمنهج واضح وبموضوعية تجعل ابن قتيبة يخطو الخطوة الأولى للدرس العلمي في تراثنا العربي الإسلامي، أكثر من هذا، استطاع ابن قتيبة أن يقدم دراسة للنص القرآني تقترب في الكثير من الأحيان مما يعرفه علم النص حديثا، يتجلى ذلك في ما يلي¹ :

1- النظرة الشاملة للنص القرآني كله، فلا يقدم موقفه إلا بعد عرض مختلف الآيات

الواردة من ذلك في باب تكرار الكلام والزيادة فيه، فمثلا ابن قتيبة يفرق بين الواو كأداة ربط والواو غير الرابطة، كما كان يهتم كذلك بدور أدوات الربط في اتساق النص.

2- حديثه عن التكرار والحذف في القرآن الكريم، من ذلك أن يأتي بالكلام مبينا أن

له جوابا، فيحذف الجواب اختصارا لعلم المخاطب به، ويمنحه بعدا تداوليا...

3- انسجام القضايا الواردة في النص القرآني، ليبدو ذلك واضحا، وهو يرد على من

ادّعى على القرآن التناقض، والاختلاف يقول: « فأما ما نحلوه من التناقض في

مثل قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾

الرحمان (39) ، وهو يقول في موضع آخر: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ

عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الحجر (92-93) .

فالجواب في ذلك : أن يوم القيامة يكون كما قال الله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ

مِقْدَارُهُ رُحْمَ سِنِّ أَلْفِ سَنَةٍ﴾ المعارج (04) .

¹ نوال لخلف، الانسجام في القرآن الكريم، سورة النور أنموذجا، رسالة دكتوراه في الأدب العربي قسم اللغة العربية آدابها، .

من أهم القضايا التي طرحها ابن قتيبة في كتابه إذن، قضية انسجام النص القرآني التي تنظر إلى السورة ، والآيات المتباعدة نظرة متألفة ، وكانت هذه القضية قضية خطابية نصية ، كان من الممكن أن يترتب عنها تنظير في نسق النص غير أن النقاش البلاغي حولها وقف عند حدود الكلام¹ ، فلو اتسع مجال البحث في هذه المسألة ، لجعل للبلاغة اهتمامات أخرى ، ولكانت الدراسات اللسانية النصية الدرس البلاغي في ذلك الوقت .

أ-2- الباقلاني... والنظرة الشمولية :

ألف الباقلاني (ت 404هـ) العديد من الكتب، كان أشهرها كتاب، "إعجاز القرآن"، وقد كان هدف الكتاب، كما هو واضح من العنوان الوقوف على سر إعجاز القرآن، لكن ما لبث أن اتجه إلى البحث في قضايا بلاغية نصية.

وسر إعجاز القرآن عند الباقلاني يكمن في أسلوبه، وهو سبب اختلاف القوم الفصحاء معارضته والإتيان بمثله ولو كانت آية، « فالقرآن معجز في أسلوبه الذي يسير على سنن ونمط متجانس، دونما إحلال، أو اضطراب ، أو تفاوت بين سورة وسورة ، أو آية وآية ، أو موضوع وموضوع فهو على الدوام منفرد بذلك الأسلوب »² .

فقضايا الفصل والوصل وعلاقة بداية السورة بنهايتها، ودور السورة أو افتتاحيتها بالتماسك الكلي الشامل للسورة وترباط موضوعها، كلها مما له في لسانيات النص الآن مكان، قد تحدث عنها الباقلاني من القرن الخامس الهجري، فهو ينظر إلى القرآن الكريم نظرة شاملة، وتجعله يضم الفواتح والخواتم والمبادئ والمناسبات والمطالع³ .

ويقدم الباقلاني نظرة أخرى، تجمع بين التحليل البصير، والتذوق الرفيع، حين يقوم بتفسير انسجام الآيات، رغم تباعد مقاصدها، فقد تجد آيات متباعدة في المواقع نائية المطارح، قد جعلها النظم البديع أشد تالفا من الشيء المؤلف في الأصل⁴ .

¹ محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتدادها، إفريقيا الشرف، الدار البيضاء، (د.ط)، 1999، ص:145.

² أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، تح: أحمد صقر، دار المعارف القاهرة، ط03، (د.ت)، ص:205.

³ محمود بوسته ، الاتساق والانسجام في سورة الكهف ، ص ، 30

⁴ أنظر الباقلاني ، المرجع السابق، ص:194.

ولا يتأخر **الباقلائي** في ذكر الأمثلة المختلفة من القرآن الكريم تأكيداً على نظريته هذه، ويحاول أن يفسر انسجام القرآن الكريم، رغم تعدد مواضعه، والانتقال من معنى إلى آخر، ويكشف عن أوجه الخلوص من احتجاج إلى وعيد ومن إغذار إلى إنذار مختلفة تأتلف بشريف النظم، ومتباعدة تتقارب بعلي الضم¹.

فتكررت المصطلحات التالية: الضم، الرصف، النظم، الانسجام، لكن دون تبرير لهذا الرصف والضم والانسجام، وكيف أن هذه الدلالات كانت في تعالق وترتيب، بل بقي الموقف جزئياً وذوقياً دون أن يكون ذلك قصور وعجز، وإنما هو حالة لمرحلة ذات خصائص معينة، أدت بالضرورة إلى إبداع يلائمها.

ب _ النظرية البلاغية النحوية:

_ الجرجاني : فكرة النظم والتعليق :

إذا كان **الباقلائي** لم يجد من فهمه لفكرة النظم والائتلاف أساساً نحويًا، فإن هذا الأساس النحوي المسؤول عن تضافر الوحدات وتلاحمها، سيتجسد في نظرية النظم عند **الجرجاني**، ولا يعد الجرجاني المبتكر الأول لهذه النظرية، فقد سبقه إليها **الجاحظ** في البيان والتبيين، وأيضاً **الرماني**، لكن يعود إليه الفضل في البلورة والصياغة الجديدة وحسن التشكيل.

« وعمل **الجرجاني** إلى ربط النحو بالدلالة، فنظر في العلاقة بين المكون التركيبي، والمكون الدلالي، العلاقة التي تأخرت النظرية التحويلية في إدراكها، ومعرفة أهميتها إلى ظهور كتاب **تشومسكي** الثاني، بعد كتابه الأول بعشر سنوات²».

فالنظم- عند **الجرجاني**- « لا معنى له غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم³، ويتم ذلك بترتيب الألفاظ باعتبارها خدماً للمعاني وتابعة لها وخاضعة لمعاني النحو التي لا تخرج عن المقاييس اللغوية المعمول بها وفق سمت كلام العرب، وتوخي النحو يقصد به

¹ الباقلائي، إعجاز القرآن، ص:197.

² حسام البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافية الدينية.

القاهرة، (د.ط)، 1994، ص:51.

³ الجرجاني، دلائل الإعجاز، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، 1424-2003، ص:357.

توحي تلك المعاني الدالة على المعقولية ولا تخالف النهج اللغوي ولا المنطق العقلي، وترتيب الألفاظ وانسجام المعاني في النفس، يقول **الجرجاني**: "وليس الغرض بنظم الكلم إن تواتت ألفاظها في النطق، بل أن تتاسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل... فما النظم إلا أن تقتني في نظم الكلمات آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس"¹.

ولذلك كان فضل **الجرجاني** كبيرا في دراسة موضوعات تتعلق بنحو النصّ وبيان آليات انسجامه، ولا نشير هنا إلى دراسة موضوع الحذف، والذكر، والتقديم والتأخير والحقيقة والمجاز، والاستعارة والكناية، والتعريض، وإذ هي موضوعات مرتبطة بجودة النصّ، وأثره في المتلقي، وتؤثر في تمايز بالنصوص بعضها من بعض، ولا ترتبط بموضوع كيفية بناء النصّ، من حيث هو نص، وقوانين إنشائه مباشرة، وإن كانت ذات أثر فاعل في تحديد مفهوم النصّ ذاته، ومع أن كثيرا من الدارسين رأوا في دراسة تلك القضايا في دلائل الإعجاز وعيا من **الجرجاني** بنحو النصّ².

وقد كان لإدراك **الجرجاني** لطبيعة علم النحو أثره البارز في خدمة النصوص وفهمها فهما علميا دقيقا، ومن الجوانب التي تطرق إليها ولها علاقة مباشرة بلسانيات النصّ الآن، كما سبق ذكرها، موضوع الفصل والوصل، الذي يعد الموضوع البارز لما يجب أن يبحث في هذا العلم³.

وقدم **الجرجاني** في كتابه الدلائل، أكثر من نظرية جديدة لعلم النحو ومما يوضح صدق هذه الدعوى قوله: «واعلم أن ليس النظم، إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه، التي نهجت، فلا تزيع عنها،

¹ الجرجاني ، دلائل الإعجاز، ص:102.

² عمر أبو خرمة، نحو النص، نقد نظرية وبناء أخرى، عالم الكتب الحديث، أريد، الأردن، ط01، 1425-2004م.

ص:43

³ محمود بوسنة ، الاتساق والانسجام في سورة الكهف ، ص : 32

وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تخل بشيء منها، وذلك أنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه، غير أن ينظر في وجوه كل باب، وفروقه»¹.

يتبين جلياً من رأي الجرجاني بأن النص لا يتكون إلا حسب مقتضيات وقوانين النحو ومناهجه ، « وهو يدرك تماماً أن علم النحو، ليس نحو الجملة فقط »² ، إذ يرى بأن نحو الجملة أحد أجزاء علم النحو، بل جزء يسير منه فقط ، فهذا الجزء اليسير الذي يمكن تسميته نحو الجملة* ضمن مفهوم الجرجاني ، ويرى في علم النحو أجزاء أخرى وذلك في قوله : «وينظر في الحروف التي تشترك في معنى، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى، فيضع كلا من ذلك في خاص معناه»³ ، وهذا الجزء من علم النحو، يعد أشد الأجزاء اتساقاً بنحو الجملة ، لكنه يعتبر توسعة له، إذ يوضح ما يرتبط بالجملة ارتباطاً أصلياً، بعد تمام أركانها الأساسية، المسند إليه، والمسند مع العلم أن الحال بأشكاله المختلفة والمفاعيل بأنواعها ، والتميز، والتوابع...أصلياً، من هذا الجزء وليس من نحو الجملة بل هو ما يمكن أن نطلق عليه" نحو ما فوق الجملة" ⁴ ، أي نحو المتعلقات، ثم يعطي الجرجاني جزءاً ثالثاً من أجزاء علم النحو- كما يراه- وذلك حينما قال: « وينظر في الجمل، التي تسرد، فيعرف مواضع الفصل فيها، من مواضع الوصل... »⁵ ، ويعتبر هذا الجزء هو الجزء الثالث من علم النحو، وهو الجزء الأساسي في نحو النص، لأنه المميز الحقيقي لنحو الجملة عن نحو النص، إذ يتجلى فيه ربط الجمل المتتالية ، التي تشكل الوحدة الكلية للنص، ومن خلاله يتم توضيح العملية التماسكية داخل النص .

ثم يذكر جزءاً رابعاً من أجزاء علم النحو، وذلك في قوله: « وينظر في التعريف والتكثير والتقديم والتأخير في الكلام كله، وفي الحث والتكرار والإضمار والإظهار، فيضع كل

¹ الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:127.

² عمر أبو خرمة، نحو النص، ص:44.

* تقسيم هذه الأجزاء من علم النحو ذكرها عمر أبو خرمة، المرجع السابق، ص:43-45.

³ الجرجاني، المرجع السابق ، ص:127.

⁴ عمر أبو خرمة، المرجع السابق ، ص:45.

⁵ الجرجاني، المرجع السابق، ص:127.

من ذلك مكانه، ويستعمله على الصحة ، وعلى ما ينبغي له ¹ ، وهذا الأخير من أجزاء النحو هو الذي يقاس به تمايز النصوص بعضها من بعض، إذ هو المظهر لوعي الناص، أو الناظم، في ترتيب كلامه ، حسب توالي المعاني في النفس، من جهة ، وتأثيره في المتلقي من جهة ثانية ، كان هذا هو الذي أكد **الجرجاني** أنه مدخل الإعجاز القرآني ².

فالجرجاني ربط بين النظم القرآني ومضمونه لأن مدار اهتمامه كان منصبا حول إعجاز القرآن، فيكون بذلك قد ربط بين جانبيين لا يمكن الفصل بينهما لفهم المقصد من النصوص، وهما الجانب التركيبي والجانب الدلالي ³.

وإلى معنى التأليف والترتيب يشير في كتابه أسرار البلاغة بقوله : « والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب» ⁴، ومما هو واضح من كلام **الجرجاني** أن الشيء البارز والمميز لنظرية النظم عنده هو فكرة تعليق الكلم بعضها ببعض وليس هو النظم في حد ذاته، يقول **تمام حسان**: « وأما أخطر شيء تكلم فيه **عبد القاهر الجرجاني** على الإطلاق، فلم يكن النظم ولا البناء ولا الترتيب وإنما كان "التعليق"، وقد قصد به... إنشاء العلاقات بين المعاني اللغوية بواسطة ما يسمى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية» ⁵.

وفي هذا يقول: « لا نظم في الكلم، ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض، ويبني بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك» ⁶ ، معنى هذا أن:

النظم ← التعليق.

يعرف **الجرجاني** الأسلوب على أنه ضرب من النظم والطريقة فيه، ويعرفه المحدثون بأنه إسقاط محور الاختيار على محور التركيب.

¹ الجرجاني ، دلائل الإعجاز، ص:127.

² المرجع نفسه، ص:149.

³ محمود بوسنة ، الاتساق والانسجام في سورة الكهف، ص : 34

⁴ الجرجاني، أسرار البلاغة، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط02، 1420-1999م، ص:08.

⁵ تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط03، 1418هـ-1998م، ص:188.

⁶ الجرجاني، المرجع السابق، ص: 188.

النظم = الأسلوب = إسقاط محور الاختيار على محور التركيب.

أما التعليق = الربط بين الكلم¹.

فبناء الأسلوب ليس مجرد ضم الألفاظ، إنما مسألة الضم على عملية التعليق، ففي التعليق تلعب العلاقات النحوية دورا بالغا، يقول الجرجاني: « وأعلم من الكلام ما أنتت المزية في نظمه الحسن، كالأجزاء من الصيغ تتلاحق، وينضم بعضها إلى بعض حتى تكبر في العين، فأنت لذلك لا تكبر شأن صاحبه، ولا تقضي له بالحذف والأستاذية، وسعة الذرع، وشدة المنة حتى تستوفي القطعة² ».

فالنظم الحسن يستدعي:

✓ التلاحق بين الأجزاء المكونة للنص.

✓ الضم.

✓ تلاحق القطعة كلها.

والجرجاني لا يرى بأن النظم يخرج عن القواعد النحوية، فيكون بذلك قد أرسى اللبنة الأساسية الأولى لمفاهيم نظرية لم تتجسد وتتبلور إلا في العصر الحديث كالدور الذي يلعبه كل من التكرار والحذف والإضمار والإحالة في تماسك البنية الكلية للنص، بحيث أصبحت هذه العناصر صميم الدراسات النصية المعاصرة .

وكما ذكرنا سابقا بأن مدار اهتمام الجرجاني كان منصبا حول الإعجاز القرآني وتحليل معنى الآيات، فدراسته هذه كانت صورة حقيقية للدراسات النصية المعاصرة ، ففي قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَسْمَأْهُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ^ط وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ هود (44)³ .

¹ نوال الحلف، الانسجام في القرآن الكريم، ص: 108-109.

² الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 133.

³ محمود بوسنة ، الاتساق والانسجام في سورة الكهف ، ص : 36

يقول **الجرجاني**: « فتجلى لك منها الإعجاز، وبهرك الذي تسمع ، إنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة، والفضيلة القاهرة، إلاّ لأمر يرجع ارتباط هذا الكلم بعضه ببعض، وأن لم يعرض لها الحسن والشرف إلاّ من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة ؟ وهكذا إلى أن تستقر بها إلى آخرها ، وأنّ الفضل ناتج ما بينها ، وحصل من مجموعها... ثم مقابلة " قيل" في الخاتمة" بقيل" في الفاتحة... كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب»¹.

تبين لنا من خلال هذا القول ، والأقوال السابقة ذكرها، وكذا الأقوال المبنوثة في كتابي، دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، أنّ **الجرجاني** قد عالج قضايا عدة هي من صميم لسانيات النصّ في الوقت الحالي كالحذف والتكرار والوصل والفصل وكذا الإيحاء، بالإضافة إلى ردّ العجز على الصدر أي ربط الآخر بالأول ، وكذلك اعتبار النصّ وحدة كلية متماسكة الأجزاء متعالقة الوحدات تتشكل بمجموعها من البداية إلى النهاية نصا واحدا ، فهو يعد بحق أحد البلاغيين البارزين الأوائل ، الذين انتهجوا نهجا سليما وواضحا حمل في جنباته بذور علم جديد ، ظهر في نهاية الستينات وبداية سبعينات القرن الماضي ، على أيدي علماء غربيين، جعلوا من النصّ أساس الدراسة من أمثال، **فان دايك** و**هاليدي** و**دي بوجراند** وغيرهم.

2- التراث النقدي:

نحاول أن نشير إلى أن غايتنا ليست إثبات أو نفي إدراك العرب القدامى ووعيهم بتماسك النصّ واتساقه وانسجامه من عدم ذلك، وإنّما هو محاولة إيجاد الوسائل التي يتماسك بها النصّ عند هؤلاء النقاد .

¹ الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:98.

أ- حازم القرطاجني والتماسك النصي:

لقد عاش حازم القرطاجني في القرن السابع الهجري (ت: 684هـ)، في عصر عرف فيه النقد تطورا ورؤى أكثر نضجا ووعيا، ولقد بلغ النقد في هذا العهد فهما ناضجا للتركيب، تجاوز حدود الجملة إلى مستوى النص.

وينفرد هذا الرجل بنظرة أكثر شمولاً للنص، تميزه عن غيره... فهو أول من قسم القصيدة العربية إلى " فصول " • زعم أن لها أحكاما في البناء وأول من أدرك الصلة الرابطة بين مطلع القصيدة¹ ، وما سماه بالمقطع ، وهو آخرها الذي يحمل في ثناياه الانطباع الأخير والنهائي عن القصيدة ، ولا بد أن تكون مواد الفصل².

1- متناسبة المسموعات والمفومات.

2- حسنة الاطراد.

3- غير متخاذلة النسيج.

4- غير متميز بعضها عن بعض، التميز الذي يجعل كل بيت كأنه منحاز بنفسه.

فإن كانت الشروط الأربعة دالة على التناسب والاطراد والتماسك والترابط كأوصاف ينبغي أن تتوفر في المواد التي تشكل منها الفصل، فإن الشرطين الأخيرين خاصة، شديدا الإلحاح على الترابط، ويستفاد ذلك من سلبية " تخاذل النسيج " أي كونه مهلهل الخيوط، غير متصل بعضها ببعض على الوجه الأكمل، وكأنني بالقرطاجني يرى الكلمات خيوطا متداخلة ينشأ من قوة تشادها ثوب مكتمل متينه³.

ولقد اهتم حازم القرطاجني باللفظ والنظم والأسلوب، ورأى في حسن التركيب والتأليف صورة لها أهميتها الكبرى، ورأى بأن الكلام كلما كان متلائما غير متنافرا، متعادل الأجزاء

• الفصل عند حازم القرطاجني إنه بيتان، في غالب الأحيان، إلى حدود أربعة أبيات تتضافر لأجل إيصال معنى معين.

¹ ابراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1997، ص:56.

² محمد خطابي، لسانيات النص- مدخل الى انسجام الخطاب- المركز الثقافي العربي، بيروت، ط01، 1992،.

ص:150-151

³ المرجع نفسه، ص:151.

ومتواصلًا، ومتشاكلًا ومتساويًا ، كلما أحدث في المتلقي نوعًا من الإحساس باللذة ، والإفادة الفنية¹ .

فيحلوا بذلك الكلام ويتزين، ويبرز في أنقى وأبهى صورة ، وهذا ما أشار إليه بقوله : « وكلما وردت أنواع الشيء وضروبه مرتبة على نظام مشاكل وتأليف مناسب ، كان ذلك أدعى لتعجب النفس، وإبلاغها بالاستماع من الشيء ، ووقع منها الموقع الذي تتراح له² .
وقد قسم حازم كتابه " منهاج البلغاء وسراج الأدباء " إلى أربعة أقسام، ومباحث هي: اللفظ المعنى، النظم والأسلوب، لأنّ للوصول إلى مستوى النصّ لابد من البدء باختيار اللفظ إلى النظم والأسلوب.

مستوى الجملة	{	يمثل المستوى المعجمي	مبحث اللفظ:
		يمثل المستوى الدلالي	مبحث المعنى:
مستوى النص	{	يمثل المستوى التركيبي	مبحث النظم:
		يمثل المستوى النصي	مبحث الأسلوب:

يقول وقد أشرنا إلى بعض ما ينحوا الشعراء نحوه فيما يرجع إلى أمور لفظية أو معنوية أو تنظيمية أو أسلوبية³ .

ولا شك في أنّ... الذي تذكره- باعتزاز- عن آراء حازم القرطاجني في الترتيب الداخلي للنص ، شيء قلّ أن نلاحظ نظيره في كتابات البلاغيين، من قدماء ومحدثين، وربما كان هذا المنحنى في النظر في بنية النصّ ، يسوغ لنا الدعوة لاستئناف النظر في التراث البلاغي العربي، على هدى مما نجده لدى المحدثين الغربيين في علم النصّ خاصة⁴، وفي حديثه عن العلاقات بين الفصول وإشارته إلى الاطراد في تسويم رؤوس الفصول يتطابق هذا

¹ محمود بوسنة، الاتساق والانسجام في سورة الكهف، ص : 37

² حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، دار الغرب الاسلامي، بيروت، (د.ط)، 1986، ص:245.

³ محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، افريقيا الشرق، ادار البيضاء، 1999، ص:498.

⁴ ابراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النص، ص:62.

النظر ويكاد يكون حرفيا مع ما ذهب إليه (فان دايك) في حديثه عن ترابط البنى المؤلفة لكل نص، ويستعمل حازم مصطلح الاقتران وهذا المفهوم يقترب من مفهوم الاتساق Cohérence¹.

ومن هنا كان لحازم القرطاجني السبق في الاهتمام بانسجام النص الشعري وتلاحمه، كما كان لحازم السبق أيضا في تجديد بعض المفاهيم النقدية كمفهوم النظام والذي يقترب من مفهوم النسق، وكذا مفهوم الاقتران الذي سبق ذكره².

كذلك فقد اهتم حازم القرطاجني بالوحدة الشعرية، وبين العلاقات والروابط بين الجمل المكونة لها، يقول جابر عصفور: «إن مفهوم حازم للوحدة الشعرية متصل بمفهوم الوحدة عند أرسطو في كتابه فن الشعر... ويبدو أن الذي ساعده على ذلك هو أن القصيدة العربية أشار إلى أن شعر المحدثين أحسن مأخذا في التخلص والاستطراد من القدماء»³.

وكان اهتمامه أيضا حول التأليف والتلاؤم في الكلام، فتكلم عن تلاؤم حروف الكلمة الواحدة، وكذا كلمات الجملة الواحدة، وأيضا الجمل بعضها مع بعض، إلى أن تشكل لنا وحدة منسجمة⁴، ولم يُغفل حتى الانسجام الصوتي والذي له مكانة عنده، لأهميته في الربط بين المعاني.

ولم يكن اهتمام حازم بالانسجام على المستوى الصوتي، والمعجمي، والدلالي بل تعداها إلى المستوى التداولي، ويرى أن التأثير على الملتقي مرتبط بحسن ديباجته، وهي أمور تتعلق باللفظ والمعني، والنظم، والأسلوب، ومرتبطة أيضا باستعداد وقابلية، والاستعداد نوعان:

▪ حال وهي النفس

¹ نوال لحلف، الانسجام في القرآن الكريم، ص:113.

² محمود بوسنة، الاتساق والانسجام في سورة الكهف، ص: 39

³ جابر عصفور، مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي، دار التنوير، بيروت، ط03، 1983، ص:201، (نقلا عن نوال

لحلف، المرجع السابق، ص:113.

⁴ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، ص:222.

▪ الاعتقاد في الشعر أنه حكم وأنه غريم¹.

فالبعد التداولي مرتبط عند حازم بالسياق النفسي أكثر وهو مما جعله يقترب في كثير من آرائه، مما توصل إليه **فان دايك** والذي يدخل عناصر دلالية تداولية في وصفه وتحليله للنصوص فنستطيع بذلك أن نقول، أن **حازم القرطاجني** يكون بذلك قد سبق بجهوده هذه الغرب بعدة قرون ، وبذلك فقد آن الأوان لقراءة تراثنا بنظرة معاصرة ، لا يكفيها دوام المطالعة، بل المزيد من الاستنباط والرؤية العميقة² .

ب- الجاحظ والتحام الأجزاء.

لقد تحدث **الجاحظ** عن التماسك والتحام الأجزاء، بحيث وردت له في البيان والتبيين، أبيات شعر تدم الشعر المفكك، مذيّلة بتعليقات **الجاحظ**³ .
وحسب ما أورده يمكننا إبراز معنى ومبتغي قوله تلاحم الأجزاء وذلك بحصر الأجزاء فيما يلي:

▪ الأبيات المشككة للقصيدة .

▪ الأجزاء المشككة للبيت (الصدر والعجز).

▪ الأجزاء المشككة للشطر-الألفاظ .

▪ الأجزاء المشككة للفظ- الحروف(الأصوات) .

وقد انصب اهتمام **الجاحظ** على العنصرين الأخيرين، كما تشهد على ذلك الأمثلة الشعرية وتعليقاته عليها وأما جامع هذا الاهتمام فيمكن في البعد الصوتي ومدى تألفه أو تنافره، فالتألف مرتبط بتباعد مخارج الأصوات، سواء في الكلمة الواحدة أو في الكلمات المتجاورة، والتنافر مرتبط بتقارب المخارج أو تماثلها⁴ .

ونستخلص من هذا أن تلاحم الأجزاء مترتب عن تلاؤم الأصوات المشككة للألفاظ⁵ .

¹ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء ، ص:274.

² محمود بوسنة ،الاتساق والانسجام في سورة الكهف ، ص : 40

³ الجاحظ ، البيان والتبيين ، دار الفكر ، بيروت ، ج1، ص:87-88.

⁴ محمود بوسنة ، المرجع السابق ، ص : 42

⁵ محمد خطابي، لسانيات النص، ص:143.

هذا دون أن ننسى مسألة هامة جدا، وهي ربطه الكلام بالنسيج كان مثله مثل ارتباط النصّ الغربي بالنسيج، إلا أن هذا الربط عند **الجاحظ** تمّ وحصل بالمقايسة والمثابفة والاستعارة، فيشير في كتابه إلى أوصاف للكلام فيقول: « والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي ، والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخيير اللفظ ، وسهولة المخرج ، وكثرة الماء في صحة الطبع ، وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج ، وجنس من التصوير»¹.

يبين لنا **الجاحظ** من خلال آرائه النقدية هذه وجهوده من أجل إظهار تلاحم الأجزاء وجودة السبك، وتشبيه الكلام الجيد بالنسيج، إنه يقعد جنبا إلى جنب مع كبار البلاغيين الذين قاموا بإرساء قواعد لسانيات النصّ والذي تعد البلاغة السابقة التاريخية له.

3- النظرية الدينية:

الدراسات النصّية من خلال علم التفسير وعلوم القرآن:

سنخصص هذا الجزء للبحث في محاولة علماء الإسلام ودورهم في إظهار كيفية تماسك النصّ القرآني، لأنّ القرآن يعد عند هؤلاء بؤرة الاهتمام التي أنشئت إليها أنظارهم على أن ما يهمننا بالذات هو استخراج بعض الوسائل والعلاقات والآليات التي تفتن لها العلماء، كونها تجعل النصّ القرآني آيات وصور كلّ واحد متماسك الأجزاء والوحدات على الرغم من تباعد فترات النزول وأسبابه.

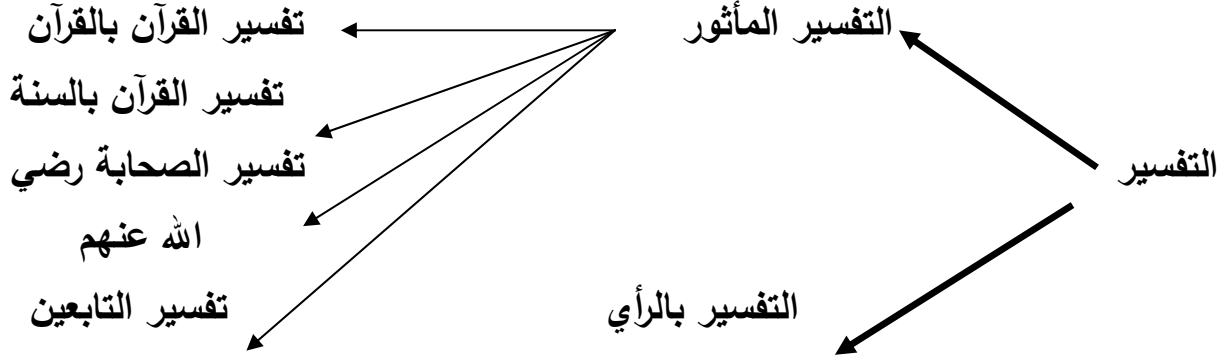
3-1- علم التفسير:

لقد اختلف العلماء في تفسير القرآن الكريم وتأويله وهذا ما جعله خالدا، تجدد قراءاته بتغير العصور والأمصار، لأنّ خلود القرآن الكريم مرتبط أساسا بتجدد قراءته، ورغم تجدده فإنّ التفسير لا يخرج عن نوعين هما:

¹ الجاحظ، البيان والتبيين، ص:100.

-تفسير بالمأثور.

-تفسير بالرأي.



يعتمد التفسير بالمأثور على كلّ من القرآن نفسه ثم السنة النبويّة وما روي عن الصحابة، وأضيف إلى ذلك ما روي عن التابعين وذاك لأخذهم عن الصحابة في غالب ما يقولون¹.

أما التفسير بالرأي: فهو ضربان:

الضرب الأول : ما كان قائماً على الدليل أو مستنداً إلى برهان²، ولا يخالف كلام الرسول صلّ الله عليه وسلّم والصحابة والتابعين مخالفة تضاد، إنّما يوسع المعنى دون مخالفة³، مع مراعاة بقية الشروط في قبول التفسير بالرأي⁴.

الضرب الثاني: وهو ما كان مستنداً إلى هوى من الأهواء، كان تكون سياسة أو مذهبية أو شخصية وهو تفسير لا ينهض على دليل معتبر أو برهان مشروع، وهذا الضرب من التفسير قد نهى عنه الشارع وحذر من التورط فيه⁴.

¹ أمير عبد العزيز، دراسات في علوم القرآن، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، ط02، 1408-1988م، ص:157

² المرجع نفسه، ص: 157

³ محمد عمر بازمول، شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، الدار الأثرية، عنابة، الجزائر، ط 1، 2003، ص: 42،

* بقية الشروط هي: 1- ان يتفق مع سياقه الآية (الإشارة الى علم المناسبات)، 2- ان لا يتنافى مع دلالة الألفاظ من.

حيث اللغة-3- ان لا يتعارض مع اصول الكاملة، 4- ان لا يؤدي الى نصرة اهل البدع والاهواء المذمومة

⁴ امير عبد العزيز، المرجع السابق، ص:160.

وضمن الضرب الأول من التفسير بالدراية، يدخل اهتمام المفسرين بالمناسبة بين الآية والسورة ، يقول الله عز و جل : ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ محمد (24)، ومن أشهر التفاسير في هذا الشأن: تفسير البقاعي ، وهو مثال فقط من تفاسير عدة اهتمت بعلم المناسبات، والذي من خلاله ثبت أن نظرة علماء العرب والمسلمين للنص القرآني لم تكن تقتصر على دراسة الجملة بل تعدت إلى السورة الكاملة ، بل إلى كتاب الله كله نظرة تراپطية شاملة، لذلك سنتطرق إلى تفسير واحد من التفاسير بالمأثور اختصارا، ونبين كيفية تجاوز مفسرينا القدامى الجملة إلى ترابط الجمل والوحدات والأجزاء¹.

أ-الطبري: مسألة الربط بين الجمل:

يعد تفسير الطبري (ت:310)-جامع البيان في تفسير القرآن-من أشهر التفاسير بالمأثور، وقد كان يجتهد قدر الإمكان ألا يلجأ إلى التفسير بالرأي².

ومما هو ملاحظ فإن إدراك الطبري للعلاقات بين الجمل كان من خلاله جعله الوصل في المفردات مدخلا لمعرفة الوصل في الجمل، وقد رأى أن الوصل في الجمل على نوعين: وصل مجموع الجمل والمعطوف على حمل الجزاء و الشرط المعطوف على جمل الجزاء وهو شكل يتم على عمق النظر ودقة التحليل³.

وجعل الطبري أغراض الوصل في: الوصل لأمن اللبس، أو الوصل للتمييز تشريفا، أو الوصل لتوكيد تفرد العلم الإلهي بالتأويل: مما نجده في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ﴾ (البقرة-98).

ومع ذلك قد يكون الفصل أبلغ من الوصل، وقد يكون التناسق الداخلي للجمل أقوى من وصلها برابط⁴.

¹ محمود بوسته ، الاتساق والانسجام في سورة الكهف، ص : 44

² ابن حرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط03، 1997، ج1، ص59.

³ محمود بوسته ، المرجع السابق ، ص : 45

⁴ الموسوعة الشاملة للقرآن الكريم، قسم التفسير، شركة ميديا يرو، مصر.

وقد حدّد الطبري أغراض الفصل في الجمل في الآتي:

✓ -إيضاح المعنى وبيانه.

✓ التفصيل بعد الإجمال.

✓ الاستطراد.

✓ الاستئناف.

✓ إجابة عن سؤال مقدر¹.

ولقد كانت دراسة الطبري للوصل والفصل في ثنايا تفسيره، دراسة ذكية خاصة في حديثه عن أغراضها، فقد عمل على تأويل الحروف الرابطة ووظائفها وهو في هذا يقترب مما قدمه "فان دايك" عن الفصل والوصل، لكن هذا الأخير جعل الفصل مقترنا بأداة العطف "أو"، كما ربط كل ذلك بالمنطق الصوري وأسلوب التجريد².

يتضح لنا مما سبق أن الطبري لم يفعل الترابط بين الجمل ولم تقتصر دراسته على الجملة فحسب، بل تعدى ذلك إلى الوصل والفصل بين الجمل الأخيرة التي تعد في الوقت الحالي من القضايا الهامة في لسانيات النص.

ب-البقاعي والدراسة النصية:

يعد كتاب برهان الدين البقاعي "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" من أبرز الكتب التي ألفت في قضايا الدراسات النصية، على مستوى التطبيق في التراث العربي، حيث أنه من الكتب السبّاقة في مضمار الربط بين الجمل، في المتتالية النصية، سواء على مستوى ربط السورة الواحدة، أو ربط السور المتتالية، والمتباعدة حتى أنه ربط سورة الناس بسورة الفاتحة، ولم يأل جهداً في ربط ما بينهما³.

وفي تفسيره يركز البقاعي على ربط الجمل بعضها ببعضها الآخر، أكثر من عنايته بربط عناصر الجملة الواحدة، ولم يكن ذلك إنكاراً منه لوجود الرابط، بل لأنه رأى أن ذلك

¹ رابح دوب، البلاغة عند المفسرين، ص:402-412، نقلا عن: نوال لخلف، الانسجام في القرآن الكريم، ص:125.

² نوال لخلف، الانسجام في القرآن الكريم، ص:126.

³ انظر: عمر أبو خرمة، نحو النص، ص:48.

أسهل، بقول: «وهذا العلم-يقصد علم المناسبات-ليكشف أنّ الإعجاز طريقتان: أحدهما نظم كلّ جملة على حيالها بحسب التراكيب، والثاني نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب، والأول أقرب تناولاً»¹.

ويقول في توضيح الفكرة الثانية: «والذي ينبغي في كلّ آية، أن يبحث كل شيء، عن كونها تكملة لما قبلها، أو مستقلة، ثم المستقلة، ما وجه مناسبتها لما قبلها»².

ويرى البقاعي أنّ الأسلوب هو الترتيب المخصوص في نظم الآي، فيقول في سورة البقرة: «ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها، علم أنّ القرآن كما أنّه معجز بحسب فصاحة ألفاظه نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها، علم أنّ القرآن كما أنّه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضا بسبب ترتيبه، ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: معجز بسبب أسلوبه، أرادوا ذلك»³، ويؤكد أنّ المفسرين قصرُوا عن هذا الباب، لدقة مداخله، فيقول: «إلاّ أنّي رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف، غير منتبهين لهذه الأسرار»⁴، وينظر إلى هذا العمل ليس عبثا وإضاعة للوقت بل له فوائد وثمراته، فيقول: «وثمرته-يقصد علم المناسبات-الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء، بسبب ما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب، فعلم مناسبات القرآن، علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سرّ البلاغة، لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني، لما اقتضاه الحال»⁵.

وهذا المنهج الذي اتبعه استعمله المفسرون عندما تكون الحاجة ماسة إلى مثل هذا الربط-من وجهة نظرهم-أو عندما يسألون عن علة مثل هذا الترتيب، في القرآن، ولكنهم-غالبا-كانوا ينصرفون عن مثل هذا المنهج من أجل أعمالهم، منشغلين في تفسير النصّ آية

¹برهان الدين البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، بيروت ، ط1، 1995، ج8 ، ج1، ص:611.

² المرجع نفسه، ج1، ص:06

³ المرجع نفسه، ج1، ص:06

⁴ المرجع نفسه، ج1، ص:06-07.

⁵ المرجع نفسه، ج01، ص05.

آية، أو جملة جملة، وفي أقصى اعتبار موضوعات منفصلة، دون الولوج إلى عوالم النص الداخلية، لاحتكام أجزائه بعضها ببعض¹.

ربما هذا كله يومئ بوجود مجموعة من القواعد والمبادئ العامة في ذهن البقاعي في نظرة للنص على أنه ترابط الفقرات بعضها ببعض وتماسك فيما بينها لتكون لنا وحدة النص الكلية.

ويذهب إلى أن اسم كل سورة متعلق بما يرد فيها والعلاقة فيها علاقة تفصيل بعد إجمال، وهكذا يتبين لنا الدور الهام الذي قام به البقاعي في الدراسات النصية، وعلاقة ما قاله بما هو متداول الآن في لسانيات النص².

3-2- علوم القرآن:

- الزركشي والسيوطي: التنظير لعلم المناسبات:

يقتررب مفهوم المناسبة بين الآيات والسور من مفهوم الانسجام، بل وبعبارة أخرى، إن البحث في انسجام النص القرآني يضطلع به علم المناسبة الذي يجعل للعرب والمسلمين سبق في إدراك علم النص، في تحليل النص على مستوى أعلى يتجاوز حدود الجملة الضيقة.

وبعد كتاب "البرهان في علوم القرآن" للإمام الزركشي، أحد علماء القرن الثامن الهجري (ت:744هـ) وكتاب "الإتقان في علوم القرآن" للإمام جلال الدين السيوطي (ت:911هـ)، من أهم كتب علوم القرآن التي تناولت علم المناسبات تناولاً تنظيرياً، بعدما أفردا لهذا العلم فصلاً خاصة به في كتابيهما الذين يعدان أشهر كتب علوم القرآن.

يذهب الزركشي في موضوع المناسبة بين الآيات، إلى ارتباط الآي بعضها ببعض على قسمين:

القسم الأول: تكون فيه الآية معطوفة على ما قبلها، ولا يبقى على المفسر إلا البحث عن الجهة الجامعة بينهما.

¹ عمر ابو خرمة ، نحو النص ، ص : 51.

² محمود بوسته ، الاتساق والانسجام في سورة الكهف، ص : 48

القسم الثاني: لا تكون فيه الآية معطوفة¹، وإذ ذلك « لا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام، وهي قرائن معنوية مؤذنة بالربط»².

أما موضوع مناسبة خاتمة السورة للفاصلة، فقد أورد مثالين³، وتعتبر مناسبة خاتمة السورة لفاصلتها نوعا من رد العجز على الصدر، ومن ذلك فهي تعتبر سمة مشتركة في دراسة النص والنص القرآني.

وتطرق الزركشي أيضا إلى مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها واعتبر ذلك أسلوبا معتمدا في القرآن الكريم.

وتكلم عن مناسبة السورة للحرف الذي ينبت عليه والمقصود من هذا النوع أن كثيرا من السور مسماة أو مفتحة بحرف من حروف اللغة، وأن معظم الكلمات التي تتألف منها السورة يتراكم فيها هذا الحرف المكرر، وربما كانت دلالة الكلمات معضدة للسمات الصوتية لهذا الحرف⁴.

ومن المواضيع التي جاء بها الزركشي، المناسبة بين السورة واسمها، بحيث يذهب الزركشي إلى أن تسمية السورة باسم معين « ليس إلا تعصيذا لتقليد معلوم عند العرب، وهو تقليد يراعي في كثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه... ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز»⁵.

أما السيوطي فقد بدأ في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" بذكر أهم المؤلفات التي تناولت علم المناسبة، ثم انتقل إلى ضبط المفاهيم والمصطلحات، ومادة البحث المنتهجة، يقول السيوطي: «المناسبة في اللغة المشاكلة ومرجعها في الآيات، ونحوها إلى معنى رابط بينها

¹ محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 193.

² الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص: 46.

³ الزركشي، المرجع نفسه، ص: 186.

⁴ محمد خطابي، المرجع السابق، ص: 196.

⁵ الزركشي، المرجع السابق ، ص: 270.

عام، أو خاص عقلي أو حسي خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين ونحوه»¹.

العلاقات هذه التي ذكرها السيوطي، قد تكون واضحة بين الآيات والسور، خاصة إذا كانت على وجه التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البدل، وقد تكون خفية يكشف الارتباط بينها من خلال قرائن معنوية كالتضاد والاستطراد، وحسن تخلص²، ولا يخلو تنظير السيوطي من تقديم مجموعة من الأمثلة التطبيقية من الآيات والسور، تدعم وتؤكد أفكاره، يقول مثلاً: « ومنه مناسبة فاتحة السورة لخاتمة، ما قبلها حتى أن منها ما يظهر تعلقها به لفظاً كما في جعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش»³، وهكذا في مواضيع المناسبات المختلفة.

وقد تكلم السيوطي عن تناسب السور في كتاب ألفه أيضاً بعنوان "تناسق الدرر في تناسب السور" وحسب ما ذكره السيوطي في مقدمة الكتاب، يعد هذا الكتاب جزءاً من كلِّ أسماه "أسرار التنزيل" تناول فيه ثلاثة عشر نوعاً من علوم القرآن، خصص ستة أنواع منه للمناسبة سواء بين الآيات أو السور، وتناول فيه:

✓ علاقة الإجمال بالتفصيل بين السور: وأبرز فيه أن السورة اللاحقة تفصيل لما

أجمل (أو لبعض أجمل) في سورة سابقة⁴.

✓ الاتحاد والتلازم: ويقصد السيوطي بالاتحاد والتلازم ذلك التناسب الذي يقوم

بين سورتين، ويتحلى في:

- مناسبة خاتمة السورة الثانية لفاتحة السورة الأولى.
- تلازم لفظي كالجنة والنار.

¹ جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، المكتبة الوقفية، بيروت، (د.ط)، 1973، ج1، ص:108.

² نوال لخلف، الانسجام في علوم القرآن الكريم، ص:122

³ جلال الدين السيوطي، المرجع السابق، ص: 111..

⁴ محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 198.

- اتحاد معنوي كأن يذكر الأصل في سورة سابقة ثم يذكر الفرع في السورة اللاحقة.

يتضح من هذا دور المصنفين في علوم القرآن والذين اهتموا بدرجة أكبر حول انسجام النص القرآني دلاليا، دون إغفال ترابطه الشكلي واتساقه، ويدرك يقينا وعيهم بارتباط أي القرآن بعضها ببعض، وذلك ببحثهم في أنواع المناسبات والعلاقات القائمة بين الآيات من جهة، وبين السور من جهة أخرى.

ومساهمة كل من التراث اللغوي البلاغي والنحوي وكذا التراث النقدي، بالإضافة إلى علماء الدين، سواء المتخصصين في علم التفسير أو بعلوم القرآن الذين اهتموا ببلورة الكيفية التي يتأخذ ويتماسك بها النص القرآني وقد رأينا كيف أن البلاغيين والنحاة والنقاد والمفسرين والمصنفين في علوم القرآن، اجتهدوا جميعا من أجل إبراز كيفية تماسك النصوص الأدبية وأيضا تماسك النص القرآني، مع العلم أن الاهتمام بالتماسك النصي عند المفسرين والمصنفين في علوم القرآن لم يكن الانشغال الوحيد لهم، وإنما كان جزء من انشغال أشمل هو فهم القرآن وفهم الوجوه التي يقع فيها الإعجاز.

ومن كل ما تقدم ندرك يقينا وعي اللغويين والنقاد والمفسرين بأن دراستهم لا تتوقف عند حدّ الجملة، بل تتعدى إلى الربط بين أكثر من جملة، غير أنه لم تكن هناك نظرية كاملة لمعالجة النص بصفته وحدة كلية، ولكن لهم إشارات تستحق التقدير، ولا بد أن تعد لبنات كبرى وأساسية في بناء التحليل النصي.

الاتساق وتجلياته في سورة المائدة

الفصل الثاني



1- مفهوم الاتساق:

تمهيد :

لا شك أن لسانيات النص تتعامل مع النص على أنه وحدة كلية، ولذلك كان المدخل إلى التحليل النصي عن طريق إبراز الخواص التي تؤدي إلى تماسكه، وتعطي تفصيلاً لمكوناته التنظيمية النصية، وتعد المفارقات اللسانية من أهم طرائق دراسة النص، إذ إنها تركز في مستواها الأول على التلاحم بين أجزاء النص، وروابطه الداخلية، وهذا ما أدى بكثير من الباحثين المهتمين بالدراسات النصية إلى توجيه الأنظار إلى أحد الآليات المهمة في تماسك النصوص وتعالقها، وهي آلية الاتساق وهي من أهم الآليات المتحكمة والمساهمة في دراسة بنية النص، وإبراز مواطن تحقق التماسك فيه من عدمها، فكان بذلك لازماً أن نقوم بتجديد مفهومه وأهم أدواته قبل وضع السورة - المائدة - على محك التجربة والتطبيق، على أن يبقى السؤال الأساسي والمهيمن على هذا الفصل هو: ماهي أهم وسائل الاتساق النصي التي أسهمت في تماسك هذه السورة؟

1- لغة:

إذا رجعنا إلى القواميس، وأمهات الكتب العربية باحثين عن المعنى الذي يمكن أن يأخذه الجذر (وس ق) فإننا نجده يدور حول مفهوم الاكتمال والتّمام¹، فقد جاء في لسان العرب " لإبن منظور " (ت: 711هـ) في الجذر (و س ق) : « استوسقت الإبل: اجتمعت، ووسق الإبل: طردها وجمعها ... واتسقت الإبل واستوسقت: اجتمعت، وقد وسق الليل واتسق؛ وكل ما انضم، فقد اتسق، والطريق يأتسق، ويتسق أي ينضم ... واتسق القمر: استوى، وفي التنزيل: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ سورة الانشقاق (16.17.18) . يقول ابن منظور، يقول الفراء: " وما وسق أي وما جمع

¹ سليمان بوراس، (مفهوم الاتساق والانسجام وأشكالهما)، دراسات أدبية⁴، (نوفمبر 2009)، ص: 81

وما ضم . واتساق القمر: امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة ... والوسق: ضم الشيء إلى الشيء ... وقيل كل ما جمع فقد وسق ... والاتساق الانتظام»¹. يتضح مما أورده " ابن منظور " أن كلمة الاتساق كثيرة المعاني، إلا أنها تكاد تجتمع في معاني معدودة رغم تشعب استخدامها، إذ تستخدم في مجملها في معاني: الاجتماع والانضمام، والانتظام والاستواء الحسن، وكل هذا ليس بعيدا بل يكاد يتفق مع معنى الاتساق في اصطلاح المهتمين بلسانيات النص، بل إن أحد هذه المعاني ما يؤدي معناه - أي الاتساق - بدقة متناهية².

أما الفيروز آبادي (ت: 817 هـ) في القاموس المحيط فيقول: « وَسَقَهُ يَسْقُهُ جَمَعَهُ وَحَمَلَهُ وَمَنَهُ: (وَأَلِيلٍ وَمَا وَسَقَ) وطرده ومنه الوسيقة وهي الإبل كالرفقة من الناس فإذا سرقت طردت معاً، واستوسقت الإبل اجتمعت، واتسق انتظم، والميساق الطائرُ يصفق بجناحيه إذا طار»³.

والطائر إذا طار وكان مصفقا بجناحيه، كان في ذلك اتساق كبير وانتظام ظاهر⁴، كما يقول السيوطي (ت: 911 هـ): « اتسق القمر إذا تمّ وامتلاً ليلة أربع عشرة، ووزن اتسق افتعل، وهو مشتق من الوسق ويقال اتسق استوى »⁵.

والملاحظ في الذي ذكر ابن منظور، والفيروز آبادي، والسيوطي أن المعنى الذي يكاد يتكرر حول الجذر (و س ق) هو الاجتماع والانتظام والاكتمال، وهذا لا يبعد أبدا عن المعنى الذي يدور الآن في كتب الاختصاص في لسانيات النص⁶.

¹ ابن منظور، لسان العرب مادة (و س ق)، دار صادر، بيروت، مج 10، ص : 379 وما بعدها .

² محمود بوسته، الاتساق والانسجام في سورة الكهف، ص: 55 .

³ الفيروز آبادي، القاموس المحيط مادة (و س ق)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 8، 2005، ص : 928 .

⁴ سليمان بوراس، مفهوم الاتساق والانسجام وأشكالهما ، ص : 82

⁵ جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح : أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988،

مج 2، ص: 42

⁶ سليمان بوراس، المرجع السابق ، ص : 82

وجاء في المعجم الوسيط « وسقت الدابة تسق وسقا، ووسوقاً: حملت، وأغلقت على الماء رحمها، فهي واسق ... ووسقت النخلة: حملت، ووسق الشيء: ضمه وجمعه ... ووسق الحب: جعله وسقا وسقا، واتسق الشيء، اجتمع وانضم، واتسق انتظم، واتسق القمر: استوى وامتلأ، (استوسق) الشيء: اجتمع وانضم، يقال: استوسقت الابل، استوسق الأمر: انتظم »¹.

مما هو ملاحظ على ما جاء في المعجم الوسيط حول المادة (و. س. ق) وبالتحديد الاتساق أن معظم المعاني التي جاء بها فقد ذكرت في لسان العرب، وهي أيضا تحمل معنى الاجتماع والانتظام والانضمام وحمل الشيء مجتمعا، فهو أيضا لا يبتعد عن معنى الاتساق في الدراسات النصية الحديثة.²

أما المعاجم الغربية فهي كذلك لم تبتعد عما جاء في المعاجم العربية القديمة والحديثة، وقد تتفق في بعض المعاني اللغوية للاتساق مع ما جاء في الدراسات النصية الحديثة .
فقد جاء في معجم (oxford) بأن الاتساق هو « إصاق الشيء بشيء آخر بالشكل الذي يشكلان وحدة مثل: اتساق العائلة الواحدة، وتثبيت الذرات بعضها ببعض لتعطي كلاً واحداً ... »³، ففي هذا المعجم يعني شدة الالتصاق، وتثبيت أجزاء الشيء الواحد بعضها ببعض .

يتضح مما سبق ذكره من المعاجم العربية وفي المعجم الغربي أنه يكاد يكون معنى الاتساق واحد، وهو يدور عموماً حول الجمع والانتظام وانضمام الأجزاء وذلك بإصاق بعضها ببعض في كلٍ موحد، وهذه المعاني تقترب كثيراً من المفهوم الاصطلاحي للاتساق.

¹ ابراهيم مصطفى و آخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مصر، ط 4، 2004، ص : 1032

² محمود بوسته، الاتساق والانسجام في سورة الكهف ، ص : 55

³ OXFORD , (Advanced learner' s Encyclopedia) , (OXFORD : oxford University Press , 1989) , P 173

2- اصطلاحا :

يعد الاتساق (cohesion) أحد المصطلحات المحورية في الدراسات التي تتدرج في مجال لسانيات النص، إذ يكاد ينذر أن نجد باحثا في هذا المجال، لم يعط لهذا المصطلح كثير اهتمام، بل نستطيع القول أن الاتساق أحد المفاهيم الرئيسية في لسانيات النص، وهو يخص التماسك على المستوى البنائي الشكلي، إذ يعرفه محمد خطابي على أنه: « ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص الخطاب ما، يهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته¹ ومما هو واضح أن هذا التماسك لا يقتصر على أمر محدد بذاته، وإنما يتكون من مجموعة من أدوات الترابط النحوي والمعجمي التي تعتبر مكونات فعالة في تحقق الجانب الاتساق، إذ لا يمكن أن نطلق على نص أنه متسق إلا إذا تحقق وجود مجموعة من الروابط التي تعمل على تماسكه.²

ثم يعرج الباحث إلى كيفية رصد تحقق الاتساق في نص من النصوص فيواصل قائلا: « ومن أجل وصف اتساق الخطاب النص يسلك المحلل - الوصف - طريقة خطية، متدرجا من بداية الخطاب (الجملة الثانية منه غالبا) حتى نهايته، راصدا الضمائر والإشارات المحلية إحالة قبلية أو بعدية مهتما أيضا بوسائل الربط المتنوعة كالعطف، والاستبدال، والحذف، والمقارنة، والاستدراك... كل ذلك من أجل البرهنة على أن النص الخطاب (المعطى اللغوي بصفة عامة) يشكل كلاً متآخذاً³ .

وهذه الروابط التي ذكرها خطابي هي: الروابط التي عدّها كل من " هاليداي " و " رقية حسن " من أهم الروابط المساهمة في اتساق النص وتماسكه .

¹ محمد خطابي، لسانيات النص، ص : 5

² محمود بوسته، الاتساق والانسجام في سورة الكهف ، ص : 56

³ محمد خطابي، المرجع السابق، ص : 5

ويرى كلّ من " هاليداي " و " رقية حسن " « أن مفهوم الاتساق مفهوم دلالي، وأنّه يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النّص والتي تحدده كُنص¹ .

يتضح من هذا التعريف أنّ الباحثين قد حصروا مفهوم الاتساق في الجانب الدلالي، ولقد عقب على هذا محمد خطابي وبين بأنّ الاتساق لا يقتصر على الجانب الدلالي فحسب، وإنّما يتم في مستويات أخرى، كالنحو والمعجم وقال بأنّ هذا: « مرتبط بتصور الباحثين للغة كنظام في ثلاث أبعاد ١ مستويات: الدلالة (المعاني)، النحو - المعجم (الأشكال)، والصوت والكتابة (التعبير)، يعني هذا التصور أنّ المعاني تتحقق كأشكال، والأشكال تتحقق كتعابير، ويتعبير أبسط: تنقل المعاني إلى كلمات والكلمات إلى أصوات أو كتابة، ويزداد الوضوح من خلال الشكل التالي»² .

(النظام الدلالي)

المعاني



(النظام النحوي - المعجمي - النحو والمفردات)

الكلمات



(النظام الصوتي والكتابة)

الأصوات ١ الكتابة

ويتجه المعنى العام للاتساق حسب " هاليداي " و " رقية حسن " في مفهوم النّص، فدور الاتساق في نشأة النّص إنّما هو توفر عناصر الالتحام، وتحقيق الترابط بين بداية النّص وآخره، دون الفصل بين المستويات اللغوية المختلفة، فالترابط النّصي هو الذي يخلق بنية النّص، ومن أجل تحقيق ذلك الترابط النّصي لابد من توفير مجموعة من الظواهر التي

¹ Halliday ,M.A.K and R.Hassan, **cohesion in English**,longman,London, 1976 , p : 04

نقلا عن : محمود بوسنة، الاتساق والانسجام في سورة الكهف .، ص : 56

² محمد خطابي، لسانيات النّص ، ص : 15

تعمل على تحقيق الاتساق في مستوى النص، وهذه الوسائل هي: الإحالة، الضمائر، الاستبدال، الحذف، والربط، والاتساق المعجمي.¹

أما محمد الشاوش فيعرف الاتساق: « مكونة مجموعة الإمكانيات المتاحة في اللغة لجعل أجزاء النص متماسكة ببعضها البعض »²، فقله « الإمكانيات المتاحة في اللغة » هي إشارة واضحة إلى الروابط الشكلية، أو العناصر النحوية والمعجمية البارزة في اللغة التي تعمل على ربط أجزاء النص المختلفة³.

أما صبحي إبراهيم الفقي، فقد قال: « بأن مصطلح (cohérence) يستخدم للتماسك الدلالي، ويرتبط بالروابط الدلالية، بينما يعني مصطلح (cohésion) العلاقات النحوية، أو المعجمية بين العناصر المختلفة في النص، وهذه العلاقة تكون بين جمل مختلفة أو أجزاء مختلفة من الجملة »⁴.

ثم يردف قائلاً: « ونرى بدلاً من هذا الاختلاف أن المصطلحين يعنيان مع التماسك النصي، ومن ثم يجب التوحيد بينهما باختيار أحدهما وليكن (cohésion)، ثم نقسمه إلى التماسك الشكلي والتماسك الدلالي، فالأول يهتم بعلاقة التماسك الشكلية بما يحقق التواصل الشكلي للنص، والثاني يهتم بعلاقات التماسك الدلالية بين أجزاء النص من ناحية، وبين النص وما يحيط به من سياقات من ناحية أخرى ... ومن ثم فسوف نعتمد على مصطلح (cohésion) بمعنى التماسك »⁵، فصبحي إبراهيم الفقي يجمع بين مصطلحي الاتساق والانسجام ليولد مصطلح يشمل المعنيين وهو: التماسك النصي .

أما من حيث الاستعمال - الاتساق - فبالعودة إلى الباحث " مفتاح بن عروس " الذي أدلى بدلوه في موضوع الاتساق، من حيث فضل أن يكون التفريق بين المصطلحين

¹ محمود بوسته، الاتساق والانسجام في سورة الكهف، ص : 57

² محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، 2001، ط 1، ج 1، ص : 124

³ محمود بوسته، المرجع السابق، ص : 57

⁴ صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج 1، ص : 95

⁵ المرجع نفسه، ص : 96

لغويا أولا فقال: « يقابل مصطلح الاتساق المصطلح الأجنبي (cohésion)، ويقابل مصطلح الانسجام المصطلح الأجنبي (cohérence) »¹.

وقد بين سبب تفرقه بين المصطلحين، إذ أنه رأى بعض الباحثين قاموا بدمج المصطلحين في مصطلح واحد، وهناك من يذكر أحدهما ويريد به المصطلح الآخر، إلى درجة الخلط بينهما داعيا إلى « ضرورة التفرقة بين المفهومين إذ لا يمكن أن نأخذ الاتساق مرادفا للانسجام: فالاتساق يتحدد لسانيا على مستوى الدالية والنص، أما الانسجام فيتحدد على مستوى المدلولية والخطاب ... »².

والجدير بالملاحظة حول مصطلح الاتساق، أنه يعاني أيضا شيئا من عدم الضبط في تحديد المفهوم، لأن بعضا من الباحثين يعطيه من الدلالة ما لا يحتمله أو يعطيه معنى غير دقيق، فقد يطلقه البعض على التماسك النحوي، كما فعل إبراهيم خليل في كتابه " في اللسانيات ونحو النص "، وأيضا كما سبق ذكره عند صبحي إبراهيم الفقي الذي جمع بين المصطلحين - الاتساق والانسجام - في مصطلح واحد هو التماسك النصي .

وعلى الرغم من عدم دقة استعمال هذا المصطلح، فلنا أن نبتنى الفهم الذي يجعل الاتساق مرتبطا بالجانب الشكلي الترابطي للنص، وانطلاقا من ذلك نورد أدوات الاتساق .

II- أدوات الاتساق في سورة المائدة :

يمثل جانب الاتساق بعدا مهما في دراسة النص القرآني، لأنه يرتبط بجانب الانسجام في أمور كثيرة يرصدها متلقي النص³، لذلك كان هدف هذه الدراسة في هذا الجزء هو استخراج الأدوات التي ساعدت على اتساق سورة المائدة، للوقوف على كيفية الترابط النصي، وطبيعة النظام اللغوي المشكل للسورة للوصول إلى القيمة الدلالية لها، لأن أي عمل لا يقتصر على الجانب الدلالي فقط، وإنما بالتعاقد والتكامل بين الشكل والدلالة، وهو الأمر

مفتاح بن عروس، حول الاتساق في نصوص المرحلة الثانوية (مقارنة لسانية)، مجلة اللغة والأدب، العدد 12، الجزائر

¹: جامعة الجزائر، ديسمبر 1997، ص : 431

² مفتاح بن عروس، الاتساق والانسجام في القرآن، رسالة دكتوراه دولة، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، 2007-

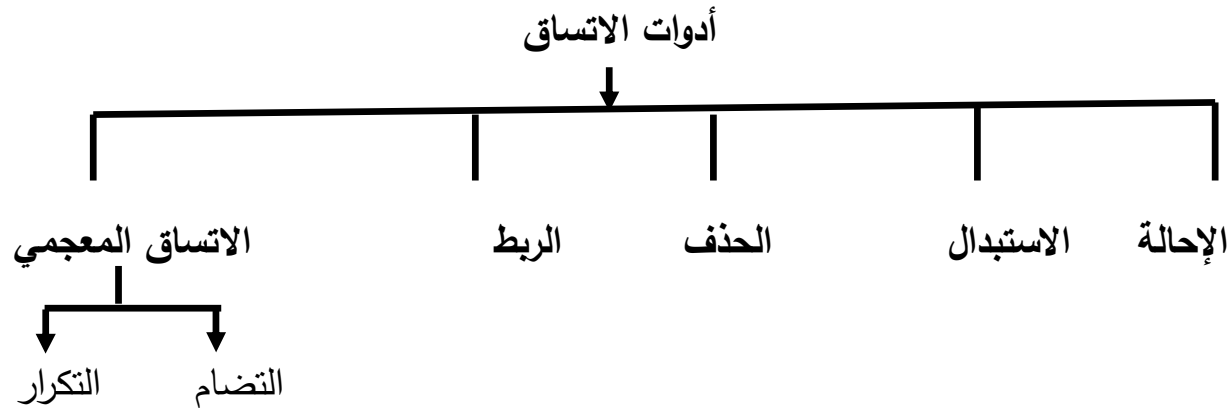
2008، ص : 15

³ محمود بوسنة، الاتساق والانسجام في سورة الكهف ، ص : 60

الذي تسعى إليه هذه الدراسة لرصده من خلال الكشف على الارتباط الكلي للسورة بأدوات الترابط النصي التي تعتبر معايير يمكن الاستناد إليها في الحكم على اتساق نص ما، مع العلم أن كل آلية من آليات الاتساق تنطلق من فكرة مختلفة عن الأخرى في علاقتها مع النص، لكن تتفق جميعها في القيام بدور لغوي يعد الأساس لتكون النص .

ومن أبرز من تكلم عن أدوات الاتساق، وأصبح بعدها مرجع النّصّانيين في ذلك، كتاب " الاتساق في الانجليزية " للثنائي " هاليداي " و " رقية حسن " حيث قام كتابهما على خمس أدوات هي :

- 1-الإحالة أو المرجع (Référence).
- 2-الاستبدال (Substitution).
- 3-الحذف (Ellipse).
- 4- الربط أو العطف (Conjonction).
- 5-الاتساق المعجمي (Lexical cohesion).



نبدأ بأول الأدوات:

1-الإحالة

1-1- مفهوم الإحالة :

تعتبر الإحالة مادة أولية يتكئ عليها محلل النص كي يثبت مدى اتساق نصه، وهي من أهم الأدوات التي تحقق هذا الاتساق و« تتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تمتلك خاصة الإحالة »¹.

ويقول " جون ليونز " في سياق حديثه عن المفهوم التقليدي للإحالة: « إنها العلاقة القائمة بين الأسماء ومسمياتها »²، إذ أن الأسماء تحيل إلى المسميات .

وتطلق تسمية العناصر الإحالية - حسب الأزهر زناد - على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النص³ .

ويتصل « النص الممتلك للعناصر الإحالية بعنصرين ضروريين محال ومحال إليه، وكلاهما يمتلك نفوذا داخل النص، وتحديدتهما موكول إلى ثقافة المنلقي، وسياق النص »⁴.

كما تطرق " ميرفي " Murphy " للإحالة واعتبرها « تركيب لغوي يشير إلى جزء ما ذكر صراحة أو ضمنا في النص الذي يتبعه أو الذي يليه »⁵، وذلك أن العنصر المحال يعتمد على عنصر آخر محال إليه بحيث لا يمكن فهم الأول إلا بالعودة إلى ما يحال عليه وذلك لأن العناصر المحالة لا تملك دلالة مستقلة عن غيرها بل تابعة في دلالتها إلى عناصر أخرى .

¹ محمد خطابي، لسانيات النص، ص : 17

² ج.ب.براون، ج.بول، تحليل الخطاب، ص : 36

³ الأزهر الزناد، نسيج النص، ص : 118

⁴ فتحي رزق الله الخوالدة، تحليل الخطاب الشعري، ثنائية الاتساق والانسجام، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1،

2006، ص:45

⁵ ربما سعد سعادة الجرف، مهارات التعرف على الترابط في النص، مجلة رسالة الخليج العربي، العدد 7، د.ت، ص :

ولذلك اعتبرت الإحالة علاقة بين العبارات Object والأحداث Event والمواقف Situations في العالم الذي يُدّل عليه بالعبارات ذات الطابع البدائلي في نص ما، إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النصّ أمكن أن يقال عن هذه العبارة إنها ذات إحالة مشتركة، ومع أنّ هناك أنواعا كثيرة من الإحالة المشتركة، فإنّه قد اكتشف بأنّ الاشتراك في الإحالة من خلال الألفاظ الكنائية فقط، والألفاظ الكنائية من حيث المحتوى في الاستعمال مأخوذة من العبارات التي تشترك معها في الإحالة، وبهذا تختلف الألفاظ الكنائية عن هذه العبارات بطرق نظامية¹.

وتعتبر الألفاظ الكنائية من حيث إمكانية التطبيق لها مدى أوسع، حيث تخضع لقيود على ورودها حتى لا يتحول الفهم إلى إشكال لا ضرورة له، وتعد الضمائر أشهر أنواع من الكلمات الكنائية².

وقد استعمل الباحثان " هاليداي " و " رقية حسن " مصطلح الإحالة استعمالا خاصا، وهو أنّ العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، وتمتلك كلّ لغة على عناصر تمتلك خاصية الإحالة، وهي حسب الباحثين: الضمائر و أسماء الإشارة وأدوات المقارنة³، وهي أهم وسائل الاتساق الإحالية .

1-2- أنواع الإحالة :

وتنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسيين: إحالة مقامية و إحالة نصّية، وهذه الأخيرة بدورها تنفرع إلى:

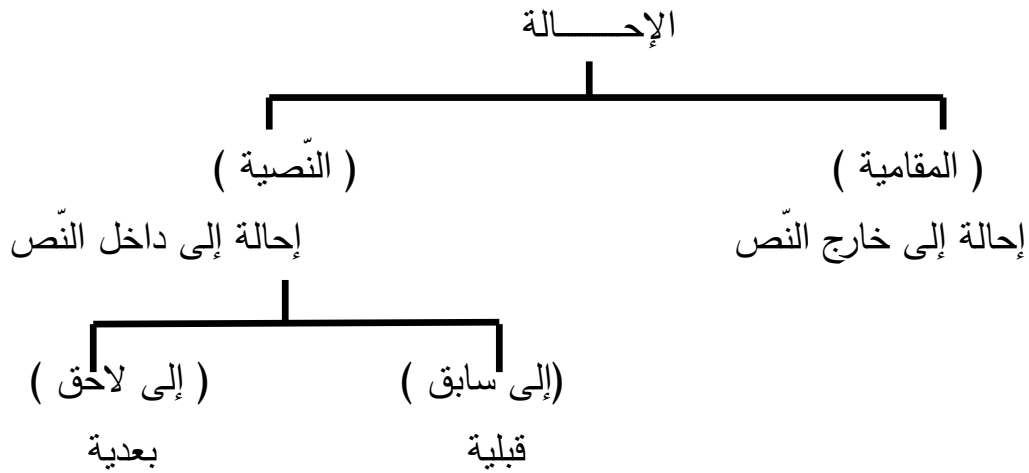
- إحالة قبلية .
- إحالة بعدية .

¹ روبرت ديبوجراند، النصّ والخطاب والإجراء، ص : 320

² المرجع نفسه، ص : 320-321

³ محمد خطابي، لسانيات النصّ ، ص : 17

والرسم التالي يوضح أنواع الإحالة:



يتضح من هذا الشكل أنّ الإحالة تنقسم إلى قسمين: إما إحالة خارج النصّ أو إحالة داخل النصّ، ورغم الاختلاف بينهما إلا أنّهما يشتركان في وجود عنصر محال إليه في مكان آخر، وهذا ما سيظهر من خلال مفهوم كلّ نوع .

أ_ الإحالة المقامية:

وتسمى أيضا إحالة خارج النصّ، أو الإحالة إلى غير مذكور كما يسميها الدكتور "تمام حسان" ترجمة لمصطلح "دي بوجراند" "Exphoric Référence"، وهي ترجع إلى أمور تستنبط من الموقف لا من عبارات تشترك معها في الإحالة في النصّ أو الخطاب¹، وبذلك فإنّ هذا النوع من الإحالة يمكن أن يحدث نوعا من التفاعل بين النصّ والخطاب والموقف السياقي .

ويعرفها "الأزهر الزناد" بقوله: -« هي إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي ؛ كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم، حيث يرتبط عنصر لغوي إحالي بعصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم، ويمكن أن يشير عنصر لغوي إلى المقام ذاته، في تفاصيله أو مجملا إذ يمثل كائنا أو

¹ روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص : 332

مرجعا موجودا مستقلا بنفسه، فهو يمكن أن يحيل عليه المتكلم»¹، بحيث تكون الإشارة إلى خارج النص .

ولا يتم هذا النوع من الإحالة إلا بمعرفة الأحداث وسياق الحال، والمواقف التي تحيط بالنص أو الخطاب، حتى يمكن معرفة الشيء المحال إليه، وهذا يجعلنا نبرز الأهمية الكبرى لمعرفة مناسبات النزول في دراستنا للنص القرآني، إذ كثيرا ما يصعب علينا تحديد عودة الضمير بسبب عدم معرفة سبب النزول .

ب_ الإحالة النصية: أو داخل النص (أو داخل اللغة) Endophora:

للإحالة النصية دور هام في خلق ترابط كثير من جزئيات النص، ذلك أنها تحيلنا إلى ملفوظ آخر داخل النص، ومن ثم فهي تعتبر مساهمة فعلية حقيقية في اتساق النص، فوجودها يبعد تشتت النص، فهي رابط يقوي أوامر العناصر المتباعدة إذ هي بمثابة صدى لوجه، بحيث لا يفهم هذا الوجه إلا بالعودة إلى مصدر الصدى.²

وفي هذا النوع من الإحالة لابد للمتلقي من العودة إلى العناصر المحال إليها، فهي إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ، سابقة كانت أو لاحقة، فهي إحالة نصية، وتتقسم بدورها لى قسمين³:

ب_1_ الإحالة القبلية Anaphora :

وهي إحالة على سابق أو إحالة بالعودة، وهي استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سابقة في النص أو المحادثة⁴، وتعود على مفسر سبق التلظ به⁵، وفيها يجري تعويض لفظ المفسر الذي كان من المفروض أن يظهر حيث يرد الضمير .

¹ الأزهر زناد، نسيج النص، ص : 119

² محمود بوسنة، الاتساق والانسجام في سورة الكهف، ص : 63

³ الأزهر زناد، المرجع السابق، ص : 118

⁴ صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ص : 38

⁵ أحمد عفيفي، نحو النص، ص : 117

وقد لاقى هذا النوع من الإحالة اهتماما كبيرا عند النحاة العرب، وذلك عندما اشترطوا رجوع الضمير المطابق للاسم إذا كان بين الجملتين رابط¹ واشترطوا أيضا عودة الضمير على مرجع واحد سابق له لأنّ هذا هو الأقرب في الكلام، وذلك لأنّ الضمائر كلّها لا تخلوا من إبهام وغموض سواء للمتكلم أو المخاطب أو الغائب، وعليه فلا بد لها من شيء يزيل إبهامها ويفسر غموضها².

وتشمل الإحالة بالعودة على نوع آخر من الإحالة يتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كلّ جملة من جمل النصّ قصد التأكيد، وهو الإحالة بالتكرار (Epanaphora)، وتمثل الإحالة بالعودة أكثر أنواع الإحالة دورانا في الكلام³، وأمثله في القرآن الكريم كثيرة جدا، سوف نبين منها ما هو موجود في سورة المائدة.

ب_ 2_ الإحالة البعيدة:

أو الإحالة على لاحق (Catafora): وهو استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سوف تستعمل لاحقا في النصّ أو المحادثة⁴، بحيث تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النصّ ولاحقا عليها⁵، وأبرز أبواب النحو العربي توضيحا لها " ضمير الشأن"⁶، ومثاله قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص الآية (01)).

فالضمير " هو " ضمير الشأن يحيل إلى لفظ الجلالة (الله)، ومثال الجمل والعبارات؛ الجمل التفسيرية التي تفسر جملة أو عبارة، كما في أسماء السور والجمل الأولى منها، بل أحيانا الكلمة الأولى منها⁷، وهذا ما سيتوضح لاحقا .

¹ جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص : 281

² عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط 6، (د.ت)، ص : 119

³ الأزهر زناد، نسيج النصّ ، ص : 119

⁴ صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصّي، ج 1، ص : 40

⁵ أحمد عفيفي، نحو النصّ ، ص : 117

⁶ صبحي إبراهيم الفقي، المرجع السابق، ص : 40

⁷ المرجع نفسه، ص : 40

وتتفرع وسائل الاتساق الإحالية، كما أسلفنا الإشارة إليها إلى ثلاث: الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة، وسنتناولها حسب ذكرها:

1_ الضمائر :

تقوم الضمائر في نظر علماء لسانيات النصّ بدور فعال مع عناصر الإحالة الأخرى، في اتساق النصّ لذا كانت لها أهمية بالغة في أبحاثهم . وتتقسم الضمائر إلى وجودية مثل: أنا - أنت - نحن - هو - هم - هن ... إلخ، وإلى ضمائر ملكية: كتابي - كتابك - كتابنا ... إلخ¹.

وإذا نظرنا إلى الضمائر من زاوية الاتساق، أمكن التمييز فيها بين أدوار الكلام التي تتدرج تحتها جميع الضمائر الدالة على المتكلم، والمخاطب، وهي إحالة لخارج النصّ بشكل نمطي، ولا تصبح إحالة داخل النصّ أي اتساقية، إلا في الكلام المستشهد به ... ولا يخلو النصّ من إحالة خارج النصّ تستعمل فيها الضمائر المشيرة إلى الكاتب (أنا، نحن) أو إلى القارئ (القراء) بالضمائر (أنت، أنتم)² " هذا بالنسبة لأدوار الكلام " .³

أما فيما يخص الضمائر التي لها دور هام في اتساق النصّ، فهي التي يسميها " هاليداي " و " رقية حسن " " أدوار أخرى " وتتدرج ضمنها ضمائر الغيبة أفرادا وتثنية وجمعا (هو، هي، هم، هن، هم)، وهي تحيل قريبا بشكل نمطي إذ تقوم بربط أجزاء النصّ وتصل بين أقسامه⁴.

لذلك نعتبر أنّ إحالة ضمائر التخاطب إحالة مقامية (خارج النصّ) ولا يمكن أن تكون مقالية (داخل النصّ) فإنها لا تسهم في تحقيق تناسق النصّ، أي أنّها لا تربط لاحقا بسابق أو بعبارة أخرى لا يكون مفسرها مقاليا، وأنّ إحالة ضمائر الغائب إحالة مقالية ولا يمكن أن تكون مقامية، وبالتالي فهي تسهم دوما في تحقيق تناسق النصّ أو بعبارة أخرى

¹ محمد خطابي، لسانيات النصّ، ص : 18

² محمود بوسته، الاتساق والانسجام في سورة الكهف، ص : 65

³ محمد خطابي، المرجع السابق، ص : 18

⁴ محمود بوسته، المرجع السابق، ص : 66

يكون مفسرها مقاليا دائما، لأنها تربط دائما لاحقا بسابق¹، فالدور الهام في اتساق النص بالنسبة للضمائر يكمن في ضمائر الغيبة .

2_ أسماء الإشارة :

وهي الوسيلة الثانية من وسائل اتساق الإحالة يذهب الباحثان " هاليداي " و " رقية حسن " إلى أن هناك عدة إمكانيات لتصنيفها، إما حسب الظرفية: الزمان (الآن، غدا ...)، والمكان (هنا، هناك ...)²، أو حسب الإشارة المحايدة: وتكون بـ: " أي ما يوافق أداة التعريف³، أو الانتقاء (هذا، هؤلاء ... the) أو حسب البعد (ذلك، تلك ...) "والقرب (هذه، هذا ...).

ومما هو ملاحظ فإن أسماء الإشارة تقوم بالربط القبلي والبعدى، وإذا كانت أسماء الإشارة بشتى أصنافها محيلة إحالة قبلية، بمعنى أنها تربط جزء لاحقا بجزء سابق، ومن ثم تسهم في اتساق النص، فإن اسم الإشارة المفرد يتميز بما يسميه المؤلفان (الإحالة الموسعة)، أي إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل⁴.

3_المقارنة:

لقد اعتبر الباحثان " هاليداي " و " رقية حسن " المقارنة أحد أدوات أو وسائل الاتساق إلى جانب الإشارة والضمائر، وقد صنفا المقارنة إلى صنفين: عامة يتفرع منها التطابق ويتم باستعمال عناصر مثل: نفسه (same ... والتشابه (وفيه تستعمل عناصر مثل similar ... متشابه) والاختلاف باستعمال عناصر مثلا (Otherwise , Other ... آخر، بطريقة أخرى) .

وإلى خاصة تتفرع إلى كمية تتم بعناصر مثل: (More ... أكثر)، وكيفية (أجمل من، جميل مثل ...) وكلّ هذه تقوم بوظائف اتساقية تربط بين أجزاء النص⁵ .

¹ محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج 1، ص : 127

² محمد خطابي، لسانيات النص، ص : 19

³ محمد الشاوش، المرجع السابق، ص : 128

⁴ محمد خطابي، المرجع السابق، ص : 19

⁵ محمد خطابي، المرجع نفسه، ص : 19

وقد ذكر الباحثان أنّ نفس المبادئ التي تعمل في أنواع الإحالة الأخرى تعمل في المقارنة أيضا¹، بحيث تكون إحالة قبلية كما قد تكون إحالة بعدية، كما تكون ذات إحالة خارج النص أيضا .

1_3_ التحليل النصي للسورة:

غلبت على السورة الإحالة النصية، وخصوصا منها الإحالة على سابق لكون هذا العنصر أكثر انتشارا في معظم النصوص وخصوصا منها النص القرآني، وباعتبار الضمير أكثر الوسائل الإحالية انتشارا، فقد ساهم - في سورة المائدة - بدور عال في تكون نسيج النص ... فكان منه من رجع إلى أفكار سابقة، وهناك من يرجع إلى كلمات أو فقرات أو جمل، ولهذا بعد النظر تبين أنّ أغلب الإحالات في السورة إحالات على سابق، وأغلب هذا النوع هو الضمائر؛ لذلك كان اقتصارنا عليه في هذه الدراسة، هذا مع وجود الإحالات الأخرى لكن بدرجة أقل بكثير من هذا النوع .

لكن في بداية الأمر، ينبغي علينا أن نتطرق إلى الموضوع الأساسي الذي تدور حوله السورة، وذلك من أجل أن ندرك العلاقة بين وسائل الاتساق وموضوع السورة.

لكون سورة " المائدة " سورة مدنية وهي آخر ما نزل من القرآن، توضح كثيرا من أحكام الدين وشرائعه، وتبين كثيرا من الحلال الذي أحله الله والحرام الذي حرّمه، وكذا الشرائع التي شرعها الله لعباده والمناهج التي انتهجها لهم.

هذا مع ما ورد فيها من تذكير بالله عزّ وجلّ وأسمائه وصفاته، وقضائه وقدره، وكذا التذكير باليوم الآخر وما فيه، وأيضا بسائر أركان الإيمان، بل والإسلام، شأنها في ذلك شأن كثير من طوال السور من الكتاب العزيز².

وجاءت سورة المائدة أجزاء مختلفة فقد اشتملت على ثلاث أقسام مع خاتمة؛ القسم الأول منها يشمل الآيات من (01) إلى الآية (40) وفيه ثلاث فقرات عبارة عن نداءات للمؤمنين، فيها أحكام شرعية وفيها الحثّ على الوفاء بالعقود وذكر أربعة أمثلة لمن خالفوا

¹ محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب ، ص : 129

² مصطفى بن العدوي، التسهيل لتأويل التنزيل (سورة المائدة)، مكتبة مكة، 2004، ص : 7

العقود، والقسم الثاني يبدأ من الآية (41) إلى غاية الآية (66) واشتمل على فقرتين، أما القسم الثالث منها فيبدأ من الآية (67) إلى الآية (108) واشتمل أيضا على فقرتين، أما القسم الأخير منها فعبارة عن خاتمة ابتداءً من الآية (109) إلى آخر السورة .
وبذلك تكون السورة مقسمة إلى سبع فقرات وخاتمة هي كالتالي:

الفقرة الأولى: عبارة عن (11) آية من الآية الأولى وحتى نهاية الآية (11) .

الفقرة الثانية: عبارة عن (23) آية من الآية (12) وحتى نهاية الآية (34) .

الفقرة الثالثة: وهي عبارة عن (06) آيات وهي من الآية (35) حتى نهاية الآية (40) .

الفقرة الرابعة: عبارة عن (10) آيات من الآية (41) حتى نهاية الآية (50) .

الفقرة الخامسة: عبارة عن (16) آية من الآية (51) حتى نهاية الآية (66) .

الفقرة السادسة: عبارة عن (20) آية من الآية (67) حتى نهاية الآية (86) .

الفقرة السابعة: عبارة عن (22) آية من الآية (87) حتى نهاية الآية [108].

وفي النهاية تكون خاتمة السورة: وهي عبارة عن (12) آية من الآية (109) حتى الآية (120) .

ولا شك أن للإحالة دورا كبيرا في اتساق السورة بأكملها أو اتساق أجزائها منفردة فكيف ساهمت الإحالية بالضمير في تماسك واتساق كلِّ فقرة، وأيضا هل هناك من ضمائر إحالية ساهمت في تماسك كلِّ هذه الفقرات مجتمعة ؟

افتتاح السورة والذي امتدَّ - كما سبق الإشارة إليه - من الآية الأولى حتى نهاية الآية الحادية عشر استهل بنداؤ الأمر بالوفاء بالعقود، ثمَّ المضي في بيان الحلال والحرام ... وفي بيان الكثير من الأحكام الشرعية والتعبدية، وفي بيان حقيقة العقيدة الصحيحة، وفي بيان حقيقة العبودية وحقيقة الألوهية، وفي بيان علاقات الأمة المؤمنة بشتى الأمم والملل والنحل ...¹ .

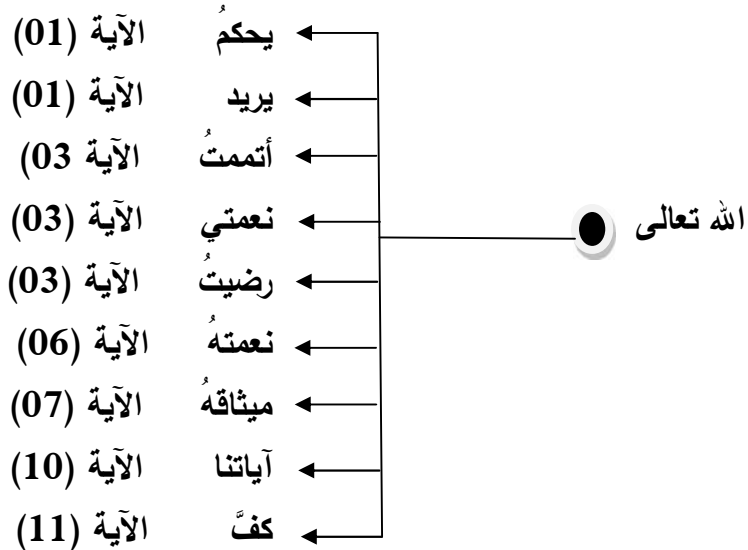
وبما أن البداية كانت عبارة عن نداء المؤمنين فقد كان هناك ما يحيل لهم مثل: الذين، لكم، عليكم، أنتم، دينكم، كنتم، فقد ذكر لفظ " الذين آمنوا " صراحة في بداية السورة مع

¹ سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط 32، 2003، مج 2، ص : 835

تكراره في أكثر من موضع في الفقرة الأولى من السورة وذكرت بعده الضمائر التي تحيل إليه، ولهذا كانت الإحالة إحالة داخلية على لفظ سبق ذكره: (لكم، يجرمنكم، دينكم، علمكم، طعامكم، وجوهكم، أطعنا، لهم، عنكم ...)

يتبين أن الإحالة هنا على سابق، وهو لفظ " الذين آمنوا " وقد تواجدت في كل من الآيات: (01) و(02) و(03) و(04) و(05) و(06) و(07) و(08) و(09) و(11)، وتواجدها في كل هذه الآيات من بداية مقدمة السورة إلى نهاية هذه المقدمة دلالة واضحة على الاتساق الظاهر والتماسك النصي لهذه الافتتاحية، فكان هذا النوع من الإحالة أحد وسائل الاتساق في هذا الجزء من السورة .

هذا بالنسبة للمحال الأول " الذين آمنوا " أما العنصر الثاني المحال إليه، وهو لفظ الجلالة " الله " جاءت الإحالة إليه في ألفاظ: يحكم، يريد، أكملت، أتممت، نعمتي، رضيت، نعمته، ميثاقه، آياتنا، كف .



من خلال هذه الإحالات نجد أن هناك نوعا من الاتساق والتماسك بين أجزاء هذه الافتتاحية ؛ لأن كلاً من الإحالات الموجودة في الآية (01) و(03) و(06) و(07) و(10) و(11) فيها نوع من إلزامية الرجوع إلى الأولى لفهم المحال إليه، وهذه الإحالة إحالة داخلية على سابق.

أما ثالث العناصر المحال إليها في مقدمة هذه السورة هو الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد أحيل له بـ: يسألونك، قل .

الرسول (ص) ← يسألونك ← الآية (06)
 قل ← الآية (06)

إلى جانب الإشارة - في هذه الافتتاحية - إلى أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ الآية (05)

فالعناصر: الله جلّ جلاله، والرسول صلى الله عليه وسلم، والذين آمنوا والإحالات التي تعود عليها، ساهمت في اتساق هذه الآيات الإحدى عشر الأولى والتي تمثل افتتاحية السورة. لكن السؤال المطروح: هل الإحالات إلى العناصر الثلاثة إضافة إلى العنصر المشار إليه استمرت في باقي آيات السورة أم اقتصر على هذه الافتتاحية فقط؟
 عن طريق الإحصاء تبين أن الإحالات التي تعود إلى اسم الجلالة "الله" و "الذين آمنوا" و "الرسول" و "أهل الكتاب" الموجودة في الآية الأولى، قد استمر وجودها في باقي أجزاء السورة وبدرجة كبيرة وهذا ما سنراه فيما يأتي.

فبخصوص نداء الإيمان فلقد اشتملت السورة على نداءات إلهية كثيرة منها ستة عشر نداءً للمؤمنين، ونداءان من الله سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بصفة الرسالة خاصة، ولم يرد مثلهما في غيرها، ولأهل الكتاب نداءان بشكل مباشر، وثلاث نداءات بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم.

أما نداء الإيمان ﴿يَتَّيَّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فتعد سورة المائدة أكثر السور التي تكرر فيها هذا النداء؛ حيث تكرر 16 مرة من أصل 89 نداء في القرآن الكريم، فهي الأولى من حيث النداءات، يقول "عبد الله بن مسعود": «إذا سمعت الله يقول: ﴿يَتَّيَّبُهَا الَّذِينَ

ءَامِنُوا ﴿ فَأرْعَهَا سَمْعَكَ، فَإِنَّه خَيْرٌ يَأْمُرُ بِهِ، أَوْ شَرٌّ يَنْهَى عَنْهُ ¹، وسنتحدث عنه في قسم التكرار .

والجدول الآتي يوضح لنا انتشار الإحالة في أجزاء السورة المختلفة باستثناء الآيات الأولى التي سبق ذكرها:

المحال إليه	الإحالة	نوعها	رقم الآية
الذين آمنوا	عليهم	إحالة داخلية على سابق	الآية (27)
	لعلك	إحالة داخلية على سابق	الآية (35)
	بينهم، مرجعكم	إحالة داخلية على سابق	الآية (48)
	منكم	إحالة داخلية على سابق	الآية (51)
	دينكم، قبلكم	إحالة داخلية على سابق	الآية (57)
	منّا، إلينا	إحالة داخلية على سابق	الآية (59)
	الذين آمنوا جاؤوكم	إحالة داخلية على سابق	الآية (61)
	يؤاخذكم، أيمانكم، عقدتم، أهليكم	إحالة داخلية على سابق	الآية (89)
	لكم، عليكم	إحالة داخلية على سابق	الآية (96)
	تبدون، تكتمون	إحالة داخلية على سابق	الآية (99)
	اتقوا، لعلكم، تفلحون	إحالة داخلية على سابق	الآية (100)
	تسألوا، تسؤوكم، تبد لكم	إحالة داخلية على سابق	الآية (101)
	قبلكم	إحالة داخلية على سابق	الآية (102)
	أنفسكم، ليضركم، اهتديتم، مرجعكم فينبئكم، تعملون	إحالة داخلية على سابق	الآية (105)
	بينكم، أحدكم، منكم غيركم، أصابكم	إحالة داخلية على سابق	الآية (106)

مما يلاحظ على الانتشار الواسع لهذا النوع من الإحالة، هو ذلك التماسك الحاصل بين آيات هذه السورة، حيث تجعل منها كلاً موحداً تأخذ نهايته ببدايته، وتجعل الناظر إلى دلالات هذه الآيات يرى بأن السورة في تناسق من بدايتها إلى نهايتها، وأن وحدات هذه السورة على الرغم من تميز كل وحدة بموضوع يختلف عن الآخر؛ إلا أن الموضوع الأساسي هو إنشاء أمة على أساس عقيدة صحيحة الأصل فيها أفراد الله - سبحانه - بالألوهية والربوبية، وتلقي منهج الحياة وشريعته، ونظامها وموازينها وقيمها منه وحده لا شريك له،

¹ محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن الكريم، بيروت، مج 1، ص : 475

هذا ما جعل موضوعات هذه السورة تتوحد وساعدتها على ذلك الإحالات المذكورة سابقا، لتجعل من آيات السورة متماسكة، بعيدة عن استقلال كل واحدة عن غيرها. أما ثاني هذه العناصر المحال إليه في هذه المقدمة، هو الله عز وجل فقد ورد ذكره في أول آية، وبعدها كان ذكر الإحالات إليه من الآية (01) إلى الآية (120)، إلى جانب ذكره اسما صريحا في جميع آيات السورة تقريبا، وهذا الانتشار الواسع للإحالة لاسم الجلالة شيء واضح وطبيعي إذ يتناسب وما تدعو إليه السورة ؛ لذلك انتشرت الإحالات إليه في كافة السورة كما هو موضح في الجدول الإحصائي الآتي:

الإحالات إلى اسم الجلالة من الآية (12) إلى الآية (120) ونورد العنصر منها:

رقم الآية	نوعها	الإحالة	المحال إليه
الآية (16)	إحالة داخلية على سابق	رضوانه، يخرجهم، إذنه	
الآية (25)	إحالة داخلية على سابق	قال	
الآية (32)	إحالة داخلية على سابق	كتبنا، رسلنا	
الآية (40)	إحالة داخلية على سابق	يعذب، يغفر	
الآية (52)	إحالة داخلية على سابق	الله جلّ جلاله عنده	
الآية (65)	إحالة داخلية على سابق	أدخلنا	
الآية (74)	إحالة داخلية على سابق	يستغفرونه	
الآية (88)	إحالة داخلية على سابق	به	
الآية (94)	إحالة داخلية على سابق	يخافه	
الآية (101)	إحالة داخلية على سابق	الذي، إليه	
الآية (108)	إحالة داخلية على سابق	يهدي	
الآية (110)	إحالة داخلية على سابق	نعمتي، إذني	
الآية (111)	إحالة داخلية على سابق	بي	
الآية (114)	إحالة داخلية على سابق	منك	
الآية (115)	إحالة داخلية على سابق	إنّي	
الآية (117)	إحالة داخلية على سابق	أمرتني، توفيتني	
الآية (118)	إحالة داخلية على سابق	عبادك إنك	
الآية (119)	إحالة داخلية على سابق	عنه	
الآية (120)	إحالة داخلية على سابق	هو	

هذا الانتشار الواسع للإحالات في مختلف أجزاء السورة يوحي بتحقق الاتساق والتماسك بين موضوعاتها المختلفة في وحدة نصية كلية، تجعل من أفراد الله - سبحانه - بالألوهية والربوبية والعبودية المحور الأساس.

أما ثالث هذه العناصر - الرسول صلى الله عليه وسلم - فلم يكن واسع الانتشار كالعنصرين السابقين، إلا أن وجوده في أجزاء مختلفة من السورة، من البداية إلى النهاية سواء بلفظه أو بضمائر تعود إليه فإنه يبين لنا ذلك الاتساق وتلك الوحدة الكلية للسورة .
فكان وروده بلفظه:

- ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا ﴾ الآية (15)
- ﴿ يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا تَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ الآية (41)
- ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ الآية (55)
- ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ الآية (56)
- ﴿ يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ^ط ﴾ الآية (67)
- ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا ﴾ الآية (92)
- ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلِّغُ ^ط ﴾ الآية (99)
- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ ﴾ الآية (104)

أما الضمائر:

- ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلُعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ^ط ﴾ الآية (13)
- ﴿ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ الآية (17)
- ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ^ط ﴾ الآية (18)

- ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ﴾ الآية (27)
- ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ﴾ الآية (42)^ط
- ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ الآية (42)
- ﴿وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ الآية (49)
- ﴿قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لِسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ الآية (68)
- ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نَبَّيْتُ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾ الآية (75)
- ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ..﴾ الآية (76)
- ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية (80)
- ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ﴾ الآية (82)

وبالرجوع إلى ما سبق ذكره من الإشارة إلى أهل الكتاب في المقدمة نحاول أن نتبين الإحالة إليهم في باقي السورة، فقد تكرر ذكرهم في أكثر من موضع .

ولقد كانت الإحالة إليهم مرة مجتمعين بصفة " أهل الكتاب"، ومرة أخرى على فئتين: " يهود " و " نصارى " كل على حده كما هو موضح :

الفئة الأولى: أهل الكتاب أحيل إليهما بلفظ الذين "أوتوا الكتاب"، أو بما يعود عليها؛ وهي إحالة نصية على سابق .

الفئة الثانية: هم فئتي " اليهود " و " النصارى"، حيث تمت الإحالة إليهما كل فئة لوحدها، أو بما يعود عليها في السياق .

والجدول الإحصائي التالي يبين بعضاً من ذلك :

المحال إليه	الإحالة	نوعها	رقم الآية
اليهود والنصارى	اتخذوا، أوتوا	إحالة نصية على سابق	الآية (57)
والمشركين	اتخذوها، أنهم	إحالة نصية على سابق	الآية (58)
أهل الكتاب (اليهود والنصارى)	جاءكم، لكم، كنتم، تخفون ، جاءكم	إحالة نصية على سابق	الآية (15)
	نحن، يعذبكم، ذنوبكم، أنتم	إحالة نصية على سابق	الآية (18)
	بعضهم، بعض، يتولهم ، منهم	إحالة نصية على سابق	الآية (51)
	جاؤوكم، قالوا، آمنًا، دخلوا ، هم، خرجوا، كانوا، يكتمون	إحالة نصية على سابق	الآية (61)
	ينهاهم، قولهم، أكلهم ، يصنعون	إحالة نصية على سابق	الآية (63)
	أمنوا، اتقوا، عنهم ، سيئاتهم، أدخلناهم	إحالة نصية على سابق	الآية (65)
	لستم، تقيموا، إليكم ، ربكم، منهم ، تغلوا، دينكم، تنتبعا	إحالة نصية على سابق	الآية (68)
	الذين ، قلوبهم، لهم ، قوم، يحرفون، يقولون ، فتنته، أولئك، عندهم، يتولون، أولئك	إحالة نصية على سابق	الآية (41)
	عليهم	إحالة نصية على سابق	الآية (43)
	آثارهم	إحالة نصية على سابق	الآية (45)
	بينهم، واحذرهم، تولوا ، يصيبهم، ذنوبهم	إحالة نصية على سابق	الآية (46)
	يبغون	إحالة نصية على سابق	الآية (49)
	أيديهم، لعنوا، قالوا، منهم ، بينهم، أوقدوا، يسعون	إحالة نصية على سابق	الآية (50)
	بينهم، أوقدوا، يسعون	إحالة نصية على سابق	الآية (64)
النصارى	إننا، ميثاقهم، نسوا ذكرنا، بينهم، ينبئهم كانوا، يصنعون .	إحالة نصية على سابق	الآية (13)
	أهل الإنجيل	إحالة نصية على سابق	الآية (47)
	الذين، قالوا	إحالة نصية على سابق	الآية (72)
	ينتهوا، يقولون	إحالة نصية على سابق	الآية (73)
	يتوبون، يستغفرون	إحالة نصية على سابق	الآية (74)
	لهم، يوفكون	إحالة نصية على سابق	الآية (75)
	تعبدون، لكم	إحالة نصية على سابق	الآية (76)

من خلال هذا التواجد الواسع للضمائر المحالة إلى العناصر السابق ذكرها، حيث أن وجود الإحالات إلى هذه العناصر في كافة موضوعات السورة، يبين لنا ذلك الاتساق النصي بين أجزاء نص السورة المختلفة.

هذا كله بالنسبة لعلاقة مقدمة السورة بالموضوعات الأخرى، أما من حيث اتساق كل وحدة أو كل جزء من أجزاء السورة بعضه ببعض عن طريق الإحالة فيكون توضيحه انطلاقاً من العناصر المحالة إليها والتي تم تناولها، مع ذكر بعض العناصر الجديدة والتي كان لها الدور البارز في تحقيق الإحالة .

الجزء الأول من القسم الأول وقد تمّ تناوله، أمّا الجزء الثاني منه فكان عبارة عن ثلاث وعشرين آية ؛ ابتداء من الآية (12) وحتى نهاية الآية (34)، وقد جاءت هذه الفقرة مذكرة بالعهد الأساسية التي أخذت على بني إسرائيل، و كيف أنّهم نكصوا عن القتال . وفي هذا السياق يأتي الكلام عن القتل الظالم بالاستشهاد بقصة قابيل وهابيل ولدي آدم عليه السلام، ليكون ذلك كله مقدمة للفقرة الآتية.

فيتبين لنا بوضوح الخطاب الموجه لبني إسرائيل والإحالات التي تعود عليهم، وكان ذلك من بداية الفقرة في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۗ ﴾ الآية (12)؛ حيث ذكرهم الله لنقضهم الكثير من العهود وهم نموذج لمن ينقض العهود والمواثيق، إلى جانب فئة من النصارى ومن تميز منهم بنقض العهد ؛ كما تمت الإحالة إليهما معاً في بعض المواضع من هذا الجزء من السورة كقوله تعالى: ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكُتَّابُ ﴾ الآية (15)، وهذا خطاب لليهود والنصارى¹. وتمّ التطرق إلى الإحالة إليه .

¹ الزمخشري، الكشاف، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 1، 1998، ج

وكانت الصفة التي أطلقت عليهم " بنو إسرائيل " ونعتبر هذه الصفة هي محور ارتكاز هذا الجزء من السورة لتأتي بعدها الإحالات التي تعود عليها إلى جانب الإحالات التي تعود على "موسى عليه السلام " وعلى ولدي آدم قابيل وهابيل¹ كما يوضحه الجدول الآتي :

المحال إليه	الإحالة	نوعها	رقم الآية
بنو إسرائيل	منهم، معكم، أقمت أتيتم، أمنتهم، أقرضتم، عنكم، سيئاتكم، أدخلنكم، منكم	إحالة نصية على سابق	الآية (12)
	نقضهم، ميثاقهم، لعناهم، يحرفون، نسوا، ذكروا، منهم، عنهم	إحالة نصية على سابق	الآية (13)
أهل الكتاب	جاءكم، لكم، كنتم، جاءكم	إحالة نصية على سابق	الآية (15)
	يخرجهم، يهديهم	إحالة نصية على سابق	الآية (16)
	نحن، يعذبكم، ذنوبكم، أنتم	إحالة نصية على سابق	الآية (18)
	أهل الكتاب، جاءكم، لكم، تقولوا، جاءنا، جاءكم	إحالة نصية على سابق	الآية (19)
	قومه، اذكروا، عليكم، فيكم، جعلكم، آتاكم	إحالة نصية على سابق	الآية (20)
	قومي، ادخلوا، لكم، ترتدوا، أديباركم، تتقلبوا	إحالة نصية على سابق	الآية (21)
	قالوا، ندخلها، داخلون	إحالة نصية على سابق	الآية (22)
	ادخلوا، إنكم، غالبون، تاكلوا	إحالة نصية على سابق	الآية (23)
	قالوا، ندخلها، إنا، قاعدون	إحالة نصية على سابق	الآية (24)
	عليهم، يتيهون	إحالة نصية على سابق	الآية (26)
	عليهم	إحالة نصية على سابق	الآية (27)
	جاءتهم، منهم	إحالة نصية على سابق	الآية (32)
	الذين، يقتلوا، يصلبوا، تقطع، أيديهم، أرجلهم، ينفوا، لهم	إحالة نصية على سابق	الآية (33)

بالإضافة إلى ذكر " موسى عليه السلام في معرض الحديث عن قومه " بني إسرائيل " وجاءت الإحالة إليه أيضا .

¹ ينظر : ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج 6، ص : 168

أما قصة قابيل وهابيل فالعناصر الأساسية التي تعود عليهم الإحالة هي: ابني آدم (مجتمعان) ثم كل واحد على حده (قابيل وهابيل)، وتمت الإحالة إليهما كذلك . الناظر إلى هذا الجزء بعد إحصاء العناصر وما أحالت إليه، يلاحظ ذلك الانتشار الواسع للإحالات إلى " بني إسرائيل "، حيث أنه وفي حوالي ثلاث وعشرين آية ما تجاوز السبعين إحالة وكلها على مذكور وهو " بنو إسرائيل " قوم موسى عليه السلام فكانت إحالة نصية على سابق، إلى جانب التعقيب وما فيه من إحالات على " ابني آدم " ساهمت في ربط وحدات هذا الجزء مما جعله متنسقا محكما من بدايته وحتى نهايته بضامائر متصلة وأخرى منفصلة، أحالت إحالة نصية فحدث بذلك التماسك النصي في موضوع من موضوعات السورة بأداة واحدة من أدوات الاتساق، على غرار الأدوات الأخرى التي ستذكر في محلها.

ويأتي بعد هذا الجزء، الجزء الثالث من القسم الأول إذ يعد امتدادا للفقرة السابقة وجاء عبارة عن ست آيات ابتداء من الآية (35) إلى الآية (40)، وفيه تتحول الإحالة إلى اسم الجلالة الله جلّ جلاله، والذين آمنوا، وعلى الذين كفروا، وفيه إشارة للسارق وجزائه، فأما العنصر الأول والثاني فقد سبق التطرق إليهما، فيبقى لنا " الذين كفروا " و " السارق " فقد تمت الإحالة إليهما ب: (لهم، ليفتدوا، منهم، لهم، يريدون، يخرجوا، هم) و (أيديهما، كسبا، ظلمه، أصلح، عليه) على التوالي .

وننتقل إلى الجزء الآخر إذ احتوى عشر آيات - كما سبق الإشارة إلى ذلك - من الآية (41) إلى الآية (50) تبين هذه الآيات نقض العهد، والإفساد في الأرض، وقطع ما أمر الله به أن يوصل، وتبين أن الحكمة في إنزال التوراة والإنجيل هي أن يحكم بهما، وأن يُحتكم إليهما، وأن من لم يحكم بكتاب الله فهو كافر ظالم فاسق. وإذا كان هذا هو الشأن في التوراة والإنجيل، فما بالنا بالقرآن الذي أنزله -الله عز وجل - مصدقا للكتب ومهيمناً عليها.

فالعناصر الأساسية هنا والتي تعود عليها الإحالة هي: الله جلّ جلاله، والرسول صلى الله عليه وسلم، والعنصرين الآخرين هما: اليهود والمنافقين¹ والذين لم يصرح لهم باللفظ المباشر بل بصفاتهم، إلى جانب الإحالة على التوراة في بعض المواضع .
وبما أنه سبق ذكر هذه العناصر إلاّ من الإحالة للمنافقين نكتفي ببعض الإحالات التي تعود إليهم: (الذين، قلوبهم، أفواههم، سمّعون)، وهي إحالة على سابق قريبة المدى .
وبالنسبة للتوراة فكانت الإحالة عليه كالتالي: (فيها، بها، عليها، آياتي، فيها)، وكلّ هذه الإحالات داخلية أحالت إلى شيء سبق ذكره في هذا الجزء، فأسهمت في اتساقه وتماسكه .

وبعدها وفي هذا الجزء ابتداء من الآية (51) إلى الآية (66)، ففي ستة عشر آية يخاطب الله فيها الذين آمنوا ؛ فيحرم علينا موالاة أهل الكتاب ويحذرننا من الردّة، ويبين لنا خصائص الجماعة المسلمة .

فجاءت الإحالة على اسم الجلالة والرسول صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا إلى جانب أهل الكتاب والمشركين، والإحالة إلى الفئة الأخيرة جاءت في سياق الإحالة إلى أهل الكتاب في هذا الجزء، وإذ تمت الإشارة إلى أهل الكتاب وما أحال عليهم، وكذا الإحالة إلى باقي العناصر و ما تحيل إليها فيما سبق فلا داعي للإعادة.

فقط يبقى لنا أن نذكر الآيتين (52)، (53) وما أحالتا إليه، حيث أن الراجح فيهما أنّهما نزلتا في المنافق على العموم، ولم يقف العلماء على سبب معين لنزولها، وما ذكر بخلاف ذلك عند بعض المفسرين فسنده ضعيف² . فالإحالة تكون على فئة المنافقين ومنها: (الذين، قلوبهم، يسارعون، يقولون، نخشى، تصيينا، هؤلاء، أعمالهم، أصبحوا)

ومما نلاحظه في هذه الفقرة اتساقها وتماسكها النصي بين عناصرها من جهة ومع باقي أجزاء نص السورة من جهة أخرى.

¹ ينظر : علي الصابوني، مختصر تفسير بن كثير، دار القرآن الكريم، بيروت، ط7، 1981، مج 1، ص : 517

² ينظر : عبد الله بن مصطفى العدوي، التأويل لتسهيل التنزيل (سورة المائدة)، ص: 347

أما القسم الثاني من السورة وتحديدًا الجزء الأول منه فجاء في عشرين آية ابتداءً من الآية (67) إلى الآية (86) وهذه الفقرة تأمر بالبلاغ، وتخص بهذا البلاغ أهل الكتاب، وتحدد ما يقال لهم، وتذكر موقف بني إسرائيل من الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهو موقف لا يستغرب معه موقفهم من محمد صلى الله عليه وسلم ودعوته. ثم تذكر بعض تصوراتهم الخاطئة في شأن الله تعالى، والفقرة كلّها: في البلاغ وماهيته، وخاصة لأهل الكتاب، وفيها تبيّن من اليهود، ورجاء في النصارى.

إلى جانب العناصر التي تمّ التطرق إليها سابقاً نجد عناصر تمّ ذكرها في هذا الجزء نوضحها مع ما يعود عليها من إحالة منها: بني إسرائيل و المسيح بن مريم و الفئة المؤمنة من النصارى إلى جانب الذين كفروا ونذكر منها: (إليهم، حسبوا، عليهم، ينتهوا، يستغفرون، يؤفكون، تعبدون، كفروا، يفعلون، منهم، لهم، يؤمنون ...).

أما الضمائر الإحالية العائدة على عيسى عليه السلام فيوضحها منها: (رسول، قبله، أمه، ابن مريم، يملك).

أما العنصر الثالث فهو النصارى ممن آمن بالله والضمائر الإحالية التي تعود عليه فهي كالاتي: (أقربهم، أنهم، سمعوا، أعينهم، نؤمن، جاعنا، أثابهم، قالوا ...).

والإحالات العائدة على الكافرين كانت في الآية الواحدة وهي كالاتي: (كفروا، كذبوا، أولئك، أصحاب) وهي إحالات سابقة قريبة المدى.

كلّ هذه الضمائر الإحالية قد ساهمت في اتساق هذا الجزء، وذلك عن طريق الإحالة الداخلية أو النصية على عناصر سبق ذكرها، وهذا دلالة واضحة على التماسك.

وبالانتقال إلى الجزء الثاني من هذا القسم -والمحدد باثنين وعشرين آية-، من الآية (87) إلى الآية (108)، وفيه النهي عن تحريم الطيبات، ثم تتحدث عن الأيمان المنعقدة وكفارتها، ثم ينتقل السياق إلى ما لم يرد فيه تحريم ابتداءً، حتى تصل الفقرة في آخرها إلى الحديث حول الوصية في بعض الأحوال والشهادة والإيمان.

والإحالات فيه تعود على الذين آمنوا بشكل عام وبدرجة كبيرة، فقد كانوا العنصر الأساسي، وهذا الانتشار الواسع للإحالات لدلالة واضحة على التماسك، والملاحظ على هذه الإحالات أنه كلما ازداد دور المحال إليه، كلما ازداد وجود الضمائر الإحالية العائدة عليه . إضافة إلى ما سبق نجد إحالات أحدثت اتساقاً في كل آية منفردة منها:

الخمر والميسر
الأنصاب، الأزلام

رجس الآية (90)
اجتنبوه الآية (90)

الشیطان

يريد الآية (91)
يوقع الآية (91)
يصدكم الآية (91)

الكفار

لهم الآية (104)
تعالوا الآية (104)
قالوا الآية (104)
حسبنا الآية (104)
وجدنا الآية (104)
آباءنا الآية (104)
آباؤهم الآية (104)

وكلّ هذه إحالات داخلية على سابق، وتدور كلّ منها داخل الآية التي وجدت فيها مما أسهمت في تماسك واتساق الآيات.

أما خاتمة السورة؛ وهي عبارة عن اثني عشرة آية من الآية (109) حتى الآية (120) وفيها يعرض علينا ربّ العزة كيف أنّه سيجمع الرسل عليهم السلام، ويسألهم عن جواب أقوامهم لهم، وكأنّ هذه النقلة التي يطوى فيها الزمن تشير إلى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بلغ، وأنّ على الناس أن يستجيبوا، وأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم شهيد على

الموقف، ومن بين الرسل جميعا يخص المسيح عليه السلام بكلام تتقرر فيه صحة ما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه في شأنه.

والعنصر الأساسي الذي تعود إليه الإحالات في هذا الجزء هو اسم الجلالة وعيسى عليه السلام وهناك الحواريين؛ وهم وزراء عيسى عليه السلام وأنصاره وأعوانه وأصحابه وأتباعه.¹ فتعود الضمائر الإحالية أولاً على اسم الجلالة وسبق ذكرها أما ما هو عائد على عيسى عليه السلام هو موضح في الجدول التالي:

المحال إليه	الإحالة	نوعها	رقم الآية
عيسى (110)	ابن مريم، عليك عليه السلام والدتك، أيدتك تكلم، علمتك تخلق، تتفخ تبرئ، تُخرج	إحالة نصية قريبة المدى	الآية
	عنك		
	رسولي	إحالة نصية قريبة المدى	الآية (111)
	ابن مريم، ربك، قال	إحالة نصية قريبة المدى	الآية (112)
	قال، ابن مريم	إحالة نصية قريبة المدى	الآية (114)
	أنت، اتخذوني، أمي قال، لي، أقول كنت، قلت، نفسي	إحالة نصية قريبة المدى	الآية (116)
	أمرتني، ربي، كنت دمت، توفيتني	إحالة نصية قريبة المدى	الآية (117)

¹ ينظر: عبد الله بن مصطفى العدوي، التأويل لتسهيل التنزيل (سورة المائدة)، ص: 579

أما الضمائر الإحالية العائدة على الحواريين فهي موضحة كالتالي:

رقم الآية	نوعها	الإحالة	المحال إليه
الآية (111)	إحالة نصية قريبة المدى	آمنوا، قالوا ، آمنا أنا	الحواريون
الآية (112)	إحالة نصية قريبة المدى	علينا، اتقوا كنتم	
الآية (113)	إحالة نصية قريبة المدى	قالوا، نريد، نأكل ، قلوبنا، نعلم صدقتنا، نكون	
الآية (117)	إحالة نصية قريبة المدى	فيهم، عليهم	
الآية (118)	إحالة نصية قريبة المدى	تعذبهم، إنهم، لهم	

والإحالة التي تعود إليهم جميعا نجد:

رقم الآية	نوعها	الإحالة	المحال إليه
الآية (114)	إحالة نصية قريبة المدى	علينا، لنا أولنا، آخرنا أرزقنا عليكم، منكم	عيسى والحواريين

وهناك إحالة في بداية الخاتمة تحيل على الرسل جميعا وكانت في الآية الأولى منها

فقط ؛ الآية (109) ونوضحها كما يلي:

الرسول ← أجبتهم
← قالوا

أما الإحالات الموجودة في التعقيب المتمثل في الآية (119)، والتي ساهمت في اتساق الخاتمة قوله تعالى: ﴿صِدْقُهُمْ﴾ ﴿لَهُمْ﴾ ﴿خَلْدِينَ فِيهَا﴾ ﴿عَنْهُمْ﴾ ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾، والضمير هنا عائد على المؤمنين، وهي إحالة على سابق بعيد المدى، وقد ساهمت في اتساق هذا الجزء من السورة والمتمثل في التعقيب والحديث عن عيسى والحواريين .

هذه الإحالات في خاتمة السورة لها علاقة مع المحاور الموجودة سابقا، وهذا يوحي بالدور الذي لعبته الإحالة؛ حيث عادت الإحالة على عناصر سبق ذكرها في البداية وهي الله جلّ جلاله، مما يوحي بالاتساق العجيب بين آيات ووحدات هذه السورة، كلّ وحدة على حدة، بالإضافة إلى اتساق هذه الوحدات مع بعضها البعض مكونة وحدة نصية كلية، هذه الوحدة التي كان أحد أسباب تكونها، هي هذه الإحالات التي سبق ذكرها، لكن السؤال المطروح: ما مدى مساهمة أدوات الاتساق الأخرى في تماسك السورة؟

2_ الحذف :

إنّ ضرورة تعبير الإنسان عن حاجاته وعن الأحداث المحيطة به، جعله يقع في صعوبة ذكر كلّ هذه الحاجات والأحداث، لأنّ ذكر كلّ شيء يتطلب طول الزمان لاستماع المتلقي إليه، على ما في هذه الإطالة، من الملل وذكر ما لا يستحق ذكره، ولذلك يلجأ المتكلم إلى الحذف، وهذا الأخير ظاهرة لغوية اختصت به جميع اللغات الإنسانية دون استثناء، بحيث يقوم المتكلمون بحذف بعض العناصر المكررة في الكلام، أو بعض ما يستحق حذفه، ويفهم من خلال المقام أو المقال، ولذلك أخذت العناية من قبل أصحاب الاهتمام، من لغويين وغيرهم، فبينوا حقيقة هذه الظاهرة، لكن السؤال المطروح و الذي يبقى يدور في الأذهان: ما دور هذه الظاهرة في اتساق الكلام؟ وهل يمكن لشيء محذوف أن يربط بين الكلام؟ ويكون له دور في تماسك النصوص؟

2-1- مفهوم الحذف :

يدور المعنى اللغوي لمادة (ح . ذ . ف) حول القطع من الطرف خاصة، والطرح والإسقاط، جاء في لسان العرب: حذف الشيء يحذفه حذفاً: قَطَعَهُ من طَرَفِهِ، وقال "الجوهري": حذف الشيء إسقاطه، ومنه حذفت من شعري ... أي أخذت¹ .

" دي بوجراند "، يذهب إلى أنه: «استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو أن يعدل بواسطة العبارات الناقصة، وأطلق عليه تسمية الاكتفاء بالمبنى العدمي»²، والاكتفاء هنا إشارة إلى أن الحذف لا يعد نقصان في النص، وإنما يحقق الوحدة لهذا النص، ويذهب الباحثان " هاليداي " و " ورقية حسن " بأن الحذف « علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق، وهذا يعني أن الحذف عادة قبلية»³ .

ويكثر الحذف في النصوص دون الجمل المنفصلة، والذي يساعد على ذلك هو أن النص بناء يقوم على التماسك والاتساق، وهذان العاملان يساعدان منسج النص على الاختصار، وعدم الإحالة بذكر معلومات فائضة⁴ .

ولذلك اهتم النحاة والبلاغيون وأهل التفسير بهذه الظاهرة، قديماً وحديثاً، ولقد اعتبرها "الجرجاني" طريقة في الربط أفضل من الاعتماد على الذكر، إذ يقول في تعليل ما ذهب إليه: « الحذف باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد من الإفادة ... وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تتطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبين ...»⁵، ورأيه هذا ينم عن رأي مصيب، وبصيرة نافذة بهذه الظاهرة .

¹ ابن منظور، لسان العرب، ج 1، ص : 774

² دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص : 340

³ محمد خطابي، لسانيات النص، ص : 21

⁴ صلاح الدين صالح حسنين، الدلالة والنحو، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2005، ص : 253

⁵ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص : 117

2-2- أنماط الحذف :

أما عن أنماط الحذف المختلفة، فنجد أنها تبدأ من حذف الحركة والصوت ثم الحرف ثم الحركة والعبارة، وكذلك الجملة وما فوقها، وهي أنماط لا تخرج عن تقسيمات علماء النحو العربي، يقول " ابن جني " (ت: 392 هـ): « قد حذفت العرب الجملة والمفرد، والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك وإلا عن دليل عنه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته »¹، فشرط الحذف عنده توفر الدليل .

وأما " ابن هشام " فقد أفرد قسما خاصا تحدث فيه عن القضايا المتعلقة بالحذف، وقدم فيه أنماط الحذف مفصلة، وقد اتبع في ذلك ما اقترحه " ابن جني " ² وهذا ملخصه:

أولاً: حذف الاسم

ثانياً: حذف الفعل، وهو على ضربين:

_ الأول: أن تحذفه والفاعل فيه .

_ الثاني: أن تحذف الفعل وحده .

ثالثاً: حذف الحرف، وهو على نوعين:

_ الأول: حرف زائد على الكلمة مما يجيء بمعنى، كحذف حرف العطف، وواو

الحال، وما النافية للجنس، وما المصدرية، وحرف النداء ... إلخ .

_ الثاني: حذف حرف من نفس الكلمة .

رابعاً: حذف الجملة، كما في حذف: جملة القسم، وجواب القسم، وجملة

الشرط، وجملة جواب الشرط .

خامساً: حذف الكلام بجملته .

¹ ابن جني، الخصائص، ج 2، ص : 140

² محمود بوسنة، الاتساق والانسجام في سورة الكهف، ص : 89

سادسا: حذف أكثر من جملة¹ .

أما " هاليداي " و " رقية حسن " فقد ذكرا ثلاثة أنواع للحذف هي:

1_ الحذف الاسمي: ويعني حذف الاسم داخل المركب الاسمي مثل: (أي سيارة ستركب؟) هذه هي الأفضل، أي هذه السيارة .

2_ الحذف الفعلي: ويقصد به الحذف داخل المركب الفعلي، مثل: (هل كنت تسبح؟ نعم فعلت) .

3_ الحذف داخل شبه جملة، مثلا: (كم ثمنه؟ واحد دينار)² .

مما هو ملاحظ عن الأمثلة المقدمة، فإن الحذف يقوم بدور اتساق، على الرغم من أن هذا الدور يختلف عن الدور الذي تلعبه الإحالة، لأن في الحذف لا يوجد أثر يدل عن المحذوف فيما يلحق من النص إلا ما دلّ عليه دليل من السياق .

وبما أن الحذف يرتبط بالبنية السطحية، فإننا وجدنا من الباحثين من قام بالربط بين ظاهرة الحذف والنظرية التحويلية حيث أن الطريقة التي يقدمها النحو التحويلي في تفسير ظاهرة الحذف شبيهة بما قدمه النحو العربي، وما يسميه التحويليون بقواعد الحذف الإجباري شبيهة بما سماه العرب القدماء بالحذف الواجب، حيث لا تكون الجملة صحيحة نحويا إلا إذا ظهر المحذوف في الكلام، أي في بنية السطح على حد تعبير التحويليين³، وقد أكد الدكتور " طاهر حمودة " على المعنى عند الحذف وعلى القرائن الحالية والمقالية وذلك يدخلنا في حيز السياق النصي⁴ .

¹ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج 2، ص: 140-158

- ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ج 2، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1964، ص: 668 وما بعدها .

- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج 2، ص: 193-194

- محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج 2، ص: 1178-1212

² محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 22

³ طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1999، ص: 14

⁴ المرجع نفسه، ص: 15-18

أما عن المواضع التي يكثر فيها الحذف فقد ذكر "هاليداي" و"رقية حسن" جملة الاستفهام لأنها تعد الدرجة القصوى للحذف المعجمي، وسبب ذلك أن جملة الاستفهام تشتمل على دليل الحذف، وذكرنا أنواعا أخرى للحذف واعتبرناها مهمة في التحليل النصي وهو: حذف بعض الأحداث دون البعض في التسلسل الزمني للقصة ... والحذف النسبي مثل قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبْ بَعْصَالِكَ الْحَجَرَ ط فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ البقرة، الآية (60) أي: فضرب فانفجرت، ومنها حذف الزمان والمكان ... وغيرها من الحذف القصصي¹.

وقد لاحظ الباحثان أن أكثر الأنماط قياما بمهمة التماسك النصي هي:

1_ حذف الاسم، 2_ حذف الفعل، 3_ حذف العبارة، 4_ حذف الجملة، 5_ حذف أكثر من الجملة².

وهذا الذي سيكون عليه التحليل النصي للسورة لاحقا، لكن هناك جوانب لها علاقة بهذه الأنماط من الحذف، مثل الإحالة والاستبدال وضرورة وجود الدليل، وهذا ما سنتناوله وعلى الترتيب .

2-3 - علاقة الحذف بالإحالة:

يعتبر الحذف ذو طبيعة مرجعية سابقة، «وذلك أن شرط الحذف هو العلم بالمحذوف، وهذه الكلمة هي الأساس الذي تدور عليه ظاهرة الحذف، لأن الحذف دون توفر القرينة والدليل من باب تكليف الغيب والرجم به³»، ووجود القرينة والدليل هو بمثابة المرجع والإحالة .

وأحيانا تكون مرجعية الحذف خارجية، وهذه تعتمد على سياق الحال الذي يمدنا بالمعلومات التي تسهم في تفسير المثال، لكن الحذف المرجعي للخارج - خارج النص -

¹ محمود بوسته، الاتساق والانسجام في سورة الكهف، ص: 91

² صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ص: 196

³ ينظر: محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج 2، ص: 1148

ليس له مكان في التماسك¹ النصي كونه لا يربط بين وحدات النص المختلفة، فأماكن تواجد هذا النوع على مستوى الجملة الواحدة لا على مستوى الجمل المترابطة².

والجملة الواحدة ليس فيها - في الغالب - ما يدل على المحذوف، كي يمكن فيما بعد أن يتماسك المحذوف مع ما يدل عليه في الجملة.

وقد ذكر " هاليداي " أمثلة كثيرة، خاصة في الاستفهام، توضح أهمية المرجعية في تحقيق التماسك بين جملة الاستفهام وجملة الجواب، إذ يوجد في الغالب، حذف الكثير من العناصر في جملة الجواب يدل عليه ما ذكر في جملة الاستفهام³.

وعليه يمكن أن نستنتج بأن مرجعية الحذف على ضربين: الأول منه قد يكون في الغالب على مستوى الجمل وهذا النوع هو مرجعية الحذف السابقة أو اللاحقة أو المتبادلة، أما الضرب الثاني فهو الذي يكون على مستوى الجملة المفردة، وهذا النوع هو المرجعية الخارجية، التي ليس لها دور في تحقيق الاتساق، كون هذا الأخير يتحقق في العلاقات بين الجمل، وليس في العلاقة بين الجملة في سياقها الخارجي.

2-4 - علاقة الحذف بالاستبدال:

لا يختلف الحذف عن الاستبدال، باعتباره علاقة اتساق من جهة، ثم بكونه يتحقق بوجود عنصرين سابق ولاحق، لكن المظهر البارز الذي يميزه عنه هو أن عنصر الاستبدال يشكل - بوجود عنصره - علاقة حضور بينما يشكل الحذف - بإلغاء أحد العنصرين - علاقة حضور وغياب في آن واحد ؛ حضور المبدل منه وغياب المبدل، ولذلك يميل بعض الباحثين - كما سبق - إلى تسميته " استبدالاً صفرياً " أو الاكتفاء بالمبنى العدمي " Substitution by Zéro"⁴ وهذا ما ذهب إليه " هاليداي " و " رقية حسن "، أي أن علاقة الاستبدال تترك أثراً، ولهذا فإنّ المستبدل يبقى مؤشراً يسترشد به القارئ للبحث عن

¹ صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج 2، ص : 201

² محمود بوسنة، الاتساق والانسجام في سورة الكهف، ص : 91

³ Haliday and R.Hassan , **Cohesion in eenglish** , languman , P : 144

نقلا عن : صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج 2، ص : 202

⁴ دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص : 340

العنصر المفترض، مما يمكنه من ملء الفراغ الذي يخلقه الاستبدال، بينما الأمر على خلاف هذا في الحذف، إذ لا يحل محل المحذوف أي شيء¹، لكن الإبدال الذي يعنيه " هاليداي " و " رقية حسن " غير الإبدال الذي يعنيه علماء النحو العربي .

فالمثال التالي: عمر قرأ بعض الكتب وعلي (...) بعض المجالات، فالفراغ الخالي الموضوع بين قوسين في الجملة الثانية يعتبر من وجهة نظر " هاليداي " و " رقية حسن " صفراً، لأنه خال من الكلام، فهو إذا يعبر عن الاستبدال الصفري، ومن ثم فإن هناك إبدال بين " قرأ " في الجملة الأولى والصفير أو المقدر في الجملة الثانية، وفي هذه الحالة تبرز لنا علاقة الاتساق بين الجملتين .

لكن المثال نفسه لا يعد في النحو العربي بدلاً، بل يمثل نوعاً من التكرار للفظ الفعل، وبهذا قالتكرار هو الذي ساهم في اتساق هاتين الجملتين وليس البديل .

ومن الأمثلة التي جاءت في كتب النحو العربي، المثال الذي أورده " المبرد " في المقتضب، وهو قول " قيس بن الحطيم " :

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلَفٌ

والمراد منه: نحن بما عندنا راضون، وأنت بما عندك راضٍ²، ويمكن تمثيله كالآتي:

نحن - بما - عندنا (.....)



أنت - بما - عندك - راضٍ هذا إبدال من الصفير بتعبير " هاليداي "، التماسك هنا تحقق عبر عدة جوانب:

1_ تكرار اللفظ نفسه .

2_ الإحالة بين الشطرين .

3_ وجود دليل على المحذوف .

¹ محمد خطابي، لسانيات النص، ص : 21

المبرد، المقتضب، تح : محمد عبد الخالق عزيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، (د.ط)، 1399هـ، ج4،

² ص : 73

بعد هذا يمكن القول أنّ العلاقة بين الحذف والإبدال، هي في الحقيقة علاقة بين الحذف والتكرار، لأنّ هذه النماذج العربية والغربية ليست من الإبدال، وعليه فالإبدال الذي يقصده " هاليداي " و " رقية حسن"، لا يماثل الإبدال التابع في النحو العربي¹.

2-5- كيف يتحقق الاتساق من خلال الحذف ؟

يعتبر المحذوف كالمذكور، خاصة أنه لا يحذف شيئاً لا وجوباً ولا جوازاً إلاّ مع قرينة دالة على تعيينه²، ولذلك يُطبّق على العناصر المحذوفة في النصّ ما يطبق على النصّ غير المحذوف .

ومما هو ملاحظ أنّ الاتساق في تراكيب الحذف يقوم على محورين أساسيين:

المحور الأول: التكرار.

المحور الثاني: الإحالة (المرجعية)³.

فهنالك إذن بيانات أو معلومات نهتدي بها إلى معرفة العناصر المحذوفة وهي القضية المحورية، ثمّ بعد ذلك يكون البحث عن أثر هذه العناصر في تحقيق الاتساق، وذلك بعد ملاحظة نوع التكرار ونوع الإحالة المحققة تبعاً للحذف⁴.

ولقد أدرك علماء العرب القدامى دور الحذف في تحقيق التماسك النصّي، فهذا **السيوطي** يطلق مصطلح " الاحتباك " ويقصد به « أنّ الحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما أثبت نظيره من الأول⁵»، وكلمة الاحتباك مأخوذة من الحبك⁶.

من خلال ما جاء به **السيوطي**، تتبين لنا تلك النظرة القديمة للحذف عند علماء العرب ونبرز من خلالها بعد النظر واتساعه لهذه الظاهرة عندهم، وكيف أنّهم ربطوا العلاقة بين

¹ صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصّي، ج 2، ص : 201

² محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج 2، ص : 1148

³ صبحي إبراهيم الفقي، المرجع السابق، ص : 221

⁴ محمود بوسنة، الاتساق والانسجام في سورة الكهف، ص : 94

⁵ جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج 3، ص : 182

⁶ المرجع نفسه، ص : 183

الحذف والتماسك النصي، كما جاء به علماء لسانيات النص في الوقت الحالي، إلا أنها طرحت من خلال ضمنيات داخل الكتب التي جاؤوا بها من أمثال الإتيان. إن الغاية من الحذف هنا، هو بيان وظيفته في تحقيق الاتساق النصي، وتتلخص الخطوات التي لا بد لمحلل النص إتباعها في إبراز دور الحذف في تماسك النص في الآتي:

1_ ذكر النماذج التي يراد تحليلها.

2_ تحديد وظائف عناصر الجملة.

3_ البحث عن المعلومات التي تهدينا إلى المحذوف، مثل السياق المقامي، والسياق اللفظي المتمثل في وجود دليل على المحذوف سابق أو لاحق¹، لأنه إذا وجد الحذف، فلا بد من وجود دليل عليه.

ومن خلال هذا العرض النظري لظاهرة الحذف، وما يرتبط بها من قضايا كعلاقتها بلإبدال والإحالة، وكيفية تحقيق التماسك النصي من خلالها، نقوم الآن بالتطرق للدراسة التحليلية لسورة المائدة، وذلك بإبراز كيفية تحقق اتساق السورة من خلال ظاهرة الحذف، وذلك وفق ما جاءت به لسانيات النص .

2-6- التحليل النصي لسورة المائدة من خلال ظاهرة الحذف:

قبل بداية تحليل السورة، يجدر بنا أن نحدد أهم الجوانب التي لابد لنا أن نركز عليها، لما لها من دور في تحقيق الاتساق النصي لسورة المائدة من خلال ظاهرة الحذف وهي:

1_ إبراز الشيء المحذوف أو تقديره.

2_ الكشف عن الدليل بما له دور في تحقيق وإيضاح العلاقة الاتساقية بين الأجزاء المترابطة عن طريق الحذف.

3_ العلاقة التي تربط الحذف بالإحالة والتكرار، مع توضيح نوعية هذه الإحالة.

¹ صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ص: 221

وتزخر سورة المائدة بعدد كبير من المواضيع التي بها حذف، سواء كان حذف الاسم أو الفعل أو العبارة أو الجملة أو حتى الجمل، وهذا أمر واضح، كون السورة تحوي العديد من المواضيع، وأيضا من طبيعة الإعجاز القرآني عدم التفصيل الطويل حول الحثيات جميعها. ويبقى استخلاص الأمور الثانوية التي تذكر، من مهمة المتلقي، وهذا ما جاء به النّصّانيون، ولم تقتصر مهمة الحذف في هذه السورة على تحقيق الاتساق بين أجزاء الجملة الواحدة، أو الآية الواحدة، بل بفضل الحذف تحقق الاتساق بين أكثر من جملة، وكذلك بين أكثر من آية، غير أن النوع الأكثر وجودا، هو النوع الأول من التماسك.

أ_ حذف الاسم:

نبدأ بتحليل الآيات التي حذف فيها الاسم، وهي منتشرة في أجزاء السورة المختلفة، ومنها قوله تعالى:

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ﴾ الآية (02)

﴿ ... أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الآية (19).

﴿ قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ الآية (77).

﴿ فَكَفَّرْتُهُ ۗ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِّنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ وَجْرَتُهُمْ أَوْ قَوْلُ رَقَبَةٍ ۗ ﴾ الآية 89 .

﴿ ... كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ ۗ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ الآية (89).

﴿ ... لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ الآية (94) .

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ نَجِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ الآية (103) .

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ الآية (110).

وفي الجدول التالي يتم توضيح المحذوف من هذه الآيات، وكذا الدليل عليه، ونوعيته
أهو سابق للمحذوف أو لاحق له، ونوع الاتساق الذي أحدثه هذا الحذف، إما بين أجزاء الآية
الواحدة، أو كان عاملا في اتساق أكثر من آية .

رقم الآية	المحذوف	الدليل	سابق/لاحق	نوع الاتساق الذي تحقق
الآية (02)	لا تحلوا قتال (قوم) أميين	أميين يبتغون	سياقي	تحقق الاتساق على مستوى الآية الواحدة
الآية (19)	كراهة (قولكم)	أن تقولوا	دليل لاحق	تحقق الاتساق على مستوى الآية الواحدة
الآية (77)	لا تغلوا (غلوا) ...	تغلوا	دليل سابق	تحقق الاتساق على مستوى الآية الواحدة
الآية (89)	إطعام ... طعاما (محدوداً)	من أوسط	دليل لاحق	تحقق الاتساق على مستوى الآية الواحدة
الآية (89)	يبين لكم .. (تبيينا)	يبين	دليل سابق	تحقق الاتساق على مستوى الآية الواحدة
الآية (94)	يخافه حالة كونه (غائبا)	بالغيب	دليل لاحق	تحقق الاتساق على مستوى الآية الواحدة
الآية (103)	ما صير الله (حيوانا) بحيرة	بحيرة	دليل لاحق	تحقق الاتساق على مستوى الآية الواحدة
الآية (110)	(رضيعا) في المهد	المهد	دليل لاحق	تحقق الاتساق على مستوى الآية الواحدة

من خلال التحليل عبر الجدول السابق، نجد أن الدليل مقالي في الأمثلة المذكورة
باستثناء المثال الأول؛ والذي كان فيه دليل الحذف من خلال السياق، لذا لم يظهر الاتساق
واضحا في هذا الحذف، أما الأمثلة السبع الأخرى، فالتماسك بين عناصر كل آية واضح،
ولأن الدليل مذكور فقد جاء المحذوف من لفظ المذكور ومعناه في الآيات: (02-19-77-
89-94-103-110)، ففي الآية الثانية كانت الكلمة وهي عنصر القول، وفي الثالثة (غلوا
من تغلوا)، والرابعة (محدودا، من أوسط)، والخامسة (تبيينا من يبين)، والسادسة (غائبا،
بالغيب)، والسابعة (رضيعا من المهد)، وكل هذا حقق الاتساق بين عناصر الآية الواحدة .

وهناك نوع آخر من الحذف الاسمي في السورة، لكن لم يعمل على اتساق أجزاء السورة، بل
من خلاله يتضح لنا اتساق السورة القرآنية بعضها ببعض، وهو دليل على تماسك النص

القرآني، وهو قوله تعالى: ﴿ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ تَحَكَّمُ مَا يُرِيدُ ﴾ الآية (01)، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ... ﴾ ﴿ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَآذِكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأَنْثَيْنِ أَمَّا اسْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَنْثَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ سورة الأنعام الآيتين (142)، (143).¹

فالفراغ الموجود في الآية من سورة المائدة ﴿ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ ﴾ سدته عبارة ﴿ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ ... ﴾ في سورة الأنعام، وهذا الحذف حقق الاتساق بين سور القرآن الكريم .

ب - حذف الفعل :

والآيات التي حذف منها الفعل، في قوله تعالى:

﴿ ... وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾ الآية (48)، فالجار والمجرور متعلقان بالفعل المحذوف " أراد " .

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ

النَّعِيمِ ﴾ الآية (65)، حذف الفعل وتقديره لو " حصل " إيمانهم وتقواهم لكفرنا عنهم سيئاتهم.

﴿ ... ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمٌ ﴾ الآية (97)، فـ " ذلك " يجوز أن تكون مفعولا به لفعل محذوف والتقدير: وجعل الله

ذلك لتعلموا .

¹ ينظر : أبو محمد مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية، كلية الدراسات العليا، الشارقة، ط 1، 2008، ج 3، ص : 1556

وينظر : مصطفى بن العدوي، التسهيل لتأول التنزيل (سورة المائدة)، ص : 34

﴿ ... أَتَّانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ أَوْحَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ الآية (106). "إن" حرف شرط جازم، و " أنتم " فاعل لفعل محذوف يفسره ما بعده والجواب محذوف أي: إن أنتم ضربتم فأخران ...

﴿ يَوْمَ تَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ﴾ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّا كُنَّا نَعْلَمُ الْغُيُوبَ ﴿ الآية (109)، ف " يوم " ظرف زمان متعلق بالفعل المحذوف " اذكر " أي: اذكر يوم يجمع الله الرسل .

والجدول التالي يوضح المحذوف الفعلي والدليل عليه ونوع الاتساق الذي أحدثه :

رقم الآية	المحذوف	الدليل	سابق الاحق	نوع الاتساق الذي أحدثه
الآية (48)	(أراد) لأن يبلوكم	السياق	لاحق	تحقق الاتساق بين عناصر الآية الواحدة
الآية (65)	(حصل) إيمانهم	السياق	—	تحقق الاتساق بين عناصر الآية الواحدة
الآية (97)	(جعل) ذلك	جعل	سابق	تحقق الاتساق بين عناصر الآية الواحدة
الآية (106)	(ضربتم) أنتم	ضربتم	لاحق	تحقق الاتساق بين عناصر الآية الواحدة
الآية (109)	(اذكر) يوم	السياق	—	تحقق الاتساق بين أكثر من آية

هذا بالنسبة لحذف الفعل، بينما حذف الجملة فهو كما سيأتي:

ج- حذف الجملة :

ومن حذف الجملة، حذف جملة القسم مثلا، وجملة الشرط، وجملة جواب الشرط، وهناك أيضا حذف الكلام بجملته، وحذف أكثر من جملة، وقد وجد هذا النوع من الحذف في سورة المائدة، وكان له الأثر الكبير في الاتساق الداخلي للسورة كما هو ملاحظ في المواضع التالية من قوله تعالى:

﴿ ... فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَلِكَ كَفْرَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۗ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ الآية (89) .

"إذا" ظرفية شرطية غير جازمة، وجملة "حلقتم" في محل جرّ بالإضافة، والجواب محذوف دلّ عليه ما قبله أي: إذا حلقتم ونكثتم فذلك كفارة أيمانكم، فالجملة المحذوفة حققت اتساقا لهذه الآية كما هو ملاحظ.

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ

الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ الآية (92).

جواب الشرط بعد "إن" الشرطية الجازمة محذوف والتقدير: إن توليتم فاعلموا أنكم مجازون بعملكم .

﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْتِ الْإِلَهَ الْأَلْبَسِ

لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿١٠٠﴾ الآية (100).

جواب "لو" محذوف كذلك والتقدير: ولو أعجبك كثرة الخبيث فلا يستوي والطيب.

﴿ ... قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ الآية (112).

فجواب الشرط محذوف والتقدير: إن كنتم مؤمنين فاتقوا الله في سؤالكم.

بالإضافة إلى ما سبق لا بأس أن نشير إلى نوع من الحذف تميز به النص القرآني وهو ما سماه البلاغيون "إيجاز الحذف" ونلاحظه في كلام الله سبحانه وتعالى عن قصة "المائدة" إذ أتى الكلام بشكل مجمل دون تفصيل، وهذا من طبيعة القصص؛ إذ الاستغناء بأحداث معينة، لنستنتج الأحداث الأخرى من خلال السياق، إذ للمتلقي دور كبير في تقدير الحذف، وهذا ما تضطلع به لسانيات النص؛ بحيث يستتبط المتلقي المحذوف من الأحداث قصد إبراز تماسك النص وترابطه.

ومن هنا تتضح أهمية الحذف وأنواعه: حذف الاسم والفعل والجملة وأكثر من جملة، في اتساق سورة المائدة سواء على مستوى الآية الواحدة، أو على مستوى الآيات، ليساهم مع وسائل الاتساق الأخرى -التي ذكرناها- في التماسك الشكلي للسورة، إذ لا يقل أهمية عن غيره من الوسائل، وذلك لأن المحذوف كالمذكور إذا دلّ عليه دليل .

3_ العطف:

لعل التصور القائم على أن النص: « عبارة عن جمل أو منتاليات متعاقبة خطيا، ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص¹»، وهذا ما يعطي إشارة واضحة على أهمية العطف في بناء اتساق النص وتماسكه .

3-1- مفهوم العطف:

تدور كلمة " العطف " حول الثني والميل والرجوع، وهذا هو المعنى الذي أراده النحاة المتقدمون حين اختاروا كلمة " العطف "، فحين يقال: « الواو حرف عطف في مثال " جاء زيد وعمرو" فهذا يعني أن الواو تثني وتميل وترجع " عمرا " على " زيد " فيجري على عمرو ما يجري على زيد من حكم معنوي، وهو إسناد المجيء إليه، وحكم إعرابي ترتيبا على هذا الإسناد هو الرفع، وعلى هذا يفترض أن " العطف " يعني إرجاع الثاني إلى الأول في الحكم والإعراب²».

والعطف باعتباره أحد أدوات الربط فقد كثر وروده في القرآن الكريم، إلى درجة أنك تجده في الآية الواحدة عدة مرات، ولذلك فقد نال نصيبا وافرا من الدراسة سواء من أهل اللغة في القديم، أو حتى عند الدارسين في الوقت الحالي، دون أن يهمله النصانيون، بل عده غير واحد منهم وسيلة مستقلة من وسائل الاتساق كما سيوضح .

3-2- العطف عند القدمات :

الكلام عن العطف عند القدمات يستدعي بالضرورة الحديث عن ظاهرة القطع والفصل باعتبارها الظاهرة التي تقابله وتكسبه قيمته³، إذ أن القدمات ربطوا العطف بقضية الفصل والوصل، وعرضوا القضية على ثلاث محاور :

¹ محمد خطابي، لسانيات النص، ص : 23

² محمود بوسته، الاتساق والانسجام في سورة الكهف، ص : 102

³ محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج 1، ص : 402

1_ كمال الاتصال: وهذا لا يجوز العطف فيه¹، وهو أن يكون ما قبلها بمثابة الصفة من الموصوف و التأكيد من المؤكد، فلا يدخلها عطف لشدة الامتزاج²، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَوَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۗ لَقَمَانَ الْآيَةِ (07)

2_ كمال الانقطاع: مثل سابقه، لا يجوز فيه العطف³، وهو أن أن يغير ما قبلها، وليس بينها نوع ارتباط بوجه⁴، إذ لا توجد أي علاقة رابطة، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۗ ﴾ البقرة الآية (06)، بعد قوله تعالى: ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۗ ﴾ البقرة الآية (05) .

3_ التوسط بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع: بمعنى وجود جهة جامعة تجيز العطف، وهذه الحالة الوحيدة التي أجازوا فيها العطف⁵ حيث أن هناك نوع من الارتباط بين المعطوف والمعطوف عليه، كقوله تعالى: ﴿ وَأُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۗ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۗ ﴾ البقرة الآية (05) .

ويرى " تمام حسان " أنه لم تتجه عناية النحاة إلى علاقة الجملة بالجملة إلا في مواضع معينة كعلاقة الجملة الفرعية ... بالجملة الكبرى وكالإضراب والاستدراك والاستثناء والأجوبة ونحوها مما يعتمد على الأدوات الداخلة على الجملة وتركوا ماعدا ذلك من علاقة الجملة بالجملة لعلماء البلاغة ليدرسوه تحت عنوان " الفصل والوصل "، ومعنى الفصل عدم استعمال الأداة لتبدو الجملة الثانية في صورة استئناف، ومعنى الوصل وجود الأداة الرابطة بين الجملتين⁶، وهذا هو الذي يعنينا.

¹ صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج 1، ص : 247

² الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 4، ص : 104

³ صبحي إبراهيم الفقي، المرجع السابق، ص : 247

⁴ الزركشي، المرجع السابق، ص : 104

⁵ صبحي إبراهيم الفقي، المرجع السابق، ص : 248

⁶ تمام حسان، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط 2، 2000م، ج 1، ص : 397

وقد حصر البلاغيون الوصل في الواو العاطفة، فيعقب " تمام حسان " على هذا بقوله: « وكأنّ البلاغيين لم يشغلهم من الأدوات الداخلة على الجملة اللاحقة إلاّ واو العطف فوجودها مظهر الوصل وعدمها مظهر الفصل¹، فوجود الوصل في نظرهم وجود للواو العاطفة، وغياب الوصل غياب لهذه الواو.

ثمّ ينتقد " تمام حسان " هذا الموقف، ويرى بأنّه قد ضيق واسعاً²، ف"تمام حسان" يذهب إلى أنّ الوصل لا يقتصر على الواو العاطفة ومطلق الجمع فحسب، بل يتعداها إلى بقية أدوات العطف الأخرى، وبقية العلاقات .

وقد فرق " عبد القاهر الجرجاني " بين أدوات العطف " فيقول: « واعلم أنّه إنّما يعرض الإشكال في " الواو " دون غيرها من حروف العطف، وذلك لأنّ تلك تفيد مع الإشراك معاني مثل أنّ " الفاء " توجب الترتيب من غير تراخ و " ثمّ " توجهه مع تراخ، و " أو " تردد الفعل بين شيئين، وتجعله لأحدهما لا بعينه ... لكن الواو وليس للواو معنى سوى الإشراك في الحكم الذي يقتضيه الإعراب ... فإذا قلت: (جاءني زيد وعمرو) لم تقد بالواو شيئاً أكثر من إشراك عمرو في المجيء الذي أثبتّه لزيد والجمع بينه وبينه³، ولتوضيح ما قاله، يضرب " الجرجاني " لذلك بمثال لا يستقيم فيه العطف، وهو قول " أبي تمام " :

لا والذي هو عالم أنّ النوى صبراً وأنّ أبا الحسين كريم⁴

وذلك لأنّه لا مناسبة بين كرم الممدوح " أبي الحسين " ومرارة النوى، ولا تعلق لأحدهما بالآخر، وليس يقتضي الحديث بهذا الحديث، بذاك⁵.

¹ تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص : 398

² المرجع نفسه، ص : 399

³ الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص : 240

⁴ أبوتمام الطائي، ديوان أبي تمام بشرح التبريزي، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ج 3، ص : 290 .

والبيت في مدح " أبي الحسين محمد بن الهيثم " في قصيدة مطلعها :

أسقي ظلّولهم أجشّ هزيمُ وعدتُ عليهم نضرة ونعيمُ

⁵ الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص : 240

وأثناء حديثه عن عطف الجملة - على قبل ما يليها - يظهر سداد رأيه، وبعد نظره، فيقول: « اعلم أن مما يقلُّ نظر الناس فيه من أمر العطف، أنه قد يوتى بالجملة فلا تعطف على ما يليها، ولكن تعطف على جملة بينها وبين هذه التي تعطف جملة أو جملتان»¹، أي عطف الجملة على جملة أخرى بينهما جملة أو اثنتان تفصلان بين المعطوف عليه والمعطوف، وفي هذا النوع من ترابط الجمل الشيء الكثير، ويصبح كحلقة العقد المترابط أجزاءها، ويضرب لذلك مثالا من قول المتنبي:

تَوَلَّوْا بَغْتَةً فَكَانَ بَيْنَنَا
تَهَيَّبَنِي فَفَاجَأَنِي اغْتِيَالًا
فَكَانَ مَسِيرُ عَيْسِهِمْ ذَمِيلًا
وَسَيْرُ الدَّمْعِ إِثْرَهُمِ انْهَمَالًا²

فقوله: (فكان مسير عيسهم) معطوفة على (تولوا بغتة)، وليست معطوفة على (فجاجني)، لأننا إذا عطفناه على هذا الذي يليه أفسدنا المعنى ... وذلك يؤدي إلى أن لا يكون مسير عيسهم حقيقة³.

فمن خلال عطف الجملة على ما يليها يحدث ذلك الاتساق العجيب بين أجزاء النص، وخاصة عند انتشاره يكون تلك الوحدة الكلية للنص محدثا ترابطا بين الوحدات، لأن المتكلم إذا ربط بين الجمل، كان إيذانا منه أراد من ذلك الوصل بين المعاني⁴.

وقد توصل " عبد القاهر الجرجاني " إلى أن الجمل في العطف وعدمه على ثلاثة أضرب :

1_ جملة حالها مع التي قبلها، حال الصفة مع الموصوف، والتأكيد مع المؤكد، فلا يكون فيها العطف البتة .

2_ جملة حالها مع التي قبلها، حال الاسم يكون غير الذي قبله، إلا أنه يشاركه في الحكم، ويدخل معه في معنى، فيكون حقها العطف .

¹ الجرجاني، دلائل الإعجاز ص : 255

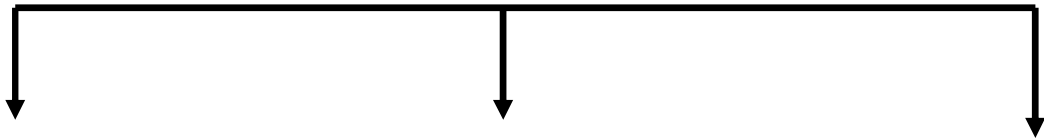
² عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1986 م، ج 3، ص : 338

³ الجرجاني، المرجع السابق، ص : 255

⁴ محمود بوسته، الاتساق والانسجام في سورة الكهف، ص : 105

3_ وجملة ليست في شيء من الحاليين ... فيكون ذكر الذي قبله وترك الذكر سواء في حاله، لعدم التعلق بينه وبينه رأساً، وحق هذا ترك العطف البتة .

فترك العطف يكون إما للاتصال إلى غاية، أو الانفصال إلى الغاية، والعطف لما هو واسطة بين الأمرين، وكان له حال بين الحاليين فاعرفه¹، أي أنه في حال كمال الاتصال، وكمال الانفصال لا يكون هناك عطف، بل يكون العطف في التوسط بينهما، كما هو موضح في التمثيل الآتي²:



كمال الاتصال	كمال الانفصال	التوسط بين كمال الاتصال
(صفة مع موصوف،	(كالبديل لا يحتاج فيه	وكمال الانفصال
مع مؤكد)	إلى عطف	(يحتاج فيه إلى عطف النسق)
لا يحتاج فيها إلى عطف		

ففائدة العطف هي وصل الكلام بعضه ببعض والإشراك بين المعطوف والمعطوف عليه في الحكم والدخول معه في المعنى، حتى يكون النص وحدة كبرى حيث يعتبر " ابن يعيش " أن: « الغرض من عطف الجمل ربط بعضها ببعض واتصالها والإيذان بأن المتكلم لم يرد قطع الجملة الثانية من الأولى »³، فذكر " ابن يعيش " لعطف الجمل يوحى بنظره البعيد في دور العطف في تماسك ما فوق الجملة .

أما " ابن الناظم " - محمد بن مالك - فقد قسم حروف عطف النسق إلى قسمين:

الأول: ما يعطف مطلقاً: أي يشرك في الإعراب والمعنى، (الواو، ثم، الفاء، حتى، أم)

¹ الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص : 254

² محمود بوسنة، الاتساق والانسجام في سورة الكهف ، ص : 106

³ ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، القاهرة، ج 3، ص : 75

الثاني: ما يعطف لفظا فحسب، أي يشرك في الإعراب وحده، وهو (بل، لا، لكن)¹.
ففي النوع الأول من العطف يتحقق الترابط الشكلي الدلالي، وفي النوع الثاني يتحقق الترابط الشكلي فقط، أي أنهما يشتركان في أنّ لهما خاصية الترابط الشكلي كون التماسك هنا حدث بأداة العطف .

يتضح لنا مما سبق ذكره، كيف أدرك علماء العربية أهمية العطف في تحقيق الترابط بين الجملة الواحدة وأهميته أيضا في تحقيق اتساق النصّ عامة، ويزداد الاهتمام أكثر خصوصا عند البلاغيين في مسألة الوصل والفصل².

3-3- العطف عند النصائيين :

أما عند الباحثين في لسانيات النصّ فنجدهم قد جعلوا أدوات العطف إحدى وسائل الاتساق، وهذا نجده مثلا عند " هاليداي " و " رقية حسن " في كتابهما " الاتساق في الانجليزية "، حيث كان العطف الوسيلة الرابعة من وسائل الاتساق المذكورة في الكتاب وهي (الإحالة - الإبدال - الحذف - العطف - التماسك المعجمي).

وقد تنبه " محمد الشاوش " في كتابه " أصول تحليل الخطاب " إلى دور العطف في تحقيق التماسك النصّي، واعتبره أحد مظاهر الربط بين الجمل، وأفرد له حيزا كبيرا من كتابه شارف المائة صفحة³.

أما " أحمد عفيفي " فقد جعل العطف أحد وسائل الربط إلى جانب أدوات أخرى تسهم في اتساق النصّ عن طريق الربط، الذي عده أصعب الأدوات تحديدا، كونه تماسكا وظيفيا بدرجة كبيرة، لأنّ هذا النوع يعتمد على الروابط السببية المعروفة بين الأحداث التي يدلّ عليها النصّ، وهي متنوعة تسمح بالإشارة إلى مجموعة المتواليات السطحية بعضها ببعض⁴.

¹ محمد بن مالك - ابن الناظم -، شرح ابن الناظم، تح: عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ص:

519-520

² محمود بوسنة، الاتساق والانسجام في سورة الكهف، ص: 107

³ ينظر: محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج 1، ص: 401-498

⁴ ينظر: أحمد عفيفي، نحو النصّ، ص: 128

ولقد جعل " دفيد كريستال " العطف أول وسيلة من وسائل التماسك النصي ... إلى جانب وسائل أخرى مثل الإحالة بأنواعها، التكرار والعلاقات المعجمية، والمقارنة¹ .

لكن هذا الدور الكبير الذي يناط بأدوات العطف في جعلها وسيلة من وسائل الاتساق بوجود عوامل أخرى محيطة بهذه الأداة، كتوفر العلاقة الإعرابية وأفعال المشاركة ومعنى حرف العطف، لأن لكل حرف معنى خاص به، يقول " محمد حماسة عبد اللطيف " : «يقوم حرف العطف مع التطابق في العلامة الإعرابية بالدور العظيم في ترابط المعطوف بالمعطوف عليه، وقد تتوافر عناصر أخرى من خارجها ؛ كأن يكون المعطوف عليه والمعطوف مطلوبين لما يدلّ على المشاركة ... ويقوم معنى حرف العطف نفسه بدور في مشاركة المعطوف المعطوف عليه ... »² .

ولأنّ حروف العطف تكتسب معانيها من السياق الذي ترد فيه، فقد قسم النصانيون الربط إلى عدة أقسام:

- 1_ الربط الإضافي (Additive): بواسطة الأداتين "و" و "أو".
- 2_ الربط العكسي (Adversative): والذي يعني على عكس ما هو متوقع، والأداة التي تعبر عن الوصل العكسي في نظر " هاليداي " و " رقية حسن " هي: " Yet " ³ ، والتي يمكن أن تقابلها في العربية الأداة " حتى " .
- 3_ الربط السببي: فيمكننا من إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر، وتمثله اللفظة " So " والتي يمكن أن تقابلها في العربية " هكذا " .
- 4_ الربط الزمني: علاقة بين جملتين متتابعتين زمنياً، وأبسط تعبير عن هذه العلاقة هو " Then " ⁴ والتي تمثلها في العربية حرف العطف " ثمّ " .

¹ David Crystal ,the Cambridge encyclopedia of language , p : 119

نقلا عن : صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي - بين النظرية والتطبيق -، ج1، ص : 257

² محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار غريب، القاهرة، 2003، ص : 193

³ محمد خطابي، لسانيات النص : ص : 23

⁴ محمد خطابي، لسانيات النص ، ص : 23-24

وبعد هذا العرض النظري حول دور العطف في تحقيق تماسك النصوص من خلال أدواته المختلفة، وذكر آراء علماء العربية القدامى، والمهتمين بلسانيات النص في الوقت الحالي، يجدر بنا أن نتناول تطبيقياً دور العطف في تحقيق اتساق سورة المائدة .

3-4- التحليل النصي لسورة المائدة من خلال ظاهرة العطف :

تتكون سورة " المائدة " - كما سبق - من فقرات كل فقرة تتحدث عن موضوع معين، وتجتمع كلها في أن قضيتها الأساسية، هي الحلال والحرام أي الشرائع التي شرعها الله للمؤمنين والتي انتهجها لهم كونها تعد من السور المدنية.

ولقد برزت بكثرة أدوات العطف في هذه السورة، وداخل كل جزء على حده، مما يولد

لدينا تساؤلاً حول مدى تحقق اتساق موضوعات السورة من خلال العطف؟

يتضح من خلال إحصاء أدوات العطف الموجودة في سورة المائدة أنها كالاتي:

أداة العطف	عدد المرات	رقم الآيات
حرف "الواو"	211 مرة	من الآية (01) إلى الآية (120)
حرف "الفاء"	22 مرة	(06)، (11)، (21)، (24)، (27)، (30)، (31)، (42)، (53)، (71)، (85)، (105)، (106)، (107)، (109)، (110)
ثمَّ	6 مرات	(06)، (32)، (43)، (71)، (75)، (102)
أو	14 مرة	(06)، (32)، (33)، (42)، (52)، (89)، (95)، (106)

من خلال الجدول يتبين لنا مدى احتواء السورة على أدوات العطف فكيف ساهمت في

اتساق السورة وتماسكها ؟

نبدأ بتحليل مقدمة هذه السورة التي تبتدئ بنداء الإيمان: ﴿ يَتَّيِّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾، وهي من الآية الأولى إلى الآية الحادية عشرة، وكانت بداية العطف في

قوله تعالى: ﴿ يَتَّيِّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْجُوا شَعْبِ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا أَهْدَى وَلَا

الْقَلْتِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ﴾ الآية (02)

وقد ورد العطف في هذه الآية حوالي سبع مرات ؛ بعطف " الشهر الحرام " و " الهدي " وما بعدها من شعائر عطف الجزئي على كليّه للاهتمام به، والمراد به جنس الشهر الحرام لأنه في سياق النفي .¹

وعطف " القلائد " على " الهدي " للمبالغة في احترامه، وقوله: ﴿ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ﴾ عطف على ﴿ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ .²

فتحقق الاتساق من خلال العطف بين الجمل داخل هذه الآية الواحدة .

أما الآية التي بعدها نجد العطف بارزا بشكل كبير يربط بين عناصرها، ونفس الشيء بالنسبة لباقي آيات المقدمة فقد حوت أدوات العطف بشكل متفاوت .

و الملاحظ هو أن أدوات العطف المختلفة قد ساهمت في اتساق هذا الجزء من السورة آية آية ؛ حيث كانت هناك أداة العطف "الواو" و"الفاء" و"أو" ، .

أما عطف الآيات بعضها ببعض فلم تكن هناك أدوات عطف رابطة بينها، وهو الأمر الذي عمم على باقي أجزاء السورة إلا في بعض الموضع ؛ إذ لم تكن هناك حروف عطف تربط بين الآيات، بينما كانت هناك وسائل أخرى ذكرت وستذكر في محلها ساهمت على تماسكها النصي مع باقي وحدات السورة .

لأجل ذلك سنكتفي ببعض الآيات من كل قسم من أقسام السورة نتبين من خلالها دور العطف في تماسك الآيات .

القسم الأول من السورة -بعد المقدمة - ابتداء من الآية (12) والذي أسهمت فيه أدوات العطف في اتساق كل آية على حده ففي قوله تعالى: ﴿ ﴿ وَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ

¹ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التلويز، دار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج 6، ص : 82

² المرجع نفسه، ص: 82

سَيِّئَاتِكُمْ وَلَدْخَلْنَكُمْ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿الآية (12)

فجمله "وبعثنا" معطوفة على "ولقد أخذ"، كما نجد "وقال" معطوفة على "وبعثنا"، إلى جانب أن الجملة "أقمتم" عطفت عليها باقي الجمل في الآية ؛ مما يبرز اتساق عناصر هذه الآية والذي تحقق بفضل العطف .

وهذا الاتساق بدا واضحا في باقي آيات هذا القسم من السورة ؛ إذ لا تخلوا آية من آياته من أدوات العطف "الواو"، "الفاء"، "أو"، "ثم"، والتي ساهمت في تماسك واتساق ووحدة كل آية.

أما القسم الثاني بعده ابتداء من قوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا مَحْزَنَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ ... ﴾ ﴿الآية (41)﴾، فلقد ساهمت أدوات العطف في اتساقه إذ نجد أدوات العطف في كل آياته، ففي قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ﴾ عطفت على ﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ فواو العطف عطفت الجملة الأولى على الثانية .

ثم قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ سَحَّكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّيُّونَ وَالْأَحْبَابُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَأَخْشَوُا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَآيَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ﴿الآية (44)﴾ .

حيث أسهم العطف في تحقيق ترابط هذه الآية في ثلاث مواضع: الأول: "الربانيون"، الثاني: "الأحبار"، الثالث: "وكانوا عليه"،

وإلى جانب العطف داخل الآيات حدث الاتساق بين هذه الآية والثلاث آيات الموالية عن طريق العطف؛ فقوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ

وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ
فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ الآية (45)
فـ "وكتبنا" عطف على "وأنزلنا"

و"الواو" في هذه الآية عاطفة أيضا في المواضع الخمسة العين، الأنف، الأذن، السن،
الجروح، أسماء معطوفة على النفس، فكما حدث اتساق بين هذه الآية والتي قبلها إذ أسهمت
"واو" العطف في هذا الاتساق نجدها أحدثت التماسك داخل الآية (45) بين الكلمات الخمس
التي عطف على "النفس".

ثم تتسق الآيات (45)، (46) من هذا الجزء عن طريق "الواو" يقول تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا

عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ﴿٤٦﴾ الآية (46)

ثم يحدث اتساق أيضا، لكن داخل الآية (46) بالعطف بين جملتي: "قفينا" وجملة
"أتينا"، وبين كلمتي: "نور" و "هدى"، فتماسكت هذه الآية داخليا في أكثر من موضع كما
حدث التماسك بينها وبين سابقتها .

كما حدث اتساق بين الآية (46)، (47) عن طريق العطف بالواو في قوله تعالى في
بدايتها: ﴿ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْأَنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴾ الآية (47) .

فقد حصل الترابط بين الآيات الثلاث من هذا الجزء، كما توزعت أدوات العطف في هذه
الآيات، مما يوحي بالتماسك النصي لهذا الجزء من السورة .

وإلى جانب أدوات العطف المنتشرة في الآيات التي تلت ما سبق والتي كان لها دور في
تماسك هذه الآيات كل على حده والمتمثلة في حرف الواو غالبا والتي لا داعي للتفصيل
فيها، نجد هناك تناسقا بين الآيتين (52)، (53) حيث عطفت بداية الآية "ويقول" على ما
سبقها .

وإذا يتبين لنا اتساق هذا القسم من السورة وتماسكه، حيث تنوعت فيه أدوات العطف
وتوزعت من خلال آياته داخليا، وربطت بين بعض آياته أيضا، كما لا يخفى اتساق هذا

الجزء مع الأجزاء السابقة، وهذا ما هو واضح من خلال الاستئناف " بالواو " في بداية كل جزء باستثناء بعض البدايات .

والقسم الآخر قبل خاتمة السورة فلم يختلف كثيرا عن سابقه، فقد توزعت أدوات العطف في آياته لتحقيق التماسك الداخلي لها بين الجمل والعبارات والكلمات .

أما التناسق بين الآيات فكان بين الآيتين (70) ، (71) حيث تم الربط بينهما بالعطف "بالواو" في قوله تعالى: ﴿ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ الآية (71) .

فالجمله " حسبوا " عطفت على ما قبلها في الآية (70) وهم " بنو إسرائيل "، فحدث التناسق بين الآيتين، كما أنه تم الاتساق الداخلي في هذه الآية بأداة العطف "ثم" بين ثلاث جمل، و هذه الأداة تعني في تعريفها: ضم الشيء إلى الشيء¹ .

كما كان هناك ربط بين الآيات (83)،(84) بأداة العطف "الواو" في قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴾ الآية (84)، فبدايتها "ومالنا" عطفت على ما قبلها في الآية (83) وهم "النصارى" من المؤمنين، لتأتي الآية (85) وقد عطفت بدايتها على ما قبلها أيضا، وهو قوله تعالى:

﴿ فَأَتَتْهُمْ آيَةُ اللَّهِ بِمَا قَالُوا جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ وَذَلِكَ جزاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ الآية (85)، وتقريع هذه الجملة من بداية الآية على جملة دعائهم -

أي النصارى من الذين آمنوا - فيؤذن بأن مضمونها استجابة دعوتهم، فأسهمت هذه الأداة في التماسك بين الآيتين وإحداث نوع من الترابط .

¹ مصطفى حميدة، أساليب القرآن الكريم، ص: 153

وهناك ترابط آخر حدث بين الآتين (87)،(88) بأداة الربط "الواو" في قوله تعالى في الآية (87): ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾ لترتبط بما بعدها في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ الآية (88)، فحدث التناسق بين الآتين بالواو، بالإضافة إلى ما كان ترابط داخلي في كل آية على حده بواسطة أداة الربط "الواو" أيضا .

إلى جانب تناسق آخر حدث بعده وفي نفس الجزء من السورة في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ الآية (90)، وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ الآية (92)؛ فقد عطف "وأطيعوا" في الآية (92) على "يا أيها الذين آمنوا" في الآية (90).

إذا تحقق تماسك هذا القسم من السورة بين الجمل داخل الآيات عن طريق "الواو" و"ثم" "ف" و "أو"، وبين الآيات بعضها ببعض عن طريق أداة العطف "الواو"، فتكون بذلك قد أسهمت أدوات العطف في اتساق هذا الجزء من السورة .

أما في الخاتمة و ابتداء من الآية (109) إلى آخر السورة، فساهمت أدوات العطف في التماسك الداخلي للآيات كما حدث في معظم آيات السورة، فعلى سبيل المثال الآية (110)، والتي حدث فيها التماسك الداخلي بين عناصرها بـ: "الواو" و "الفاء"، فمن أمثلة ربط العبارات داخلها قوله تعالى: ﴿نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ ﴿١١٠﴾﴾ ؛ "على والدتك" عطف على "نعمتي عليك"، ومن أمثلة ربط الكلمات قوله تعالى: ﴿وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿١١١﴾﴾ فالكلمات: "الحكمة"، "التوراة"، "الإنجيل" معطوفة على "الكتاب"، ومن

أمثلة ربط الجمل بعضها ببعض قوله تعالى: ﴿وَإِذْ خَلَقَ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفَخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ط وَتُبْرئُ الْأَكْمَةَ ط﴾ فجملة "تنفخ فيها" معطوفة على جملة "تنفخ"، كما عطف عليها جمليتي "تكون" و "تبرئ".

وبهذا تحقق الاتساق الداخلي للآيات عن طريق أدوات العطف في خاتمة السورة، سواء بين الكلمات أو العبارات أو الجمل في كل آية على حده .

بينما لم يكن هناك أدوات عطف رابطة بين الآيات بعضها ببعض، إذ كانت هناك وسائل تماسك أخرى عملت على تماسكها النصي مع باقي وحدات السورة .

ومن هنا يتبين أن توزيع أدوات العطف في هذه السورة يؤدي إلى نتيجة مفادها أن العطف لا يتوقف دوره على الربط بين الكلمات والجمل المتقاربة والعبارات بل يتعدى دوره إلى تحقيق الاتساق النصي في بعض الأجزاء من سورة المائدة، من خلال دوره البارز في هذه الأدوات، و التي حققت هذا التماسك مع وسائل الاتساق السابقة .

لكن السؤال المطروح: هل هناك وسائل اتساق أخرى ذكرها علماء النص تستطيع أن تحقق التماسك النصي لهذه السورة ؟

لا شك أن هناك التكرار الذي عدّه العلماء أحد وسائل اتساق النصوص، لكن دوره في تحقيق اتساق سورة المائدة من عدمه، سيكون بعد الدراسة والتحليل لمواضع التكرار فيها .

4_ التكرار:

التكرار أحد الظواهر اللغوية التي اتسمت بها جميع اللغات، وخصوصا منها العربية، فاعتنى به أهل اللغة قديما وحديثا، حيث كان محل اهتمام النحويين والبلاغيين، فتحدثوا عن حقيقة التكرار وأنواعه وأغراضه البلاغية، مع إعطاء أمثلة على كل نوع وشواهد لكل غرض فكانت نظرتهم إلى دور التكرار في تماسك النصوص قليلة، على نحو ما عدّه "الجرجاني" من معاني النحو « التي تثبت في الكلام الانسجام والاتساق والتناسق»¹.

¹ إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، ص : 231

وبما أن دراستنا تدور حول أهمية التكرار في تحقيق الاتساق النصي لسورة المائدة، سوف لن نتطرق إلا للأمور التي لها علاقة بين التكرار ولسانيات النص، ومنها إمكانية معرفة :

_ العلاقة بين المعنى المعجمي للتكرار والتماسك النصي ؟

_ وما هي المفارقات بين البلاغيين العرب وعلماء لسانيات النص، في معالجة ظاهرة التكرار؟

_ وما هي أنواع التكرار ووظائفه .

_ وما هو دوره في تحقيق الاتساق النصي لسورة " المائدة "

4-1- مفهوم التكرار :

_ المعنى اللغوي:

الناظر إلى معجم " لسان العرب " في مادة " كرر "، نجد أنها تدور حول عدة معاني، حيث يذكر " ابن منظور " عدة محاور أساسية لها، ومنها: الكرُّ: الرجوع ... وكرَّر الشيء وكركره: أعاده مرة بعد أخرى ... ويقال: كرَّرت عليه الحديث وكركرته إذا رددته عليه ... والكرُّ الرجوع على الشيء، ومنه التكرار ... والكرَّة: البعث وتجديد الخلق بعد الفناء، والكرُّ: حبل تقاد به السفن في الماء، وقيل الكرُّ: الحبل الغليظ ... والكرُّ ما ضم ظَلَفَتِي الرَّحْلَ وجمع بينهما ... والكركرة: تصريف الريح السحاب إذا جمعته بعد تفرق ... وكركره عن الشيء: دفعه ورده وحبسه ... والكركرُّ: الجماعات، قال الجوهري: الكِرْكِرَة: الجماعة من الناس¹ .

من خلال هذه التعريفات اللغوية يتبين لنا أن لمادة " كرر " عدة معاني فمنها:

_ الرجوع، وهذا له علاقة بالإحالة على مذكور سابق داخل النص أو إحالة على سابق .

_ أيضا من معانيها: إعادة الشيء أكثر من مرة، وكذلك البعث، والحبل الغليظ المشدودة خيوطه بعضها ببعض التفت لتكون حبالا مثينا .

_ وكذلك ضم ظَلَفَتِي الرَّحْلَ، والضم أحد معاني التماسك .

¹ محمود بوسنة، الاتساق والانسجام في سورة الكهف، ص : 127

_ وتصريف الريح السحاب إذا جمعته بعد تفرق، فهذا يعني ضم الشيء وجعله في وحدة كلية، والدراسة النصية تدرس النصوص بصفاتها وحدة كلية .

_ ومن المعاني أيضا الجماعات، والجماعة من الناس، وهذه الجماعة تدل على تماسكها ووحدتها وترباطها الاجتماعي، والجماعة تعني الوحدة، فكذلك النص يدرس بصفته وحدة كلية شاملة .

_ المعنى الاصطلاحي:

أما من الناحية الاصطلاحية، فيعرفه البلاغيون العرب وعلى رأسهم " ابن الأثير " على أنه: « دلالة اللفظ على المعنى مرددا¹ » .

ويحدد " السجلماسي " بقوله: « هو إعادة اللفظ الواحد بالعدد أو النوع (أو المعنى الواحد بالعدد أو النوع)، في القول مرتين فصاعدا² » .

ولقد أشار أيضا - السجلماسي - إلى وظيفة التكرار في الربط بين الأجزاء واصطلاح على تسمية هذا النوع من التكرار بـ " البناء " و سنلاحظ ما في هذا المصطلح من دلالة الربط والتلاحم، قال: « البناء: هو إعادة اللفظ الواحد بالعدد وعلى الإطلاق المتحد المعنى كذلك مرتين فصاعدا، خشية تناسي الأول لطول العهد في القول³ » .

أما " الزركشي " فيعرفه بأنه التزديد والإعادة، وذكر أن من أسباب عده من أساليب الفصاحة « تعلق بعضه ببعض⁴ » .

أما من منظور لسانيات النص، فيعرف " محمد خطابي " التكرار على أنه: « شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له، أو شبه

ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي - بدوي طبانة، نهضة مصر، القاهرة،

ج 3، ص: 3¹

أبي محمد القاسم السجلماسي، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تح: علاء الغازي، مكتبة المعارف، الرباط،

1980م، ص: 2²

- ينظر: جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص: 84

جميل عبد المجيد، المرجع نفسه، ص: 92³

الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 3، ص: 9⁴

مرادف، أو عنصرا مطلقا أو اسما عاما «¹، وتجدر الإشارة هنا إلى أن مصطلح التكرار الذي استعمله " محمد خطابي " هو نفسه مصطلح التكرار.

ويذكر " الأزهر الزناد " بأنّ الإحالة بالعودة تشتمل على نوع آخر من الإحالة يتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كلّ جملة من جمل النصّ قصد التأكيد وهو الإحالة التكرارية².

أما " دفيد كريستال " فيجعله واحدا من عوامل التماسك النصّي، وذكر أنّه « التعبير الذي يكرر في الكلّ والجزء »³.

ويؤكد الباحثون إلى أنّ التكرار ليس مقصورا في جزء من النصّ دون الآخر، بل نجده في بداية النصّ كما في نهايته أو حتى في وسطه، وذلك لتحقيق أغراض كثيرة، أهمها تحقيق التماسك النصّي بين عناصر النصّ المتباعدة .

4-2- التكرار بين البلاغيين العرب والنصانيين:

أما فيما يخصّ المفارقات بين البلاغيين العرب والمهتمين بلسانيات النصّ في معالجة ظاهرة التكرار فتوجز في الآتي:

الأولى: معالجة هذه الظاهرة عند البلاغيين العرب من منظور بلاغي صرف، ومن ثم كان التركيز على الكلام الأدبي والشعري خاصة، وكذلك القرآن الكريم من حيث إعجازه البلاغي، بينما عولجت الظاهرة - عند علماء لغة النصّ - من منظور لساني صرف، ومن ثم شملت النصوص بمختلف أنواعها .

الثانية: عدم الإقتصار في هذه المعالجة - عند علماء لغة النصّ - على مستوى الجملة، بل تجاوز هذا المستوى إلى الجمل والفقرة والنصّ بتمامه، بينما ركزت المعالجة - عند البلاغيين

¹ محمد خطابي، لسانيات النصّ، ص : 24

² الأزهر الزناد، نسيج النصّ، ص : 119

³ David Crystal ,the Cambridge encyclopedia of language , p : 119

نقلا عن : صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصّي - بين النظرية والتطبيق -، ج2، ص : 19

العرب - أكثر ما ركزت وخاصة في مرحلة التقعيد على الجملة أو البيت، وإن جاءت عندهم - أحيانا - شواهد تجاوزت هذا المستوى .

الثالثة: وقف علماء لغة النص على أربع درجات للتكرار، وهم في هذا أفادوا من الدراسات اللغوية والدلالية المعاصرة، بينما وقف البلاغيون العرب على درجتين فقط (إعادة العنصر المعجمي والترادف أو شبه الترادف) .

الرابعة: سيطرت الغاية التقعيدية التعليمية على البلاغة العربية - خاصة مرحلة التقعيد - بينما سيطرت على علماء لغة النص الغاية الوصفية التشخيصية¹ .

وقد كانت من نتائج هذه المفارقات كشف البلاغيين العرب على جانب أو جوانب دور ظاهرة التكرار في أدبية الكلام وشعريته على مستوى الجملة أو البيت غالبا، بينما كشف علماء لغة النص عن دور هذه الظاهرة في الاتساق وهو أحد عوامل التماسك النصي² .

3-4- أنواع التكرار:

تتنوع صور الروابط التكرارية؛ إذ يمكن ذكر نوعين لها:

1_ التكرار المحض (التكرار الكلي) وهو نوعان :

_ التكرار مع وحدة المرجع (أي يكون المسمى واحدا) .

_ التكرار مع اختلاف المرجع (أي المسمى متعددا) .

2_ التكرار الجزئي: ويقصد به تكرار عنصر سبق استخدامه، ولكن في أشكال وفئات مختلفة³ .

وهناك من يذكر أربعة أنواع :

1_ التكرار التام أو المحض: تكرار اللفظ والمعنى والمرجع واحد .

2_ التكرار الجزئي: وذلك بالاستخدامات المختلفة للجذر اللغوي .

3_ تكرار المعنى واللفظ مختلف: ويشمل الترادف، والصياغة أو العبارة الموازية .

¹ جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص : 85-86

² محمود بوسته، الاتساق والانسجام في سورة الكهف ، ص : 130

³ أحمد عفيفي، نحو النص، ص : 106-107

4_ التوازي: وذلك بتكرار البنية مع ملئها بعناصر جديدة¹.

وهناك من قسمه على حسب الزيادة من عدمها فجعل:

الأول: مذموم، وهو ما كان مستغنى عنه، غير مستفاد به زيادة معنى ... فيكون التكرار حينئذ فضلا من القول و لغوا، وليس في القرآن شيء من هذا النوع .

الثاني: ما كان بخلافه، ولا يمكن تجنبه، لأن ترك التكرار في الموضع الذي يقتضيه وتدعو إليه الحاجة فيه فيه مماثل لتكلف الزيادة في وقت الحاجة إلى الحذف و الاختصار².

وهناك من يذكر للتكرار أنواعا هي:

1_ تكرار الحروف والكلمات والعبارات والجمل وال فقرات أحيانا .

2_ تكرار القصص³ .

فالنوع الأول يظهر في القرآن الكريم داخل السورة، ومن أمثله تكرار " لفظ الجلالة "

أو تكرار ﴿فَبِأَيِّ آءِآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ الرحمن الآية (13) أو ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ

لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ المرسلات الآية (15) ... إلخ، ومن خلال هذا النوع يظهر الاتساق

النصي بين أجزاء أو وحدات السورة .

أما النوع الثاني فإنه لا يحقق الاتساق بين أجزاء السورة ؛ كونه يحصل على مستوى السور المختلفة، حيث لا تمرر القصة في سورة واحدة، وإنما يتكرر ذكرها في القرآن الكريم بصفة عامة، مثل بعض قصص الأنبياء، منها: قصة آدم وإبليس، وقصة موسى عليه السلام ... إلخ .

ولكون النوع الثاني لا يحقق الاتساق على مستوى السورة الواحدة فإننا سنقتصر في

دراستنا في سورة " المائدة " على النوع الأول⁴.

جميل عبد المجيد، علم النص أسسه المعرفية وتجلياته النقدية، عالم الفكر، العدد: 2، مج32، (أكتوبر ا ديسمبر

¹ (2003)، ص : 146

² حسين النصار، إعجاز القرآن - التكرار -، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 2003م، ص : 77

³ صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج 2، ص : 22

⁴ محمود بوسته : الاتساق والانسجام في سورة الكهف، ص : 131-132

4-4-وظائف التكرار وأغراضه البلاغية:

لقد تناول كثير من البلاغيين وظائف التكرار المعجمي وعددها له، واعتبروا التكرار دون وظيفة تذكر عيب أو « خذلان بعينه » على حد قول " ابن رشيق"¹، الذي ذكر تسع وظائف للتكرار²، وهذا يوحي بأن البلاغيين العرب قد اهتموا إلى كثير من وظائف التكرار. أما وظيفته في إطار لسانيات النص، فقد ذكر الباحثون في مجال هذا العلم، عدة وظائف يأتي على رأسها أنه « يهدف إلى تدعيم التماسك النصي»³، وكذلك « يعطي منتج النص القدرة على خلق صورة لغوية جديدة»⁴.

فوجود التكرار في النص يحقق الاتساق، وتربط وحدات النص، سواء كان في بداية النص أو في نهايته أو حتى ثنياه، وسواء كان كلمة أو جملة أو عبارة أو حتى تكرار آية في سورة من سور القرآن الكريم، لكن اشتراط وجوب ورود الشيء المكرر بكثرة في النص حتى يتحقق الاتساق، فهذا شرط قد يصعب تعميمه على كل النصوص، إذ كثرة وروده قد تحقق الاتساق حقا، ووروده بأعداد قليلة لا ينفي تحقيقه للاتساق⁵.

والسؤال المطروح: هل حقق التكرار في سورة " المائدة " الاتساق النصي أم لا ؟

¹ ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح : محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، 1982

م ج 1، ص : 73

² المرجع نفسه، ص : 74-76

³ صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج 2، ص : 21

⁴ روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص : 306

⁵ محمود بوسته، الاتساق والانسجام في سورة الكهف ، ص : 133

4_5_ التحليل النصي لسورة المائدة من خلال التكرار:

ظاهرة التكرار في القرآن الكريم ظاهرة لافتة للنظر ... تستريح لوجوده النفس، وتتقبله الطبع، ويحس المستمع باستجابة يدرك عمقها¹، وتتميز سورة المائدة ببعض التكرارات، تمنح النص خصوصية، وتسهم في اتساقه معجميا أفقيا، ثم اتساقه معجميا كليا، ومثل هذا التكرار يبين الترابط والتلاحم بين العبارات والآيات، وكذلك وحدات السورة، مؤكدة بذلك الهدف العام للسورة .

سورة المائدة سورة مدنية، عنيت بتوضيح كثير من أحكام الدين وشرائعه، وتبين كثيرا من الحلال الذي أحله الله والحرام الذي حرّمه، وكذا الشرائع التي شرعها الله لعباده والمناهج التي انتهجها لهم، ولذلك تكرر اسم الجلالة لدرجة لافتة للنظر وهي: 146 مرة، إضافة إلى 12 مرة موزعة بين لفظة "رب" واشتقاقاتها المختلفة، إلى جانب الضمائر التي تعود على اسم الجلالة " الله "، والتي سبق ذكرها في موضوع الإحالة، وهي نوع من التكرار، لأنّ الضمائر تحل محل الأسماء، وقد ذكرت الضمائر التي تحيل إلى الله عزّ و جلّ ثمان وخمسين مرة . واستمرار ذكر اسم الجلالة عبر الآيات المختلفة في هذه السورة يحقق التواصل بين الآيات والمواضيع المختلفة، ولقد كانت البداية بالآية الأولى في قوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ الآية (01). وتكرر اسم الجلالة من الآية الأولى، وحتى الآية الأخيرة: ﴿ لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الآية 120.

وقد انتشر هذا في ثنايا السورة، و أحيانا في الآية الواحدة يتكرر فيها أكثر من مرة، وهذا لا يحقق الاتساق على مستوى الآية الواحدة فقط، بل يتعداه ليحقق الترابط بين الآيات التي ذكر فيها اسم الجلالة، ويتأكد هذا الاتساق عندما نتأكد أنّ معظم هذه الآيات تحمل أمورا مسندة إلى الله تعالى، وعلاقة الإسناد لها الدور البارز في تحقيق الترابط بين الأجزاء، ومن هذه الآيات قوله تعالى:

¹ البدراوي زهران، ظواهر قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء والمحدثين، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1993،

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ^ط ﴾ الآية (08) الأمر بالعدل.

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ الآية (11) تذكر نعمة الله.

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ الآية (38) حكم الله في السارق.

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الآية (40) قدرة الله .

هذا باسم الجلالة .

وكذلك باسم الجلالة " الرب " والتي منها:

﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾ الآية (02)، أسندت إلى الله

عز و جل .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ^ط ﴾ الآية (25)، الدعاء لله عز و جل .

﴿ يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ^ط ﴾ الآية (67)، أي بلِّغ رسالة

الله ؛ أسندت إلى الله عز و جل .

هذه الأمور كلها أسندت إلى الله تعالى وغيرها من الأمور التي لم تذكر، ولما انتشرت في

ثنايا السورة كانت عاملا مهما وأساسيا في تماسكها واتساقها عبر هذا التكرار، ولا يخفى من

استمرار ذكر الله في الآيات المختلفة من تحقيق التواصل بينها .

وهذا التكرار - كما سبق - حقق الاتساق على مستويين:

المستوى الأول: اتساق الآية فيما بينها .

المستوى الثاني: اتساق الوحدات والأجزاء المختلفة للسورة .

ولا أدل على ذلك من الآية الأخيرة في قوله تعالى: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَمَا فِيهِنَّ ^ع وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الآية 120 .

فتحقق الاتساق بين الآية الأولى والأخيرة عن طريق تكرار اسم الجلالة في كل من

الآيتين، بالإضافة إلى الآيات الأخرى.

ومن خلال تكرار اسم الجلالة، تبرز الوظيفة التماسكية للتكرار، حيث اتسقت الآيات التي تدور حول إسناد الأمور إلى الله عزّ و جلّ من بداية السورة حتى نهايتها، فتكونت بذلك وحدة نصية كلية .

فإذا كان التكرار السابق يتعلق باسم الجلالة عزّ وجلّ، فإنّ التكرار الثاني يتعلق بالسورة وموضوعها وهو النّداء ؛ فلقد اشتملت السورة على نداءات إلهية كثيرة منها ستة عشر نداء للمؤمنين، ونداءان من الله سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بصفة الرسالة خاصة، ولم يرد مثل هذين النداءين في غير هذه السورة، ولأهل الكتاب نداءان بشكل مباشر، وثلاث نداءات بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم .

- ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ في الآيات: (1). (2). (6). (8). (11). (35). (51). (54). (57). (87). (90). (94). (95). (101). (105). (106) .

- ﴿ يَتَأَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾ في الآيات: (41) (47) .

- ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ ﴾ تكرر في الآيات: (15) . (19)، وبواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ ﴾ في الآيات: (59). (68). (77).

أما نداء الإيمان فتعد سورة المائدة أكثر السور التي تكرر فيها هذا النّداء، فهي الأولى من حيث عدد النّداءات لتأتي بعدها سورة البقرة، هذه النداءات هي نداءات للمؤمنين ففي بداية السورة في أول آية هو قوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ الآية (01)، وهو نداء للمؤمنين للوفاء بالعقود، ليتكرر بعدها النّداء ست عشرة مرة، لتشكل محاور السورة ؛ فكلما يأتي نداء منها ترى بعده محورا جديدا للسورة فيه تفاصيل الأوامر أو النّواهي، من أمر إلى آخر لتأمرنا بالإيفاء بالعقود¹ .

1 محمد علي الشنقيطي، سورة المائدة ج 5، <http://way2allah.com/khotab-item-106763.htm> بتاريخ :

لتأتي بعدها النداءات لتذكر بهذا العهد وتلزم علينا الوفاء:

- **النداء الثاني:** ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعِيرَ اللَّهِ﴾ الآية (02)، هذه الآية فيها الحث على مبادئ إسلامية عظيمة وبعدها الانتقال من طيبات الطعام، والنكاح إلى المبادئ الإنسانية والعدل ووحدة المجتمع،
- **النداء الثالث:** أحكام الوضوء، فبعد ذكر الطيبات من الطعام والزوجات لا بد من ذكر طيبات الروح وطهارتها لذا جاءت آية الوضوء هنا في السورة، قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ الآية (06).
- **النداء الرابع:** العدل؛ فمن ضمن ما نعاهد الله تعالى عليه، العدل حتى لو ظلم المسلم، وبيدنا تعالى بأنه وفى بعهدته مع عباده، فكيف لا يوفى العباد بعهودهم مع ربهم ومع الناس وذلك في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ الآية (08) .
- **النداء الخامس:** التذكير بنعمة الله على عباده ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ الآية (11) .
- **النداء السادس:** تأكيد وسيلة تعين على الوفاء بالعهود، وهي تقوى الله والجهد في سبيله ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الآية (35) .
- **النداء السابع والثامن:** الآيات 51 - 66 وفيها دعوة إلى عدم اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، وهذا لا يعني عدم التسامح، كما يجب أن تكون للمسلمين هوية خاصة بعيداً عن التقليد الأعمى، وهذه الآيات سبقها ربع كامل من الآية (41) إلى الآية (50) بتوجيهات.

- **النداء التاسع:** عقاب الذين ينقضون العهود أن يستبدلهم الله تعالى بغيرهم ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ ﴾ الآية (54).
- **النداء العاشر:** النهي عن اتخاذ الكفار والمستهزئين بالدين أولياء ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا ﴾ الآية (57).
- **النداء الحادي عشر:** النهي عن تحريم ما أحل الله تعالى ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ﴾ الآية (87).
- **النداء الثاني عشر:** النهي عن الخمر والميسر، وهي من ضمن الوفاء بالعهود وعلى المسلم أن يعاهد الله تعالى على ترك هذه الموبقات وأن يحفظ عهده ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ ﴾ الآية (90).
- **النداء الثالث عشر:** ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ ﴾ الآية (94).
- **النداء الرابع عشر:** من رحمة الله تعالى بنا أن جعل لنا بعد التشدد في العهود والوفاء بها ضوابط، بأن لا نضيق على أنفسنا بالسؤال عما لا يعيننا ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ ﴾ الآية (101).
- **النداء الخامس عشر:** وفي هذه الآية يضع الله تعالى لنا ضابطاً آخر بأنه علينا بأنفسنا ولا يضرنا لو ضل كل من حولنا، علينا أن نحفظ عهدنا مهما كان من حولنا ضالاً ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ الآية (105).
- **النداء السادس عشر:** حكم الوصية والشهادة ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ ﴾ الآية (106).

الملاحظ على تكرار هذه النداءات أنه من خلالها تحقق التماسك من جانبيين، جانب أول داخلي، وهو الاتساق الذي حصل بين جمل الآية الواحدة إلى جانب الاتساق الظاهر لكل قسم ومحور من محاور هذه السورة، والتماسك الثاني هو ذلك الاتساق الحاصل بين الآيات والذي ربط بداية السورة وحتى نهايتها والتعقيب عليها.

أما النماذج الأخرى التي تكررت فلم تكن بدرجة تكرار اسم الجلالة، وكذا النداءات، وإنما أحيانا يتكرر اللفظ مرة أو مرتين.

وغالب هذا التكرار حاصل على مستوى جزء معين من السورة إلا أنها حققت أيضا الاتساق النصي لهذه الأجزاء.

وخلاصة القول أن للتكرار دورا كبيرا في تحقيق الاتساق النصي لسورة المائدة، فقد وظف توظيفا نصيا تماسكيا في هذه السورة، إذ أسهم تكرار الألفاظ والعبارات في تماسكها، حيث أن هناك نماذج تكرارية ساهمت في اتساق مواضيع السورة كاملة، كاسم الجلالة " الله"، ونداء الإيمان ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، وأخرى حققت اتساق وحدات هذه السورة المباركة منفردة .

الانسجام وتجلياته في سورة

المائدة

الفصل الثالث



تمهيد:

من المعلوم أنّ لسانيات النصّ تنظر إلى النصّ نظرة كلية، مما أدى بها إلى البحث في تماسكه، فكان من ذلك الاتساق الذي يعتبر من أهم أدوات هذا العلم، لكن هذا الأخير - كما سبق ذكره - مركز اهتمامه البنية السطحية الظاهرية، التي تبحث في الترابط الشكلي للنصوص مما جعلها تمهيدا للباحث قصد الغوص في أعماق النصّ والبحث في خباياه التي تسهم في ترابطه من جهة المعاني والأفكار المتواجدة فيه، وهذا ما يبحث فيه الانسجام.

فالترايط الدلالي للنصّ مكمل لترابطه الشكلي، ونقطة وصول إلى تماسكه الكلي، لأنّ النصّ عندما يكون مترابطا من الناحية الشكلية ولا يكون مترابطا من الناحية الفكرية، نقول أنّ نصيته لم تكتمل¹، كون الأول يعطينا نظرة شاملة حول التماسك السطحي للنصّ، والثاني من جهة اهتمامه بالعلاقات الخفية والترابطات الدلالية التي توصلنا إلى عالم النصّ ووحدته الكلية، فهما وجهان لعملة واحدة، لا قيمة لوجهها الأول إلا بحضور الثاني، والذي هو الانسجام.²

والاشكالية المطروحة في هذا الفصل تتمحور حول هذا السؤال ما آليات الانسجام التي ساهمت في تماسك سورة " المائدة "، بعد توضيحنا لأهم أدوات اتساقها ؟

¹ سعيد حسن بحيري، علم لغة النصّ، ص: 146.

² محمود بوستة، الاتساق والانسجام في سورة الكهف، ص: 143

1_ مفهوم الانسجام¹:

1_1 لغة:

جاء في لسان العرب، مادة (سجم): سجمت العين الدمع، والسحابة الماء تسجمه سجما وسجوما وسجمانا: وهو قطران الدمع وسيلانه، قليلا كان أو كثيرا... والعرب تقول دمع ساجم، ودمع مسجوم: سجمته العين سجما... وكذا عين سجوم وسحاب سجوم، وانسجم الماء والدمع، فهو منسجم، إذا انسجم أي انصب، وسجمت السحابة مطرها تسجيما وتسجاما إذا صبته... وسجم العين والدمع الماء يسجم سجوما وسجاما إذا سال وانسجم، وأسجمت السحابة دام مطرها².

والناظر لمحاور معاني مادة (سجم) يجد أنها تدور حول الانصباب والصب والسيلان ودوام المطر، مما يجعلنا نصل إلى نتيجة مفادها، أن هذه المعاني اللغوية تتصل بمعنى الانسجام الذي تدور حوله دراستنا، حيث إن انصباب الماء ودوام المطر يقابل انصباب معاني النص، لأن توالي قطرات الماء يؤدي إلى تجمعها، وأيضا تجمع المعاني المستخلصة من النص يؤدي إلى وحدته دلاليا.

2_1 اصطلاحا:

يعتبر الانسجام أعم من الاتساق كما أنه يغدو أعمق منه، حيث يطلب الانسجام من المتلقي النظر إلى ما هو ليس شكليا ولا معجميا، بل إلى علاقات خفية قائمة داخل النص المراد دراسته، حيث يهتم بترابط المفاهيم والعلاقات الدلالية المتحققة داخله. ويعتبر الانسجام من المفاهيم التي وظفتها لسانيات النص في الكشف عن التلاحم القائم بين الجمل وال فقرات والنص بكامله، أما فيما يخص مفهومه الاصطلاحي فيمكن البحث عنه من خلال آراء النصانيين الذين تحدثوا عنه وأبرزوا المقصود منه:

* يقابل مصطلح الانسجام المصطلح الأجنبي (Cohérence)، وهناك من يترجم هذا المصطلح إلى العربية "بالحبك" أمثال جميل عبد المجيد.

² ابن منظور، لسان العرب، ج 2، ص: 1762-1763.

حيث حدد "سوفنسكي" الانسجام بقوله: « يقضي للجمل والمنطوقات بأنها محبوكة، إذا اتصلت بعض المعلومات فيها ببعض، في إطار نصي أو موقف اتصالي اتصالا لا يشعر معه المستمعون أو القراء بثغرات أو انقطاعات في المعلومات»¹.

أما " ليفاندوسكي" فيحدد الانسجام على أنه حصيلة تفعيل دلالي يؤدي إلى ترابط معنوي بين التصورات والمعارف يحددها متلقي النص، حيث يقول: « ليس الحبك محض خاص من خواص النص، ولكنه أيضا حصيلة اعتبارات معرفية (بنائية) عند المستمعين أو القراء، الحبك حصيلة تفعيل دلالي، ينهض على ترابط معنوي بين التصورات والمعارف، من حيث هي مركب من المفاهيم وما بينها من علاقات، على معنى أنها شبكة دلالية مختزنة، لا يتناولها النص غالبا على مستوى الشكل، فالمستمع أو القارئ هو الذي يصمم الحبك الضروري أو ينشئه»².

وقد لخص " ليفاندوسكي" زوايا النظر إلى الحبك (الانسجام) في لسانيات النص فيما يلي:

- 1- الحبك من حيث هو الشرط اللغوي لفهم السبك (الاتساق) فهما معمقا.
 - 2- الحبك من حيث هو إحدى خصائص الارتباط بين الأشياء والأوضاع وبين مراجعها.
 - 3- الحبك من حيث هو إحدى خصائص الإطار الاتصالي الاجتماعي.
 - 4- الحبك من حيث هو إجراء ومن حيث هو حصيلة التلقي الابتكاري البناء³.
- تدل هذه الزوايا مع التعريف المقدم، أن الانسجام عبارة عن تنظيم مضمون النص تنظيما دلاليا منطقيا.

أما " فنديك" ففي أثناء تحليله للنص اعتبر الانسجام بأنه: « التماسك الدلالي بين الأبنية النصية الكبرى»⁴، وقد ربط " فنديك" بين التماسك الدلالي والبنية العميقة، بينما

¹ نقلا عن: محمد العيد، حبك النص، منظورات من التراث العربي، ص:55.

² المرجع نفسه، ص:55.

³ المرجع نفسه، ص:55.

⁴ سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص:220.

التماسك الشكلي يخص البنية السطحية للنصوص، فالأول يدرسه الانسجام والثاني يهتم به الاتساق، فالانسجام عنده، عبارة عن مجموعة من العلاقات الدلالية التي تربط الأجزاء الكبرى للنص في بنيته العميقة.

وقد توصل " فندايك" إلى نتيجة مفادها، أن تحليل النصوص يعتمد - أساسا- على رصد أوجه الربط والترابط والانسجام والتفاعل بين الأبنية الصغرى الجزئية والبنية الكلية الكبرى (أو الأبنية الكبرى) التي تجمعها في هيكل تجريبي منتظم¹.

وقد ربط "محمد مفتاح" بين عالم النص والواقع في نظريته للانسجام، هذا الأخير الذي يقصد به: « ما يكون من علاقات بين عالم النص وعالم الواقع». وبين بعد ذلك أن "بتوفي" و"دانشي" و"فندايك" لهم مقارباتهم الخاصة التي تهتم جميعا بانسجام النص وتماسكه وتسلسله، واعتبر أن أشيع هذه الأعمال هي انجازات " فندايك" الذي ركز على مظهرين أساسيين في تحليل الخطاب:

المظهر الأول: مراعاة علائق الانسجام الخطي الموجود بين الجمل.
المظهر الثاني: البنية الكلية أو مدار الحديث².

واعتبر " دي بوجراند" و" دريسلر" الانسجام معيار يختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النص، والمقصود منها الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم³، وعالم النص عند " دي بوجراند" هو: الموازي الإدراكي في ذهن مستعمل اللغة لهيئة المفاهيم المنشطة فيما يتعلق بالنص⁴ أي أن الانسجام لديه هو الاستمرارية الدلالية للمفاهيم الموجودة في ذهن مستعمل اللغة داخل نص معين.

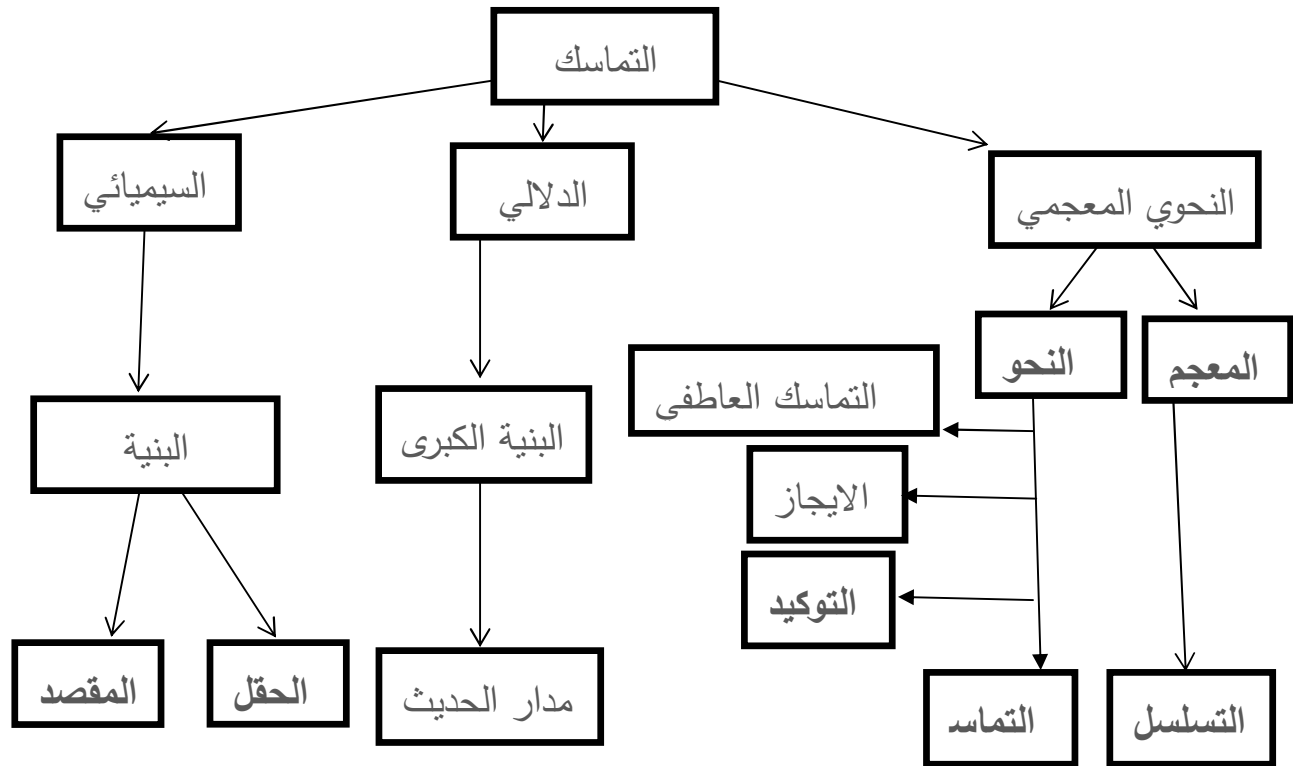
¹ سعيد حسن بحيري، علم لغة النص ، ص:131.

² محمد مفتاح، التشابه والاختلاف نحو منهجية شمولية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 1999، ص ص: 35-38.

³ جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص: 141.

⁴ روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 201.

واقترح " دجين سو نشا " مفهومًا للانسجام من خلال نموذج اقترحه، سماه " بالنموذج التماسكي النسقي"، حيث افترض أن التماسك يكون في المستوى المعجمي، وفي المستوى النحوي، وفي المستوى الدلالي وفي المستوى السيميائي، كما هو موضح في الشكل التالي¹:



ومن خلال هذا الشكل، يتضح لنا أن التماسك المعجمي يقصد به "الاتساق"، أما "الانسجام" فيطلق عليه مصطلح "التماسك الدلالي".

وذهب " محمد خطابي " إلى أن الانسجام أعم من الاتساق، كما أنه يغدو أعمق منه، بحيث يتطلب الانسجام، من المتلقي، صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده، أي تجاوز المتحقق فعلا (أو غير المتحقق) أي الاتساق، إلى الكامن وهو الانسجام².

¹ محمد مفتاح، التنمية والاختلاف، ص: 41.

² محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 06.

وذهب "صبحي ابراهيم الفقي" إلى التوحيد بين مصطلحي " Cohésion " و "Cohérence" حيث رأى أن كليهما يعنيان معا " التماسك النصي " فوجب بذلك التوحيد بينهما واقترح مصطلح "Cohésion" ثم قسمه بعد ذلك إلى التماسك بما يحقق التماسك الشكلي للنص، والثاني يهتم بعلاقات التماسك الدلالية بين أجزاء النص من ناحية، وما يحيط به من سياقات من ناحية أخرى¹، وهذا الأخير هو الذي أطلق عليه بعض الباحثين مصطلح "الانسجام" واعتمدها في هذه الدراسة.

وكتعريف إجرائي نستطيع أن نعتبر الانسجام هو ذلك الترابط والتماسك الدلالي، والعلاقات الخفية بين المفاهيم الموجودة في نص معين، والتي نكتشفها من خلال معارفنا السابقة، وكذا سياقات النص المختلفة.

ومن خلال سرد أهم المفاهيم المتعلقة بالانسجام، من خلال الآراء المختلفة للباحثين، فإن هناك من حصر أهم خصائصه في نقاط معينة، هي كالتالي:

1. يعد الانسجام شرطا، وقواما لتوفر خاصية " النصية".
 2. أن النص هو وحدة التبليغ والتبادل، ويكتسب انسجامه وفصاحته من خلال هذا التبادل والتفاعل، ولذلك ينبغي تجاوز إطار الجملة للاهتمام بأنواع النسيج النصي التي يحدثها المتكلمون أثناء ممارستهم الكلامية.
 3. لا تستقيم نصية قطعة نصية إلا بانسجامها، وهذا يأتي عند إدراج النص ضمن إطار السياق، ولا يكتمل إلا اذا اكتملت كل أبعاد النص وبعده التداولي.
 4. للانسجام علامات خاصة متميزة تحدد النص في بعده الجزئي، وفي بعده الكلي، أما البعد الجزئي أو الميكرونصي، فالانسجام المحلي فيه علامات أفعال الكلام التي يحتويها النص، وتحدده كذا علامات الخطاب المختلفة.
- اما البعد الكلي أو الماكرونصي، فالتوجه التداولي العام للنص يحدد انسجام النص العام.

¹ صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصي - بين النظرية والتطبيق - ج1، ص: 96.

5. يرتبط معيار الانسجام بمجموعة من العلوم الاخرى، مثل الانثروبولوجيا، والتاريخ، وعلم النفس الإدراكي.. وغيرها من العلوم¹.

2_ آليات الانسجام:

إنّ الكلام عن آليات الانسجام، يقودنا إلى الحديث عن دور القارئ وجهده التأويلي الذي يبذله لربط أجزاء النصّ دلاليا، وذلك بالتدرج في بنية معرفية كلية، تكون بدايتها رصد العلامات الخفية التي تجعل من النصّ متماسك الوحدات، فالمتلقي المبدع له دور كبير في الحكم على انسجام النصوص وترابطها، خصوصا إذا كان السياق الذي جاء فيه النصّ بارزا ومعلوما لدى هذا المتلقي.²

ولعل هذا ما يلفت نظرنا إلى افتراض أنّ ثمة شروطا خاصة لتلقي الخطاب (النص)... فهو لا يقوم على الخطاب إلاّ وقد امتلك معارف وثقافات وأدوات تؤهله للقيام بهذا الدور المهم، لا سيما أنّ كثيرا من الخطابات بحاجة إلى إحالة فكر، وتشكيل رؤيا³، وإمعان نظر للوصول إلى استخراج العلاقات الخفية التي تجعل منه وحدة دلالية، وهذا ما سنوضحه بعد إبراز أهم الآراء في تصنيف آليات الانسجام:

أولا_ فان دايك: النص والانسجام :

يتفق جلّ الباحثين في مجال لسانيات النصّ حول الأهمية الكبيرة للجهود التي جاء بها الباحث الهولندي " فان دايك"، حيث استطاع أن يصل، بفضل إسهاماته ودراسته النصية، إلى أن يبيلور نظرية متطورة في علم النصّ، حيث: « وصل هذا الباحث الهولندي ومدرسته إلى أهم نتائج دراسات الأبنية النصّية الكبرى وتماهياها مع البحوث البلاغية»⁴، وكان هدفه في وضع قواعد النحو النصّ واضحا، من خلال رؤيتين متكاملتين منسجتين هما⁵:

¹ خولة طالب الابراهيمى، مبادئ في اللسانيات، ص ص: 168-171.

² محمود بوسنة، الاتساق والانسجام في سورة الكهف، ص: 149

³ فتحي رزق خوالدة، تحليل الخطاب الشعري، ص: 32.

⁴ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 324.

⁵ نوال لخلف، الانسجام في القرآن الكريم، ص: 17.

- النظر إلى النص من الداخل (بنيته).
- النظر إلى النص في علاقته مع المتلقي (وظائف النص).
- و"فان دايك" في تحليله للنصوص يولي اهتماما كبيرا بالجانب الدلالي، لأنه يبرز عددا ضخما من السمات النصية، كما أن الكلمات لا تظهر وظائفها بشكل جلي إلا من خلال العلاقات الدلالية الخاصة بمركب ما أو جملة ما، يقول: «فعلى الرغم مما قيل من ورود علاقات مورفولوجية وتركيبية بين الجمل المتتابعة، فإنه يتضح أن العلاقات بين هذه الجمل ذات طبيعة دلالية في الغالب، ومن ثم يستند فيها على معنى الجمل والإحالة»¹.
- ويرى "فان دايك" أن كل مضمون بجملة يدل على قضية، أو ما يسمى أيضا بالبنية العميقة، « فإذا وردت قضيتان "ق وك" تفسران على أنهما الواقعة "أ أو ب"، فإنه يمكن أن تقول مؤقتا أن بين هذه القضايا يوجد رابط داخلي»².
- إذ أن هناك بعض القيود لنتابع الجمل، تقوم أحيانا على العلاقات بين المعاني، وتقوم أحيانا أخرى على العلاقات بين إحالة الجمل.
- أما بالنسبة لمظاهر انسجام الخطاب عند "فان دايك" فهي كالآتي³:

- ترتيب الخطاب:

ويسميه أيضا الترتيب العادي للوقائع في الخطاب، ذلك أن ورود الوقائع في متتالية معينة يخضع لترتيب عادي تحكمه مبادئ مختلفة على رأسها معرفتنا للعالم، وقد بين أن هناك علاقات تحكم ترتيب هذه الوقائع في النص تتمثل فيما يلي:

- العام- الخاص.
- الكل- الجزء.
- المجموعة- المجموعة الفرعية العنصر.

¹ فان دايك، علم النص، تر: سعيد حسن بحيري، ص:46، نقلا عن المرجع السابق، ص:21.

² المرجع نفسه، ص:21.

³ محمد خطابي: لسانيات النص، ص ص: 38-42.

- المتضمّن - المتضمّن .

- الكبير - الصغير .

- الخارج - الداخل .

- المالك - المملوك .

- الخطاب التام والخطاب الناقص:

وهو مظهر من مظاهر انسجام الخطاب عند " فان دايك"، والمقصود بالخطاب التام، أن كلّ الوقائع المشكلة لمقام معين توجد في الخطاب، أو بمعنى آخر أن المعلومات الواردة في خطاب ما تخضع لعملية انتقاء، بحيث لا نجد في الخطاب إلاّ المعلومات الضرورية، ومن ثم يميز " دايك" بين:

- الخطاب التام/ الخطاب الصريح.

- الخطاب الناقص/ الخطاب الضمني.

لكن هناك من الباحثين من لا يجعل تمام الخطاب مظهرا قارا ملازما لكلّ أنواع الخطابات.

- موضوع الخطاب/ البنية الكلية:

يعد موضوع الخطاب بنية دلالية بواسطتها يصف " فان دايك" انسجام الخطاب، وبالتالي يعتبر أداة " إجرائية" حدسية تقارب البنية الكلية للخطاب، ويعتبر " فان دايك" نفسه بأنّ هذا الموضوع " فضفاض".

ثانيا _ ج . ب . براون وج . يول:

تطرق الباحثان في كتابهما " تحليل الخطاب" إلى مبادئ وعمليات الانسجام، فيجعل المتكلم الكاتب والمستمع/ القارئ في قلب عملية التواصل، وللإشارة فإنهما لا يعتبران انسجام الخطاب شيئا معطى، وإنما هو في نظرهما شيء يبني أي ليس هناك نص منسجم في ذاته ونص غير منسجم في ذاته باستقلال عن المتلقي¹، أي أنّ الذي يحكم على انسجام نص من عدمه هو المتلقي، فيقولان: « إن المتكلمين/ الكتاب هم الذين يطرحون موضوعات وفرضيات، ويضعون المعلومات التي لديهم بنية معينة... وأنّ السامع/ القارئ هو الذي يقوم

¹ محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 51.

بعملية التأويل والانسجام»¹، ولتحديد المبادئ والعمليات التي يشغلها المتلقي بهدف اكتشاف انسجام أو عدم انسجام خطاب ما انطلق "محمد خطابي" من افتراضين²:

الأول: أن الخطاب لا يملك مقومات انسجامه في ذاته، وإنما القارئ هو الذي يسند إليه هذه المقومات.

الثاني: أن كل نص قابل للفهم والتأويل فهو نص منسجم، والعكس صحيح.

يتوقف اختيار هذين الافتراضين على مبادئ وعمليات الانسجام، فما هي إذن هذه المبادئ عند "براون ويول".

أهم هذه المبادئ عند الباحثين هي:

- السياق وخصائصه:

يذهب الباحثان إلى أنه يتحتم على محلل الخطاب، أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي ورد فيه مقطع ما في الخطاب³، (والسياق لدهما يتشكل من المتكلم/ الكاتب، والمستمع/ القارئ، والزمان والمكان)، لأنه - السياق - يؤدي دورا فعالا في تأويل الخطاب⁴، لأن كثيرا من الأقوال تؤول تأويلات مختلفة إذا اختلف سياق كل قول عن الآخر، حتى ولو تطابقت هذه الأقوال في اللفظ.

_ مبدأ الفهم المحلي ومبدأ السياق: وهو أن المتلقي مدعو إلى عدم إنشاء سياق يفوق ما يحتاج إليه للوصول إلى فهم معين لقول ما⁵.

- مبدأ التشابه: ويتجلى في أهمية التجربة السابقة في المساهمة في إدراك المتلقي للإطرادات عن طريق التعميم⁶، وهذا لن يحصل إلا بعد التعامل مع خطابات عديدة

¹ ج. ب. برلون وج. بول، تحليل الخطاب، ص: ك (المقدمة).

² محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 52.

³ ج. ب. برلون، ج. بول، المرجع السابق، ص: 35.

⁴ محمد خطابي، المرجع السابق، ص: 52.

⁵ ج. ب. برلون، ج. بول، المرجع السابق، ص: 71.

⁶ محمد خطابي، المرجع السابق، ص: 57.

ومتنوعة، ينتهي فيها المتلقي إلى اكتشاف خصائص كل نوع من أنواع الخطابات التي مرت على محك تجربته التحليلية.

- مبدأ التفرّيز أو موضوع الخطاب وتصويره محتواه:

وهو أنّ موضوع الخطاب يعتبر إلى حد ما شاملاً للعناصر " المهمة" الموجودة في محتوى الخطاب¹، وهذا ما يمكن أن نمثله في القرآن الكريم، بمناسبة اسم السورة لمحتواها، أو في القصائد الشعرية في علاقة اسم القصيدة لمحتواها.

فهذه هي أهم المبادئ التي اعتمدها الباحثان للوصول إلى انسجام النصوص.

وبصفة عامة يمكن إبراز منظور كل من " براون ويول" حول الانسجام في النقاط التالية²:

1- أنّهما يهتمان بالانسجام في النصّ منظورا إليه من جملة المتلقي، وذلك بدراسة العمليات التي يوظفها هذا الأخير لبناء انسجام النصّ.

2- يستعملان بعض المفاهيم التي تسهم وتساعد في انسجام النصوص، مثل معرفة العالم والمدونات والأطر.

3- يعتبران الانسجام مرتبطا بالقدرة على الفهم والتأويل.

4- يتعاملان فقط مع النصوص والخطابات المستعملة لأغراض تواصلية (تفاعلية).

وبصفة عامة فإنّ جهود كل من " فان دايك" و"براون ويول" حول الانسجام، أخذ أمرين بعين الاعتبار: الأول هو السياق الذي أنتج فيه النصّ، والأمر الثاني: هو أهمية المتلقي في التعامل مع النصّ³، وهما أمران لا يمكن الفصل بينهما للوصول إلى انسجام نص معين، ومن أجل ذلك كانا محل دراسة في هذا الفصل.

لأنّ للسياق دور في تحقيق انسجام النصّ، لذلك اعتنى به العلماء، قديما وحديثا، دون نسيان دور المتلقي في الحكم على انسجام النصّ من عدمه، ومن الأدوات الأخرى التي تساعد في الكشف عن انسجام النصّ خصوصا القرآن الكريم هي بنية الخطاب القرآني

¹ ج. ب. برلون، ج. بول، تحليل الخطاب ، ص: 124.

² محمد خطابي، لسانيات النص ، ص: 89-90.

³ المرجع نفسه، ص: 90.

للسورة وكذا التغريض والمناسبة وكل هذه الأدوات تعمل على كشف تماسك النص دلاليًا، والتي قد تكون نتيجة علاقات خفية تربط وحدات السورة.¹

2_1_1_السياق:

أ- مفهوم السياق:

يعتبر السياق أداة معرفية، حققت نجاحًا معتبرًا في دراسة النصوص، وهذه الأداة مرتبطة ارتباطًا قويًا بالنص، وهو « إطار عام تنتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية ومقياس تتصل بواسطته الجمل فيما بينها وتترابط، وبيئة لغوية وتداولية، ترعى مجموع العناصر المعرفية التي يقدمها النص للقارئ»²، حيث أنه بالسياق يفهم معنى الكلمة أو الجملة، وذلك يوصلها بالتي قبلها أو بالتي بعدها حتى تتضح الدلالة المرادة.

وكثيرًا ما يرد الشبه بين الجمل والعبارات مع بعض الفوارق التي تميز بينها، ولا نستطيع تفسير تلك الفوارق إلا بالرجوع إلى السياق اللغوي، ولحظ الفوارق الدقيقة التي طرأت بين الجمل، فاختلفت سباقات الألفاظ يجرنا إلى معنى مخالف للسياق الأول.

والسياق مصطلح شاع استعماله بمعان مختلفة، ولا بد من التنبه ترادفًا بين المقام والحال، وبذلك استعمل السياق أيضًا للدلالة طورًا على السياق النصي³، أي الكلمات أو العبارات التي تجاوز كلمة أو عبارة ما داخل النص، وهذه التجاوزات نبحث من طريقه عن تأويل كلمة أو عبارة أو جملة أو نص، نلتزم في ذلك مراد مؤلف النص.

كما يستعمل - السياق - للدلالة على الظروف والملابسات الخارجية التي تستعمل لتأويل لفظة أو عبارة أو نص ما، فهو إما للدلالة على السياق النصي، وإما على السياق الخارجي أو المقام⁴.

¹ محمود بوسنة، الاتساق والانسجام في سورة الكهف، ص: 154

² عبد الرحمن بودرع، أثر السياق في فهم النص القرآني، الإحياء، 25، (جمادي الثانية 1428هـ - يوليو 2007م)، ص: 73.

³ محمد الولي، السياق إشكالية قديمة في أضواء جديدة، الإحياء، 25، (جمادي الثانية 1428هـ - يوليو 2007م)، ص: 63.

⁴ المرجع نفسه، ص: 63.

ولأهميته فقد كان محل اهتمام العلماء قديما وحديثا، استعانوا به في فهم النصوص وتحليلها، بل أكثر من ذلك فإنه لم يكن محل اهتمام الباحثين في مجال لسانيات النص في الوقت الحالي لوحدهم، بل كان محل اهتمام علماء اللسانيات بصفة عامة ولم يغفلوا عن دراسته.

وقد أدرك علماؤنا القدامى أهمية السياق في تحديد المعنى وابعين بدوره الكبير في توجيه دلالات العلامات اللغوية، خصوصا في النص القرآني الكريم.

ولقد اعترف علماء الأمة الإسلامية- من علماء الأصول والتفسير وغيرهم- بفكرة السياق بشقيه المقالي والمقامي، متقدمين بأكثر من ألف سنة عن زمانهم، لأن الاعتراف بفكرتي المقام والمقال باعتبارهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرة العقل المعاصر في دراسة اللغة¹.

ويعتبر أول لفت انتباهه لفكرة السياق من علمائنا هو "الامام الشافعي"، حيث تنبه إلى دوره في دراسة المعنى، وذلك في كتابه "الرسالة" ورأى أن بالسياق تستخرج دلالات ألفاظ القرآن الكريم، وتفصيل مجملها وتخصيص عامها، ولقد أحسن "الشافعي" استثمار هذه الأداة ولا سيما في التفريق بين نمطين نصيين هامين تعبر عنهما الثنائية الدلالية: العام والخاص، وهي من الثنائيات التي تعتبر معرفتها من أجل العلوم²، ولذلك كان اهتمام "الشافعي" بها كبير لفهم كثير من الأحكام الشرعية الواردة في النص القرآني.

ولقد أخذ بالمنهج السياقي في التفسير كثير من المفسرين في مقدمتهم إمام المفسرين "ابن جرير الطبري" فكثيرا ما يحتكم إلى السياق، ومنهم أيضا "فخر الدين الرازي"، وكذلك "الزمخشري" في كتابه "تفسير الكشاف"، ومن المحدثين "محمد الطاهر بن عاشور"

¹ إبراهيم أصيان، السياق بين علماء الشريعة والمدارس اللغوية الحديثة، الإحياء، 25 (جمادي الثانية 1428هـ- يوليو 2007م)، ص: 54.

² مسعود صحراوي، المنهج السياقي ودوره في فهم النص وتحديد دلالات الألفاظ، نقلا عن موقع الشهاب:

في " تفسير التحرير والتنوير"¹، فقد كان السياق أحد الأدوات المعرفية التي استعانوا بها في فهم النص القرآني وتفسيره.

ولذلك عدّ العلماء مراعاة السياق في فهم القرآن الكريم المنهج الأمثل في التفسير وضابطاً من الضوابط المهمة في حسن الفهم والتأويل، وتجلت هذه القاعدة المنهجية- أي المنهج السياقي- في تفسير القرآن بالقرآن².

ولأهميته في فهم المعنى وكشفه إذا حدث لبس أو غموض، فقد أصبح من اهتمام كبار المدارس اللغوية على المستوى العالمي، وصار نظرية للدراسة الدلالية، ومن بين المدارس التي اهتمت به، مدرسة " فيرث firth" - اللغوي الانجليزي- الذي وضع نظرية سماها " نظرية السياق".

ولهذا صرح "فيرث" بقوله « أن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة... فمعظم الوحدات الدلالية تقع مجاورة وحدات أخرى، وإن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها...»³، معنى هذا أن علاقة الكلمة مع الكلمات في النص هي من يحدد معناها.

ومن هنا فإن فكرة السياق عندما تناولها الغربيون في القرن العشرين لم تكن جديدة تماماً.

لكن ولعل من الإنصاف القول بأنهم- الغربيين- قد صاغوا فكرة السياق في شكل نظرية قابلة للتطبيق على جميع أنواع المعنى... ووضعوا لها من المعايير والإجراءات ما يجعلها تقف على قدم المساواة مع بقية النظريات التي تتناول المعنى بالتحليل والتفسير⁴.

¹ أنظر: مسعود صحراوي، المرجع السابق:

<http://www.chihab.net/modules.php?name=News&file=article&sid=389>

بتاريخ: هـ 1424-12-29

² عبد الرحمان بودرع، أثر السياق في فهم النص القرآني، ص: 75.

³ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1998، ص، ص: 68-69.

⁴ ردة الله الطلحي، دلالة السياق (رسالة دكتوراء في اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1423هـ) ص: 165.

ب- أنواع السياق في القرآن الكريم:

للسياق القرآني عدة أنواع فهناك سياق السورة الذي يشكل وحدة عضوية متكاملة متتامة، وسياق المقطع الذي يشكل محورا رئيسيا من محاور سياق السورة، وسياق الآية الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بسياق المقطع، حيث يشكل سياق الآية لبنة في بناء سياق المقطع، وتتحد مباني الآيات حول معاني مقطعيها، ويشكل عضوا أساسيا في جسم السورة، حيث تدور جميع المقاطع حول فلك السورة الواحدة، ألا وهو موضوعها الذي سبقت المعاني والموضوعات لأجله¹، معنى هذا أن هناك ثلاث أنواع من السياقات القرآنية: سياق الآية، وسياق المقطع، وسياق السورة، ويمكن توضيح ذلك على النحو التالي:

أولا: سياق الآية :

في هذا النوع يتم النظر والبحث في معنى الآية، فإذا اختلف في معنى الآية، فإننا ننظر في سياقها، لأنه يحدث هناك لفظ مشترك لا يتضح معناه إلا من سياق الآية، ومن أمثلة ذلك لفظ "الإحصان" الذي يطلق على الحرية والعفاف والتزويج، لكن تحديد المعنى المقصود في آية معينة يكون حسب سياقها، فمثلا في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا أَحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ

بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ النساء، الآية: 25

قال "ابن كثير" في تفسير هذه الآية²: والأظهر - والله أعلم -: أن المراد بالإحصان ها هنا التزويج، لأن سياق الآية يدل عليه، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ النساء، الآية: (25) ، حيث أن معنى لفظ "الإحصان" تحدد من خلال سياق الآية.

¹ المثني عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني، دراسة تأصيلية دلالية نقدية، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط01،

1429هـ-2008م، ص: 77.

² محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، دار الجيل، القاهرة، ط01، 2002، مج2، ص:

ثانيا: سياق النص :

وهو المقطع المتحد في الغرض، ويتبين هذا الكثير في سياق القصص، فيكون الترجيح أحيانا بناء على سياق النص¹.
 مثال ذلك ذهاب " الشنقيطي"² - رحمه الله- إلى عدم صحة من قال بأن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخلن في أهل بيته في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ الأحزاب، الآية:33. فإن قرينة السياق صريحة في دخولهن، لأن الله تعالى قال: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلًّا لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ ﴾ الأحزاب، الآية: 28، ثم قال في نفس خطابه لهن: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ الأحزاب، الآية:33، ثم قال بعده: ﴿ وَأذْكَرَنَّ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ الأحزاب، الآية:34، فقد استند " الشنقيطي" إلى سياق النص، لأنه كان في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، فمن خلال النظر إلى هذا المقطع كونه متماسكا فيما بينه اتضحت الدلالة وتبين وجه الصواب من أقوال العلماء في هذه المسألة.

ثالثا: سياق السورة:

حيث أن العلماء نظروا في سياق السور، وبحثوا عن الغرض العام والمحور الرئيسي الذي تدور حوله كل سورة، فإذا كانت مثلا السورة مكية، فإن الأمثلة التي تساق في هذه السورة آيات تثبت وحدانية الله تعالى وأنه المستحق للعبادة وحده دون ما سواه والحد من الشرك وبيان عواقبه.

لكن إذا نظرنا إلى السور القرآنية الكريمة، فإننا نجد ما قد نزلت مفرقة، فالنص القرآني نزل منجما كما هو معروف، ولم ينزل جملة واحدة، بل اختلف نزوله من مكان إلى

¹ فهد الشتوي، دلالة السياق واثرها في توجيه التشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام، (رسالة ماجستير، كلية

الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1426هـ-2005م)، ص: 43.

² محمد الامين الشنقيطي، أضواء البيان، ص: /576-577.

آخر، فهناك المكي والمدني، وكذا اختلاف نزوله زمانيا، فقد نجد سورة في زمن والأخرى في زمن آخر، بل إن من السور إن لم تكن أكثرها، نزلت متقطعة زمانا ومختلفة مكانا، ولمعرفتنا للكيفية التي انسجمت بها السورة، كان لا بد علينا من إطلالة عامة حول السورة وسبب نزولها، حتى نصل إلى الدلالية الكلية للسورة المراد دراستها- سورة المائدة-، وكنا بحاجة إلى هذا الوصف في هذا الفصل، لارتباط الوصف العام للسورة بجانب الانسجام أكثر من ارتباطه بالاتساق.

ج_ التحليل النصي لسورة المائدة:

ج_1_ وصف عام للسورة :

هذه السورة سميت في كتب التفسير، وكتب السنّة، بسورة المائدة ... وتسمى أيضا سورة العقود، وتسمى أيضا المنقذة ؛ ففي أحكام " ابن الفرس " : روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: « سورة المائدة تدعى في ملكوت السموات المنقذة ». قال: أي أنها تنقذ صاحبها من أيدي ملائكة العذاب، وفي كتاب كنايات الأدباء لـ: "أحمد الجرجاني" « يقال: فلان لا يقرأ سورة الأخيار، أي لا يفي بالعهد، وذلك أن الصحابة -رضي الله عنهم- كانوا يسمون سورة المائدة سورة الأخيار»¹.

وعن سبب التسمية " بسورة المائدة " أو " سورة العقود " يقول صاحب البرهان: « ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به، ولا شك أن العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من النادر أو مستغرب يكون في الشيء، من خلق أو صفة تخصه أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى، ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز »².

وعلى هذا ولأنه لم يرد ذكر المائدة في غيرها فسميت بما يخصها³.

¹ ينظر: الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ج 6، ص: 69

² الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص: 270

³ المرجع نفسه، ص: 271

وفيهما قصة المائدة وإليها تنسب السورة، فيقال سورة المائدة، وهي مما امتن الله به عبده ورسوله " عيسى " لما أجاب دعاءه بنزولها، فأنزل الله آية باهرة وحجة قاطعة، وقد ذكر بعض الأئمة أن قصتها ليست مذكورة في الإنجيل ولا يعرفها النصارى إلا من المسلمين¹.
 أما سبب نزولها والذي له دور في كشف انسجام السورة وتماسكها فقد قال الإمام أحمد عن أسماء بنت يزيد، قالت: « إنني لآخذة بزمام العضباء ؛ ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ نزلت عليه المائدة كلها، وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة » وقال أحمد أيضاً، عن عبد الله بن عمرو، قال: « أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المائدة وهو راكب على راحلته فلم تستطع أن تحمله، فنزل عنها »².

وروي أنها نزلت مُنصَرَفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية³.

ومن هذه السورة ما نزل في حجة الوداع ﴿ وَمِنْهَا مَا نَزَلَ عَامَ الْفَتْحِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ ﴾ المائدة الآية (02)، وقال " أبو ميسرة " « المائدة من آخر ما نزل، ليس فيها منسوخ، وفيها ثمان عشرة فريضة ليست في غيرها »⁴.
 وعن " جبير بن نفير " قال: « دخلت علي عائشة رضي الله عنها فقالت: هل تقرأ سورة المائدة ؟ فقلت: نعم، قالت: فإنها من آخر ما أنزل الله، فما وجدتم فيها من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرّموه »⁵.

ج_2_ التقطيع والهندسة الخارجية :

سورة المائدة كغيرها من السور جاءت مقسمة إلى العديد من الوحدات، تعطي للبناء الهندسي للقرآن الكريم خصوصية، ويعتبر ذلك من دلائل الانسجام فيها، لأن تقسيم الخطاب إلى أجزاء، ووحدات يدل على ترتيب ونوع من النظم وربط خفي، بني عليه هذا

¹ محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، مج 1، ص: 562

² المرجع نفسه، ص: 474

³ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 2006، ج 7، ص: 244 .

⁴ المرجع نفسه، ص: 244 .

⁵ المرجع نفسه، ص: 244 .

الخطاب، فهناك بناء محكم وتخطيط وتصميم في النص، وقد تنبه المفسرون قديما وحديثا إلى الحكمة من تفسير القرآن الكريم إلى آيات وسور، فربطوا ذلك ببنية النص أو الخطاب وكذلك بنية السورة، كما ربطوه أيضا بدور القارئ .

فيمكننا من أجل توضيح الدور الذي يقوم عليه التقطيع إلى وحدات وكذا الهندسة الخارجية لسورة المائدة أن نعتمد على محاولات جاء بها مفسرون، وضحو بنية السورة، ليتضح لنا دور القارئ في الحكم على انسجام النصوص، وهي محاولات كل من "محمد الطاهر بن عاشور"، "سيد قطب" .

أما بنية السورة من خلال تفسير التحرير والتتوير "لمحمد الطاهر بن عاشور" فقد كانت كالتالي:

- _ افتتحت السورة بالوصاية بالوفاء بالعقود .
- _ التمييز بين الحلال والحرام من المأكولات .
- _ حفظ شعائر الحج، والشهر الحرام، والنهي عن بعض المحرمات من عوائد الجاهلية .
- _ شرائع الوضوء، والغسل، والتيمم .
- _ الأمر بالعدل في الحكم، والأمر بالصدق في الشهادة .
- _ أحكام القصاص في الأنفس والأعضاء، وأحكام الحرابة .
- _ تحريم الخمر والميسر، والأيمان وكفارتها .
- _ الحكم بين أهل الكتاب، وأصول المعاملة بين المسلمين، وبين أهل الكتاب وبين المشركين والمنافقين، والخشية من ولايتهم أن تفضي إلى ارتداد المسلم عن دينه .
- _ إبطال العقائد الضالة لأهل الكتابيين، وذكر مساوي من أعمال اليهود، وإنصاف النصارى فيما لهم من حسن الأدب، وأنهم أرجى للإسلام وذكر قضية التيه، وأحوال المنافقين .
- _ الأمر بتخلق المسلمين بما يناقض أخلاق الضالين في تحريم ما أحل الله لهم .
- _ التنويه بالكعبة وفضائلها وبركاتها على الناس، وما تخلل ذلك أو تقدمه من العبر .
- _ تذكير المسلمين بنعم الله تعالى، والتعريض بما وقع فيه أهل الكتاب من نبذ ما أمروا به والتهاون فيه، واستدعائهم للإيمان بالرسول الموعود به .

_ وختمت بالتذكير بيوم القيامة، وشهادة الرسل على أممهم، وشهادة عيسى على النصارى، وتمجيد الله تعالى¹.

أما " سيد قطب " فيذكر أنّ الرابط بين موضوعات السورة هو الهدف الذي جاء القرآن لتحقيقه وهو: إنشاء أمة، وإقامة دولة، وتنظيم مجتمع، على أساس من عقيدة خاصة، وتصور معين، الأصل فيه أفراد الله - سبحانه - بالألوهية والربوبية، وتلقي منهج الحياة وشريعته ونظامها وموازينها وقيمها منه وحده لا شريك له .

_ كذلك نجد بناء التصور الاعتقادي وتوضيحه وتخليصه من أساطير الوثنية، وانحرافات أهل الكتاب وتحريفاتهم .

_ إلى جانب تبصير المسلمين بحقيقة ذاتها وحقيقة دورها، وطبيعة طريقها، وما في هذا الطريق من مزالق وأشواك، وشباك يرصدها أداء هذا الدين .

_ إلى جانب أحكام الشعائر التعبدية التي يتطهر روح الفرد المسلم وروح الجماعة المسلمة، وتربطها بربها .

_ إضافة إلى التشريعات الاجتماعية التي تنظم روابط مجتمعها، والتشريعات الدولية التي تنظم علاقاتها بغيرها .

_ والتشريعات التي تحلل وتحرم ألوانا من المآكل والمشارب والمناكح، أو ألوانا من الأعمال والمسالك .

ويرى أنّ كلّ هذا حزمة واحدة في السورة الواحدة يمثل معنى الدين كما أراد الله وكما فهمه المسلمون².

ويرى أنّ البدء يتناسق مع الختام، في إعلان أنّ الأمر كلّ الله تعالى .

ج_3_ السياقات الواردة في السورة:

أما ما يتعلق بالسياقات الواردة في سورة المائدة، فسنورد بعض السياقات التي كانت عاملا في انسجامها، ذكرها بعض المفسرين في تفاسيرهم :

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج6، ص: 73-74

² سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 2، ص: 825

حيث يلتبس "سيد قطب" بعض السياقات لمحور السورة وهو "الدين"، والإقرار به "الإيمان"، والحكم به "الإسلام"، فيذكر بعض السياقات منها¹:

_ في تقرير الألوهية الواحدة ونفي كل شرك أو تثليث أو خلط بين ذات الله - سبحانه - وبين غيره أو بين خصائص الألوهية
ية على الإطلاق: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكُتُبِ

قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولَنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ الآية (15،16).

_ في أن الله هو وحده الذي يعبد، وهو وحده الذي يتوجه إليه العباد بالشعائر، وقد أخذ الميثاق على عباده بهذا كله، والتحذير من نقض الميثاق وخلف العقد: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ؕ أَحَلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ تَحَكُّمٌ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ الآية (1)، ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقْتُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ الآية (07).

_ في أحكام شرعية متنوعة، وما تعلق بالحلال والحرام ... حيث النقت الشرائع بالشعائر بلا حاجز ولا فاصل، إلى جانب الأمر بالطاعة والتقييد بما شرعه الله وأمر به، والنهي عن التحريم والتحليل إلا بإذنه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا أَهْدَىٰ وَلَا أَلْقَيْدًا وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ﴿٢﴾ الآية (02)، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ؕ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

¹ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 2، ص: 825

الْمُعْتَدِينَ ﴿ الآية (87)، ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ الآية (03).

_ وفي سياق الأمر بالطاعة والإلتباع في التحليل والتحرير مجملا، النص على وجوب الحكم بما أنزل الله وإلا فهو الكفر والظلم والفسق: ﴿ يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا تَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُولِكَ ^ط تَحْرِفُونَ الْكَلِمَةَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ^ط ﴾ الآية (47) ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ الآية (44) .

_ في حتمية التلازم بين " دين الله " و " الحكم بما أنزل الله "، فالحكم بما أنزل الله إقرار بألوهية الله، ونفي لها وخصائصها عن عداه: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ الآية (45) .

_ في شأن الأمة المسلمة، ودورها الحقيقي، وهو أن تكون الوصية على البشرية، وتقيم العدل في الأرض إلى جانب موقفها اتجاه أعدائها، وكشف هؤلاء الأعداء وكيدهم لهذه الأمة ولهذا الدين: ﴿ وَلَا تَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ^ط وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ^ط وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ الآية (03)، ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ^ط أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ^ط وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ

اللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿ الآية (08)، ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ۗ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ۗ ﴾ الآية (48).

فهذه أهم السياقات الواردة في السورة المتعلقة بسياق السورة العام الذي يتمحور حول موضوعاتها الأساسية، والتي ذكرها " سيد قطب " وهي "الدين"، الإقرار به كله هو " الإيمان "، وأن الحكم به هو " الإسلام "، والتي أسهمت في ترابط السورة دلاليا، سواء ترابطها الكلّي الشامل من بدايتها حتى نهايتها، كما هو واضح، أو ترابط وانسجام بعض الأجزاء من السورة، وأيضا تماسك الآية من خلال فهم معناها بفهم بعض ألفاظها من خلال سياق الآية المتواجدة فيها .

2_2 _ بنية الخطاب:

ينظر "محمد خطابي" إلى موضوع الخطاب، على أنه ينظم ويصنف الإخبار الدلالي للمتاليات ككل، تلك هي وظيفة موضوع الخطاب الذي يعد بنية دلالية بواسطتها يوصف انسجام الخطاب، وبالتالي يعتبر أداة إجرائية حدسية بها تقارب البنية الكلية للخطاب¹، لكن قبل الحديث عن البنية الخطابية لسورة " المائدة "، لا بد علينا أن نتطرق لدور المتلقي في الحكم عن انسجام النصّ وتماسكه.

أ- دور المتلقي في الحكم على انسجام النصّ:

يمكننا التنبه في بداية الأمر أن حديثنا عن دور المتلقي في الحكم على انسجام النصّ، هو ليس حديثا عن أي متلقي، وإنما نقصد وراء كلمة متلقي هنا، ذلك المتلقي المبدع المتفاعل مع النصّ.

إنّ للمتلقي دورا أساسيا في الحكم على تماسك النصوص، إذ هو أحد أركان التحليل النصّي، « فهو يعتبر القراءة الثانية للنصّ ولهذا لم يُغفل علماء اللغة هذا الدور للمتلقي، فالنصّ يعد حوارا قائما بين قائل النصّ والنصّ والمتلقي»².

¹ محمد خطابي، لسانيات النص، ص:42.

² صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصّي، ج1، ص: 110.

وقد تتبّه علماء لسانيات النصّ لدور المتلقي في الحكم على النصّ، ولم يعتبروه مجرد مستهلك، بل عدّ بمثابة المشارك في النصّ، « وهذه المشاركة لا تضمن قطيعة بين البنية والقراءة، وإنما تعني اندماجها في عملية دلالية واحدة، فممارسة القراءة إسهام في التأليف، فللقارئ مكان جوهري في عملية التفسير لا يقل عن دور المنتج»¹، فالذي يحكم على قيمة النصّ، هو المتلقي الذي استوعب قراءة هذا النصّ.

وهذا يعني أنّ القارئ شريك المؤلف في تشكيل المعنى، وهو شريك مشروع لأنّ النصّ لم يكتب إلا من أجله، وعلى هذا النحو لا تتمثل حقيقة العمل الأدبي إلا من خلال تداخل القارئ مع النصّ، بل إنّ المبدع يخلق عملاً ينتزع فيه الكلمات من عالم المحسوسات مجسمة في نسيج عالم خيالي... محكم الربط والبناء، ومهيأ لأن يُستكمل على نحو خاص لدى كل قارئ².

ولهذا لا بد من أن ندرك دور المتلقي، فالنصّ قد لا يتحقق وجوده إلا بوجود القارئ، ففي النصّ القرآني، نجد أنّ المتلقي المبدع، هو ذلك المتلقي الذي يدرك الأسلوب القرآني، وكذا معرفة سياق النصّ، وكذلك مناسبة النزول، وبهذا نجده في كثير من الأحيان يطرح مجموعة من الأسئلة حول نص معين، قصد فك شفرته، للغوص ومعرفة معانيه، أو على الأقل الاقتراب من معناه، وبذلك يكشف الكيفية التي انسجم بها هذا النصّ، إذ وجود النصّ كان من أجله.

ب- خصائص البنية الخطابية:

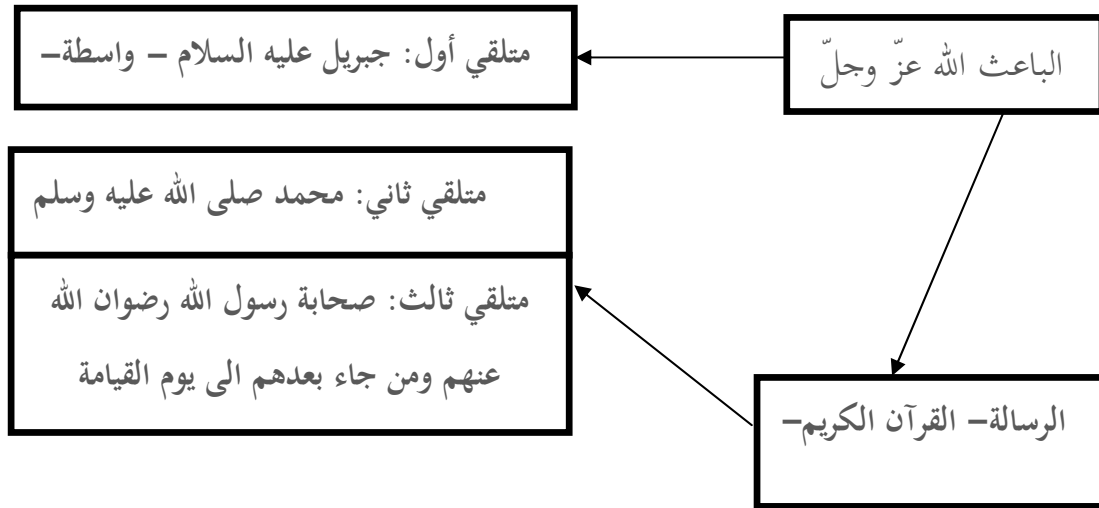
تهتم البنية الخطابية بالمخاطب أو المرسل أو المتكلم، كما تهتم أيضاً بمتلقي الخطاب ونوع الرسالة، وهي عناصر أساسية في هذا العنصر، تدخل في تشكيل البنية الخطابية لأيّ نصّ، وتسهم في تأويله وفهمه والوصول الى حقيقة تماسكه دلالياً.³

¹ سعيد حسن بحيري، علم لغة النصّ، ص: 111-112.

² صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص: 111.

³ محمود بوسته، الاتساق والانسجام في سورة الكهف، ص: 178.

وتتميز البنية الخطابية في القرآن الكريم بأن المرسل أو المتكلم فيها هو الله عز وجلّ، والمتلقي الأول للرسالة هو جبريل عليه السلام والمتلقي الثاني هو محمد صلى الله عليه وسلم، والمتلقي الثالث هو صحابة رسول الله رضي الله عنهم ومن جاء بعدهم من البشر إلى أن تقوم الساعة.



إنّ القرآن الكريم يُعرف بأنّه رسالة إلى البشرية جمعاء، منذ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فالبحث من هذا الاعتبار متصل على وجه الأبد... مما يجعل العلاقة ترقى إلى ما فوق الزمنية التاريخية و التاريخية¹.

ج- البنية الخطابية في سورة المائدة:

تعتبر بنية الخطاب بنية دلالية بواسطتها يوصف الخطاب، وهي بمثابة أداة من الأدوات الإجرائية التي توصلنا إلى البنية الكلية للخطاب، والناظر إلى سورة "المائدة" يمكنه أن يحدد مجموعة من البنيات الخطابية التي تتبلور في النهاية لتشكّل بنية خطابية كبرى، تخدم السورة باعتبارها مجموعة من المحاور ربطت بينها نداءات إيمانية موجهة للمؤمنين.

¹ عبد المالك مرتاض، نظام الخطاب القرآني، تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمان، دار هومة، الجزائر، 2001،

وهذه البنيات هي كالاتي:

البنية الأولى: (الوفاء بالعقود)

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۗ ﴾ الآية (01)، إن أول ما ذكر بعد طلب الوفاء هو ما قد أحلّ فلم يبدأ ربنا بما قد حرمّ لئلا يكون منفرا ؛ فكلمة "أوفوا بالعقود" توحى بأن الخطاب بعدها شديد اللهجة، فتأتي مباشرة كلمة "أحلّت لكم" وهذا من رحمة الله تعالى بهذه الأمة، إلى جانب الرحمة في الخطاب نجد معنى لطيفا في النداء الأول.

البنية الثانية: (لا تحلّوا شعائر الله)

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ ۗ ﴾ الآية (02)، يا أيها المؤمنون لا تغيروا معالم دين الله تعالى من أوامر ونواهي، كما شملت هذه البنية آلاف الصور من العلاقات الاجتماعية التي تتدرج تحت البرّ والتقوى والتعاون وبيان الحلال من طيبات الطعام والنكاح.

البنية الثالثة: (طيبات الروح)

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ۗ ﴾ الآية (06)، نستشعر من خلالها شمولية الإسلام في الأحكام، فأحكام المعاملات قد أتت في السورة جنبا إلى جنب مع أحكام العبادات.

البنية الرابعة: (العدل)

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۗ ﴾ الآية (08)، بعد تتابع الآيات والتي تناولت إيفاء العقود في الطعام والشراب والزواج والوضوء، انتقلت إلى عقد مهم جدا (العدل)، وهذه قاعدة هامة من قواعد تسامح الإسلام وعدله مع الفئات الأخرى .

البنية الخامسة: (ذكر نعمة الله)

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۗ ﴾ الآية (11)، إن الله قد حفظ المؤمنين من غدر أعدائهم، فانتقوا الله يا مؤمنين وأوفوا بعهد، وتذكير بالفئات التي نقضت عهود الله من قبل، وتنقل لنا قصة موسى مع قومه وضرب المثل بقصة ابني آدم .

البنية السادسة: (الجهاد في سبيل الله)

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ الآية (35)، بعد عرض خطر الفساد، يأتي الأمر بالجهاد لمحاربة الفساد .

البنية السابعة: (التحذير من التقليد الأعمى)

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ ۗ ﴾ الآية (51)، ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ۗ ﴾ الآية (54)، ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ الآية (57)، حيث الهدف أن يكون لهذه الأمة هويتها المميزة .

البنية الثامنة: (لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم)

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ الآية (87)، حيث التحليل والتحرير حق لله وحده .

البنية التاسعة: (محرمات الشراب)

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ الآية (90)، وهي أقصى درجات النهي والتحرير، إذ تم التعامل مع قضية الخمر بشدة فقرن بينه وبين مخلفات الشرك بالله.

البنية العاشرة: (الحذر من الابتلاء في الحلال والحرام)

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن خَافَهُ بِالْغَيْبِ ۗ فَمَن أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ الآية (94)، تحذير من البلاء الذي يقع فيه المسلم ليختبر الله إيمانه وتطبيقه للحلال والحرام .

البنية الحادية عشرة: (عدم التضيق على النفس)

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ الآية (101)، وهو ضابط من الضوابط التي وضعها الله تعالى في قضايا الحلال والحرام .

البنية الثانية عشرة: (لا تكن إمعة)

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيَتَّبِعُهُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ الآية (105)، الخطاب للمؤمنين دائماً، اثبتوا على الحق وعليكم أنفسكم .

البنية الثالثة عشرة: (الحلال والحرام في الشهادات والوصية)

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَدَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ الآية (106)، إثبات شمولية الإسلام لكل شؤون الحياة، من أمور الطعام والشراب، إلى الزوجات والعلاقات الأسرية إلى أحكام الحدود والعلاقات الدولية إلى المعاملات والشهادات والوصية .

يتأكد مما سبق أن العلاقة التداولية لبنية الخطاب، تؤدي إلى تكوين نسيج من **الوظائف الفعلية**، لتسهم بذلك في انسجام الخطاب القرآني في هذه السورة، ويمكننا بعد هذا أن نقوم بتمثيل سورة المائدة من منظور العلاقات الخطابية وارتباطها ببعض على الشكل التالي:

ومن خلال هذا يمكن الخروج بمجموعة من الملاحظات ترتبط بالسورة كخطاب موجه للمؤمنين :

_ الآية الأولى أفرت ضروريات الحياة (الطعام)، ثم الآية التي بعدها بدأت بتقرير مبادئ إنسانية عظيمة .

_ بدأت الآيات بطيبات الطعام ثم طيبات الزواج وكلها ملذات الدنيا، وبعدها انتقلت الآيات إلى طيبات الروح وطهارة الروح التي تبدأ بالوضوء .

- _ كل عشر آيات تقريبا تأتي آية لتذكرنا بعهد الله وميثاقه .
- _ معالم الحلال والحرام في الإسلام تتضح شيئا فشيئا، وكل آية تضيف مفهوما جديدا لتكمل الأحكام عند المسلمين قبل ختام نزول الآيات .
- _ ففي هذه السورة إذا توازن بين التزام الأوامر والنواهي والوفاء بعهد الله وبين عدم التشديد على النفس فيما لم يأمر به الله تعالى .
- _ ولأن سورة المائدة سورة الحلال والحرام في الإسلام فهي السورة الوحيدة التي جمعت مقاصد الشريعة الإسلامية الخمسة:

- 1_ حفظ الدين: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ۖ ﴾ الآية (54).
- 2_ حفظ النفس: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أُوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۗ ﴾ الآية (32).
- 3_ حفظ العقل: ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ۗ ﴾ الآية (90)، والغاية من تحريم الخمر حفظ العقل.
- 4_ حفظ العرض: ﴿ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ۗ ﴾ الآية (05).
- 5_ حفظ المال: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ۗ ﴾ الآية (38).

2_3_ التكريض:

أ_ مفهوم التكريض:

ينهض العنوان أو اسم السورة بدور تأويلي فعال، لأنه يتحكم في تحديد الرؤية، ويؤسس العلاقة التكريضية كما يذهب إلى ذلك كل من " براون ويول".

ومفهوم التغميض يتعلق بالارتباط الوثيق بين ما يدور في الخطاب/ النص وأجزائه، وبين عنوان الخطاب أو نقطة بدايته، وبالتالي فإنّ الخطاب/ النصّ مركز جذاب يؤسسه منطلقه، وتحوم حوله بقية أجزائه¹.

ومن هنا يتبين أنّ التغميض له علاقة وطيدة مع موضوع الخطاب وعنوانه، ولعله يمكن اعتبار العنوان « وسيلة قوية للتغميض [لأننا] حين نجد شخصا مغرضا في عنوان النصّ نتوقع أن يكون ذلك الشخص هو الموضوع».

فمفهوم التغميض ذو علاقة وثيقة مع موضوع الخطاب ومع عنوان النصّ، تتجلى العلاقة بين العنوان وموضع الخطاب في كون الأول « تعبيرا ممكنا عن الموضوع»². إذن فإنّ قراءة النصوص في ظلّ عنواناتها تشكل الانطلاقة الأولى لقراءة النصوص، إذ ما ذهبنا إلى أنّ «دلالة العمل هي نتاج تأويل عنوانه»³.

وبهذا يمكن للعنوان أن يشكل بؤرة مهمة، لتمكين المتلقي من النفوذ داخل النصّ، إذ يمدّه بزيادة ثمين لتفكيك النصّ ودراسته، إضافة إلى تقديمه المعونة الكبرى، لضبط انسجام النصّ، وفهم ما غمض منه، بل إنّ المحور الذي يتوالد ويتنامى، ويعيد إنتاج نفسه مشكلا هوية النصّ⁴.

وإذا كان العنوان يشكل ركيزة أساسية في توجيه فهم القارئ لمضمون نص معين، ويرسم احتمالات المعنى ويختصر حكمة النصّ، فإنّه بهذا يستطيع أن يشكل مدخلا مهما وعاملا في عوامل بناء وانسجام النصوص إذ يمكننا أن نعتبره عبارة عن تلخيص للمحتوى، وهو بهذا يجسد الوحدة الكلية للنصّ وعنوان النصّ بصفة عامة، يعتبر أول شيء يواجه دارسي النصوص ومحليليه، ولذلك فإنّ له المكانة الأولى في كشف تماسك النصّ، لأنّ النصّ قد يكون تلخيصا للمحتوى، وقد يكون النصّ مكتملا لما جاء في العنوان وموضحا أو مفسرا

¹ أنظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 59.

² المرجع نفسه، ص: 293.

³ فتحي رزق الخوالدة، تحليل الخطاب الشعري، ص: 124.

⁴ المرجع نفسه، ص: 124

له، وقد يكون النص شارحا ومفصلا للإجمال (العنوان)، وهذا ينطبق أيضا على أسماء السور في القرآن الكريم.

فللعنوان قيمة إشارية تفيد في وصف النص ذاته وغني عن بيان أن طبيعة العلاقات بين النص وعنوانه من المباحث الحيوية التي ما زالت في حاجة الى دراسات علمية تحليلية عميقة¹.

ب_ العلاقة بين اسم السورة -المائدة- ومحتواها :

وفيما يخص سور القرآن الكريم فنحن نبحت في العلاقة بين اسم السورة ومحتواها، وخصوصا إذا علمنا أن أسماء سور القرآن الكريم توفيقية، فنحاول كشف العلاقة بين اسم السورة، وما حوته جوانبها من دلالات ترتبط باسمها، وقد نبه علماءنا القدامى إلى أهمية اسم السورة، فيذهب "الزركشي" إلى أن تسمية السورة باسم معين « ليس إلا تعصيذا لتقليد معلوم لدى العرب، وهو تقليد يراعي في كثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه ... ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة، بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز»².

غير أن ذكر حدث معين أو اسم ما في السورة ليس كافيا لتبرير التسمية، وقد أورد "الزركشي" جوابا على هذا الاعتراض، في كلامه عن سورة هود وسبب تسميتها بهذا الاسم، قال: « فقد ورد في سورة هود ذكر نوح وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام، فلم تختص باسم هود وحده؟ وما وجه تسميتها به وقصة نوح فيها أطول وأوعب؟ ... تكررت هذه القصص في سورة الأعراف وسورة هود والشعراء بأوعب مما وردت في غيرها، ولم يتكرر في واحدة من هذه السور الثلاث اسم هود عليه السلام كتكرره في هذه السورة، فإنه تكرر فيها عند ذكر قصته في أربع مواضع »³.

¹ محمد العبد، اللغة والإبداع الأدبي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط01، 1989، ص: 48.

² الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص: 46

³ المرجع نفسه، ص: 271

لكن هل عدد التكرارات يكفي حتى نبرر تسمية سورة بما تكرر فيها؟ يجب على هذا التساؤل "الزركشي" أيضا بقوله: « لما جردت لذكر نوح وقصته مع قومه سورة برأسها، فلم يقع فيها بغير ذلك كانت أولى بأن تسمى باسمه عليه السلام ¹ » يستنتج من أقوال "الزركشي" هذه أن هناك ارتباطا وثيقا بين السورة واسمها، ولو أردت استبدال اسم السورة باسم آخر لم تستطع .

ولدراسة العلاقة بين اسم السورة -المائدة- ومحتواها أو موضوعاتها لا بد أن نقف بداية الأمر على تسمية السورة .

وكما سبق الذكر فإن اسم السورة توقيفي، أي ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذه السورة تسمى "سورة المائدة" وتسمى "سورة العقود" و"المنقذة" و "سورة الأخيار". سميت "سورة المائدة" لأن فيها قصة المائدة التي سألتها الحواريون من عيسى عليه السلام، وقد اختصت السورة بذكرها، وتسميتها بسورة المائدة مناسب لورود قصة المائدة في آخرها، فالسورة سورة العقود والوفاء بها والله سبحانه وتعالى أخذ العهد على بني إسرائيل عندما طلبوا إنزال المائدة أن يؤمنوا به فقال تعالى ومن نقض العهد فله عذاب شديد من الله عز وجل: ﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ^ط فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ الآية (115) .

وسميت سورة العقود لورود هذا اللفظ في أولها، والعهد فيها أربعة: مع الله أو مع رسوله صلى الله عليه وسلم أو المؤمنين أو الكافرين وكلها واجبة الوفاء. وسميت المنقذة لأنها تتقذ صاحبها من أيدي ملائكة العذاب كما في الأثر المرفوع .

أما بتسميتها بسورة الأخيار فلما فيها من الحث على الوفاء بالعهد الذي هو من شأن الأخيار، ولذلك قال بعضهم: إن فلانا لا يقرأ سورة الأخيار، يريد أنه لا يفي بالعهد .

¹ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص: 217

والله أعلم بأسرار كتابه ومراده من كل لفظ، فتعالق بذلك وترابط اسم السورة وتماسك السورة بموضوعاتها الأساسية وأحدث بذلك انسجاماً نصياً .

2_4_ المناسبة:

لما كان السياق القرآني يقتضي التماسك والترابط بين المعاني، كان لا بد من إثبات حقيقة أكيدة ألا وهي: أن آيات السور القرآنية جاءت وفق ترتيب قديم مصون في اللوح المحفوظ، لم يطرأ عليه أي تعديل أو تغيير، وإنما هو ترتيب إلهي أراد به المنزل سبحانه على حاله دون تدخل أحد من الناس، ولما كان هذا الترتيب على هذا الشكل الموجود في المصحف الشريف، كان لا بد أن تكون هناك مناسبة بين ترتيب هذه الآيات، وأن تلاحم أجزاء السورة يرتبط بمناسبة داخلية بينهما، ولذا كان لا بد علينا أن نبحث عن هذا التماسك بين معاني الآيات التي حققت لنا وحدة في سورة معينة، لأن وجود هذه الآيات في سياق سورة واحدة ينبئ عن علاقة بينهما ووجه من المناسبة جعل منها وحدة دلالية.

وقد أدرج " محمد خطابي " علم المناسبات ضمن الآليات التي تكشف لنا عن تماسك السور في كتابه لسانيات النص، حيث يمكننا - علم المناسبات - من كشف العلاقة بين الآية والآية الأخرى، لكن قبل الحديث عن وجه المناسبة بين آيات "سورة المائدة"، كان لا بد علينا من أن نتطرق إلى تعريف علم المناسبة.

أ- تعريف علم المناسبة:

لقد عرف " برهان الدين البقاعي " في مقدمة تفسيره (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) فقال: « علم المناسبات علم تعرف منه علل الترتيب، وموضوعه: أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب، وثمرته: الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء، بسبب ماله بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي كلحمة النسب »¹، فعلم المناسبات كما ذهب " البقاعي " علم يعرف به سبب ترتيب النص على الشكل الذي جاء عليه.

¹ البقاعي، نظم الدرر، ج01، ص: 05.

أما فيما يخص القرآن الكريم، فيُعرف "البقاعي" قائلا: «علم مناسبات القرآن: علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سرّ البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال، وتتوقف الإحالة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها»¹.

فمعرفة المقصود من السورة لا يتم إلا بمعرفة جميع جملها، وكذا تدبير السياق الذي جاءت فيه هذه الجمل من البداية وحتى النهاية.

والسياق يكون خادما لعلم المناسبات في إبراز، علل الترتيب ... وأسباب تقديم بعضها على بعض، فمن هذه الجهة يكون السياق خادما لعلم المناسبات، ومن جهة أخرى يكون علم المناسبات خادما للسياق، وذلك من خلال الكشف عن أوجه المناسبة².

وعلم المناسبة أمر معقول، إذا عرض على العقول تلقته بالقبول، ولذلك وضعوا له ضوابط عقلية منها: وحدة الموضوع، سواء في ذلك وحدة موضوع السورة ذات الموضوع الواحد، أو وحدة موضوع المقطع، ووجود رابط من الروابط، عام أو خاص، عقلي أو حسي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلوم³.

ويذهب " محمد خطابي " إلى أن المناسبة أو التناسب بين الآيات بحث عن علاقة آية بآية أخرى متقدمة⁴.

لكنه يضع شرطا للبحث عن موضوع المناسبة حيث يقول: « وقد بدا للناس من خلال الاستقراء أنّ المفسر يشرع في البحث عن المناسبة حيث تتقطع الصلة بين آية وآية أو آيات سابقة (تعني بانقطاع الصلة أن تكون الآية السابقة كلاما عن القتال والآية اللاحقة لها كلاما عن إنفاق الأموال مثلا) وكأنّما يفترض سؤال سائل: ما وجه المناسبة بين هذه وتلك؟

¹ البقاعي، نظم الدرر ، ج01، ص:05.

² المثني عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني، ص:38.

³ ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج01، ص: 36.

⁴ محمد خطابي، لسانيات النص، ص:189.

أو ما موقع هذه الآية من الكلم السابق؟¹، فعلم المناسبة عنده يبحث عن علاقة الآية بالآية الأخرى أو آيات متجاورات في الموقع مختلفات تقطع الصلة بينهما «.

ب- أول من ألف في علم المناسبة:

يذكر أن أول من ألف في هذا العلم كان "أبو بكر النيسابوري"، حيث وضع اللبنة الأولى لهذا العلم من خلال تفسيره للقرآن الكريم، حيث أنه في أثناء تفسيره يذكر الحكمة من وضع هذه السورة بجانب السورة الأخرى.

يقول "الحسن الشهرستاني": « أول من أظهر بيغداد علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام "أبو بكر النيسابوري" (ت: 261هـ) ... وكان يقول ما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة »².

وبضيف "السيوطي" عدداً آخر من العلماء الذين تحدثوا عن المناسبة، يقول: «أفرده بالتأليف العلامة "أبو جعفر بن الزبير" ... في كتاب سماه "البرهان في مناسبة ترتيب القرآن"، ومن أهل العصر الشيخ "برهان الدين البقاعي" (ت: 885هـ) في كتابه سماه "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" والكتاب الذي صنعه في أسرار التنزيل كافل بذلك جامع لمناسبات السور والآيات... وقد لخصت منه مناسبات السور... في جزء لطيف سمّيته "تناسق الدرر في تناسب السور"³، وكل هذا يؤكد إدراك هؤلاء العلماء - القدامى - لقضية المناسبة.

لكن الذي لا بد من التنبيه له، إلى أن هناك اختلاف بين العلماء حول الترابط، فهناك من رأى أن «القرآن نزل في اثنين وعشرين سنة في أحكام مختلفة وأسباب مختلفة، وما كان ذلك لا يأتي ربطه بعضه ببعض... لاختلاف العلل والأسباب»⁴.

¹ محمد خطابي، لسانيات النص، ص، ص: 189-190.

² الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 36.

³ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص: 322.

أيضا معترك الأقران، ج1، ص: 54-55.

⁴ الزركشي، المرجع السابق، ج1، ص: 36.

ثم يأتي رأي آخر مخالف له، يؤكد أنه « قد وهم من قال: لا يُطلب للآية الكريمة مناسبة، لأنها على حساب الوقائع المتفرقة، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا »¹.

وقد فصل في هذه القضية "صبحي ابراهيم الفقي" حيث يقول: « والذي نراه أن القرآن الكريم نزل جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا، في ليلة واحدة ثم نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في نيف وعشرين سنة منجما، وهذا النزول مرة واحدة يوحي بتماسكه ووجود المناسبة بين الآيات من ناحية وبين السور من ناحية أخرى، ومن ثم فلا مكان للزعم بعدم الربط بين آياته وسوره»².

وهدفنا في هذا العرض التاريخي، هو التأكيد على فكرة المناسبة، ووجودها منذ القديم، ومن ثم توظيفها في الكشف عما يبحث عنه لسانيات النص وفي جانبها الدلالي، ألا وهو كيفية انسجام السور القرآنية وترابطها دلاليا حتى تعطينا وحدة دلالية هي عبارة عن لحمة واحدة تتربط بدايتها بنهايتها، وترابط هذين الآخرين-البداية والنهاية- مع الموضوعات الرئيسية للسورة ومحورها الذي تدور حوله، وهذا ما سنكشف عنه في دراستنا لسورة المائدة تطبيقيا، لكن بعد إبراز أهمية وفائدة علم المناسبة.

ج- فائدة علم المناسبة وأهميته في تماسك النصوص:

كما سبق القول أن المناسبة هي البحث عن علاقة آية القرآن بأخرى متقدمة، يشرع المفسر في البحث عن المناسبة حين تنقطع الصلة بين آية وآية أخرى، أو آيات سابقة.

فلعلم المناسبة فائدة عظيمة وفائدته كما يقول "الزركشي" « جعل أجزاء الكلام آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء... »

¹ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 36.

² صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص: 89.

وقال "أبو بكر بن العربي": ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، مشتقة المعاني، منتظمة المباني علم عظيم¹.

فهو إذن يبحث في كيفية تماسك النصوص وانسجامها وذلك بترابط، وتعالق وحداتها وهذا ما نبحت عنه في لسانيات النص.

ومعرفة المناسبات بين الآيات لا يطلب إلا بعد بيان استيفاء اتصال الآيات بعضها مع بعض في موضوع واحد، أي بعد أن يتم سياق الآية أو سياق المقطع، فبعدها يطلب وجه مناسبة الآية بما قبلها وما بعدها²، وخير معين على معرفة وجه المناسبة، هو معرفة السياق القرآني حي يتضح وجه المناسبة على أكمل وجه له، وهذا ما جعلنا نتطرق إلى السياق قبل دراستنا لمناسبة آيات سورة المائدة بعضها ببعض.

فوظيفة علم المناسبات هو الكشف في وجه ورود وانتظام المعاني وارتصافه في هذا المكان دون غيره، وبيان اللحمة والاتلاف والترابط بين عناصر السياق الواحد³، فعلم المناسبة يحدد ويوضح وحدة النص في القرآن الكريم، الذي لم يسلم من الطاعنين منه قديما وحديثا، وفي محاولة منهم تمزيق وحدة النص القرآني والظعن في انسجامه، ومحاولة جعله قطعا متفرقة لا علاقة بين وحداته.

فالمناسبة هدفها الرباط الدلالي بين الآيات المتجاورات أو حتى المتباعدات، فهي بحق أحد الآليات التي يبحث بها في تماسك النصوص وتلاحمها وارتباط بعضها بأعناق بعض لتكون بذلك الوحدة المنشودة من دراسة النصوص.

فموقعها في الدراسات النصية الحديثة موقع متميز، على الرغم من عدم التطرق إليها من طرف الباحثين والمهتمين بلسانيات النص، قد يكون لعلاقتها وارتباط الدراسة فيها بالنص القرآني، وهو الذي أدى بعلماء لسانيات النص تجاهلها لأن هذا المجال -لسانيات النص- حديث، والشيء المترجم فيه إلى اللغة العربية أكثر من المؤلف، مما أدى إلى

¹ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج01، ص: 36.

² المثني عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني، ص: 39.

³ المرجع نفسه، ص: 40.

تجاهله، إلا فيما نعلم عند باحثين اثنين: "محمد خطابي" في كتابه لسانيات النص، و"صبحي إبراهيم الفقي" في كتابه على اللغة النصي، فقد تطرقا إلى علم المناسبة ودوره في تحقيق التماسك النصي .

فبخصوص موقف علماء النصية من قضية المناسبة ودورها في تحقيق التماسك النصي، يقول "صبحي إبراهيم الفقي": « أنهم لم يشيروا إليها على أنها وسيلة من وسائل التماسك النصي ... ولكننا هنا نضيف-يقول الفقي-وسيلة المناسبة، إذ أنها تمثل وسيلة من أهم وسائل التماسك النصي»¹.

وقد اشترط الفقي وجود علاقة بين المتناسبين، تكون هذه العلاقة ظاهرة وقد تكون غير ظاهرة فيبحث عن الدعامة التي يمكن أن تجمع بينهما، إذا علم ذلك، فالمناسبة توصل إلى العلاقة وهذه العلاقة بدورها تقتضي مرجعية من أحد المتناسبين إلى الآخر، وإذا تحققت هذه المرجعية، تحقق التماسك بينهما، أي وفق الشكل التالي².

المناسبة ← العلاقة ← المرجعية ← التماسك

ومن هنا تظهر العلاقة القائمة بين المناسبة كعلم كانت الأولى وقد وضعت في القرون الأولى من الهجرة، وبين علم حديث ظهر منذ ما يقارب أربعة عقود ولم يكتمل بناؤه بعد.

فلا يخفى علينا إذا مدى الارتباط الوثيق والأهمية الكبرى لوظيفة المناسبة، حيث أنها تعمل على تحقيق الارتباط بين عناصر النص، وهذه هي المهمة الأولى والرئيسية التي أقيمت من أجلها لسانيات النص.

إذن المناسبة تحقق التماسك بين الآية وما تسبقها من آيات أخرى ومدى ارتباط هذه الآية بعضها ببعض، ومدى مناسبة الآيات الأولى من سورة لأواخرها، وكذا مناسبة موضوعات السورة ببعضها مع بعض ... إلخ، وهذا ما سنتطرق إليه وفي دراستها لسورة المائدة.

¹ صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص: 93.

² المرجع نفسه، ج01، ص: 99.

د- التحليل النصي للسورة :

في البداية يجدر بنا أن ننبه إلى أن دراسة المناسبة في القرآن الكريم ينقسم إلى قسمين في النظر إلى السورة، فالأول يدرس المناسبة على مستوى أكثر من سورة، ومهمته هو إبراز تحقق التماسك النصي، لا على مستوى السورة منفردة، ولكن على مستوى أكبر من ذلك، ألا وهو على مستوى القرآن عامة، وهذا ولكون دراستنا تقتصر على إبراز كيفية تحقيق التماسك والانسجام على مستوى سورة المائدة منفردة وكيف هي لحمة واحدة ونصا مترابط الأجزاء، نورد ما يدرسه القسم الثاني من المناسبة وهو: المناسبة على مستوى السورة المفردة، بداية من اسم السورة إلى بدايتها ثم مضمونها وموضوعاتها وبعد ذلك خاتمتها ولكل هذه الأقسام مناسبات ارتبط بعضها ببعض، نحاول الكشف عنها من خلال تحليلنا هذا، لنصل إلى الكيفية التي انسجمت بها هذه السورة المباركة .

_ أولا: المناسبة بين اسم السورة وحدث مذكور فيها:

عنوان النص بصفة عامة أول ما يواجه المتلقي أو المحلل، ومن ثم تعد مكانة العنوان عالية في إبراز التماسك النصي، فلا بد لنا في النظر إلى اختصاص سورة المائدة بهذا الاسم، فسورة المائدة تتحدث عن الوفاء بالعقود، فما الذي يربط بينها وبين المائدة؟ فحملت سورة المائدة اسمها هذا نسبةً لأحد المعجزات التي أتى بها سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام إلى قومه الحواريين عندما طالبوه بأن يأتي لهم الله سبحانه وتعالى بمائدة تنزل من السماء إليهم، حتى يأكلوا منها وتطمئن قلوبهم ويؤمنوا به وبما جاء به، وبالفعل حقق الله تعالى مطلبهم، وأنزل المائدة لكنه توعد لهم بالعذاب الأليم في حال كفرهم بعد إنزال المائدة.

_ ثانيا: المناسبة بين افتتاحية السورة وموضوعاتها:

هناك ترابط بين افتتاحية السورة وبين موضوعاتها، ففي البداية قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۗ﴾، أي العهود التي أخذها الله عليكم وفي وسط السورة: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۗ﴾ أي من أحكام الحلال والحرام،

لتختتم السورة بـ: ﴿ يَوْمَ سَجَمُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ^ط ﴾ لأهمية ذكر يوم القيامة في الحثّ على الإيفاء بالعهد لتختتم السورة بقوله تعالى: ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ^ع ﴾ والصادقون هم الذين يوفون بعقودهم مع الله ومع الناس .

وبذلك ترى أن الانسجام قد تحقق من خلال العلاقة والتناسب بين ما وجد في الافتتاحية وبين المواضيع التي تحدثت فيها السورة، فأحدثت بذلك ترابطاً ونوعاً من التعالق والتلاحم بين الأفكار وحققت تماسك المضمون في سورة المائدة .

ـ **ثالثاً:** المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها :

إنّ تعدد الجمل وكثرة الفقرات في كثير من النصوص يؤدي بنا إلى نسيان مطلع هذا النص، وحينئذ يأتي النص بخاتمة تُذكر بمطلعه، وذلك قد يكون نتيجة تكرار معنى ذكر مطلع هذا النص أو بذكر جمل في هذه الخاتمة تكون مفسرة لما هو موجود في المقدمة، أو غير ذلك من العلاقات التي تربط بداية النص بنهايته، محققة بذلك تماسكاً نصياً، وانسجاماً دلالياً، وإذا نظرنا إلى سورة المائدة وجدنا المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها حيث :

بدأت السورة بقوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ^ع ﴾ الآية (01)

وختمت بقصة عيسى عليه السلام مع الحواريين والتي جاء فيها قوله تعالى: ﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ ^ط فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿ ١١٥ ﴾ الآية (115)، فهذه الآية الأخيرة آية محورية ؛ أي من ينقض العهد بعد إنزال المائدة، فارتبطت قصة المائدة بكل من طلبوا آية من الله تعالى فأعطاهم ربهم ما طلبوا وأخذ عليهم عهداً شديداً، إن نقضوه فسوف يعذبهم عذاباً شديداً .

هذه بعض المناسبات بين افتتاحية السورة وخاتمتها تثبت التماسك النصي لهذه السورة، متمثلة في ذلك الترابط والتلاحم بين البداية والنهاية، مساهمة في إبراز نصية النص .

هذه من أهم المناسبات بين أجزاء السورة ومقاطعها، فمن خلال هذا الجزء المقدم، الخاص بالمناسبة، وعلاقتها بلسانيات النص، ودورها في تحقيق الترابط الدلالي على مستوى سورة المائدة تحقق الانسجام بين أجزاء هذا النص القرآني، كونها تمثلت في نداءات للمؤمنين شكّل كلّ واحد منها محورا له علاقة بما سبقه في هذه السورة، وهذا ما تبين لنا من خلال دراسة المناسبة بين مقاطع هذه السورة .

وبذلك تتأكد إضافة عنصر المناسبة إلى الأنماط والآليات التي يتم الكشف من خلالها عن تماسك النصوص، حيث أنّ لها الأهمية الكبرى في تحقيق التعالق والتلاحم بين أجزاء السورة الواحدة، وتبرز أهمية الانتقال في التحليل اللساني من الإطار التقليدي -نحو الجملة- إلى الإطار الذي يدرس النصّ بكونه وحدة التحليل الأساسية.

بعد هذه المحطات العلمية والفصول اللغوية التي وقفنا عندها على ثنائية الاتساق والانسجام في سورة المائدة، انطلاقاً من اعتبار هذه الأخيرة نصاً واحداً، كان لا بد أن نستعرض أهم النتائج التي تمّ التوصل إليها، والتي يمكن إيجازها في النقاط التالية:

_ يمكن اعتبار لسانيات النصّ أحدث فروع علم اللغة، وبعد مرحلة انتقالية من محورية الجملة في الدراسة إلى اعتبار النصّ الوحدة المركزية، لأنه لا يمكن فهم المعنى دون سياقه الذي وضع فيه.

_ هناك اختلاف كبير في تحديد مفهوم "النص"، حيث اكتسب دلالات مختلفة نتيجة تعدد الاتجاهات والنظريات والمدارس اللسانية، مما أدى بالباحثين إلى التباين في إمكانية وضع مفهوم للنصّ يجتمعون عليه، لكن رغم هذا يمكن اعتباره: وحدة أو تشكيل نظمي قابل للتحليل لكشف تماسكه.

_ لقد كان للعرب إسهام مباشر، وغير مباشر في الدراسة النصّية، إذ إنّ الدراسة أكدت أنّ في التراث اللغوي (البلاغي-النحوي) والتراث النقدي، وعلم التفسير وعلوم القرآن، ما يؤكد العلاقة بينها وبين لسانيات النصّ في الوقت الحالي، غير أنّه لم يكن ليصبح علماً متكامل الأركان، ولم يصلح لتكوين نظرية نصّية مستقلة ذات قواعد ووسائل وأهداف بل كان في أغلبها إشارات قد تطول وقد تقصر.

_ وكما وقع الاختلاف في مفهوم النصّ كذلك إذ نجد أنّه قد كان هناك خلط بين المصطلحين الأساسيين في لسانيات النصّ "الاتساق" و"الانسجام"، لكن يكاد يجمع الباحثون على أنّ الاتساق يتحقق في ظاهر النصّ بالنظر في الأدوات الشكلية والروابط النصّية التي تسهم في تعاليق الأجزاء والوحدات المختلفة للنصّ حتى تمنح النصّ نوعاً من التلاحم والتماسك عن طريق أدوات معينة يكاد يتفق الدارسون على بعضها، منها الإحالة والربط عن طريق العطف والحذف والتكرار.

_ أمّا الانسجام فهو مجموع العلاقات الخفية التي تحقق التماسك الدلالي، وهذا ما يؤدي بالباحث إلى الاعتماد على عناصر غير نصّية تساعده على كشف هذا الترابط من خلال السياق ومعرفة البنية الخطابية والتغريض والمناسبة بين المقاطع.

_ إن أدوات الاتساق وآليات الانسجام التي اعتمدها الدارسون في دراساتهم من أجل إبراز التماسك الشكلي والدلالي للنص كثيرة ومختلفة من باحث لآخر وليست نهائية ولا ثابتة، لكن هناك حدًا أدنى من الاتفاق حول أهم هذه الأدوات التي تسهم في تحديد البنية الكلية للنص.

_ لم تكن هناك أية قطيعة بين الدراسة النظرية وتطبيقاتها على أي من النصوص، كون المادة النظرية لهذا العلم بعيدة عن الخلط والغلو، مما أمكن تطبيقها على أرقى النصوص وهو النص القرآني.

_ لقد أسهمت أدوات عدة في التماسك الشكلي لسورة المائدة، كان أبرزها: الإحالة بنوعيتها القبيلة والبعدية، وقد كان منها ما يخص السورة بأكملها، فعمل على اتساق مقاطع السورة بعضها ببعض، وكان منها ما عمل على تماسك مقاطع معينة أو داخل كل مقطع لوحده.

_ من الأدوات التي أسهمت في اتساق السورة أيضا "الحذف"، فكان منه حذف الاسم والفعل والجملة وأكثر من جملة، فاتضحت أهمية الحذف بأنواعها في اتساق سورة المائدة.

_ بالإضافة إلى العطف، الذي يعد من أهم الأدوات تحقيقا للاتساق، كون النص عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطيا، ولكي تُدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة، فكان العطف أحد هذه العناصر.

_ وكذلك التكرار والذي تميزت سورة المائدة ببعض منه، ومنح لها خصوصية وساهم في اتساق العبارات والآيات ووحدات السورة.

_ أما كيفية إبراز العلاقات الدلالية للسورة فقد كانت عن طريق آليات منها:

_ السياق النصي للسورة ولآية وللمقطع، وكل هذا أبرز لنا جزء من التماسك الدلالي لسورة المائدة.

_ دور المتلقي في الحكم في على تماسك هذه السورة أيضا من خلال كشف البنية الخطابية للسورة، إذ أن المتلقي ذا دور واضح في التحليل النصي.

_ أيضا التغيري الذي يبين لنا العلاقة بين العنوان ومحتوى هذه السورة بموضوعاتها المختلفة فوجدنا أن هناك نوعا من العلاقة الخفية بينهما.

_ وآخر وسائل كشف انسجام سورة المائدة كان عبارة عن وسيلة لم يذكرها النصيون باستثناء محمد خطابي وصبحي إبراهيم - بل ذكرت عند العلماء القدامى، على سبيل النظر إلى المناسبة بين الآيات والسور، وما أضيف إليها في الوقت الحالي وهو مهمة هذه الوسيلة (المناسبة) في تحقيق التماسك الدلالي النصي، بكشف العلاقات الخفية الرابطة بين الأجزاء والوحدات المختلفة للسورة وهو ما لوحظ على سورة المائدة.

ومن خلال كل هذا تبين لنا الكيفية العجيبة التي ترابطت من خلالها سورة المائدة شكليا ودلاليا، فهي تزخر بالعديد من أدوات الاتساق التي ساهمت في ترابطها، ومن خلال العديد من آيات الانسجام ثم الكشف عن ذلك التلاحم الخفي بين دلالاتها، فالاتساق والانسجام يعد الحجر الأساس في لسانيات النص ولذلك ليس غريبا أن تكون هذه الدراسة بمثابة منهج لساني جديد يبحث عن أهم مواطن الجمال داخل النصوص المختلفة وخصوصا منها النص القرآني.

قائمة المصادر والمراجع

_ القرآن الكريم

قائمة المصادر والمراجع :

1. إبراهيم أصيان، السياق بين علماء الشريعة والمدارس اللغوية الحديثة، الإحياء، 25 (جمادي الثانية 1428هـ - يوليو 2007م).
2. ابراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1997.
3. ابراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 1426هـ-2007م.
4. ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط04، 1426-2005م.
1. ابن جني ، الخصائص ، تح : محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ، ج 1 .
2. ابن جني ، الّمع في العربية ، تح : حسين محمود شرف، عالم الكتب، بيروت ، ط 2، 1979 .
3. ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط03، 1997، ج1.
4. ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، 1982 م ج1.
5. ابن علي بن يعيش ، شرح المفصل ، ادارة الطباعة المنيرية ، (د،ط) ، (د.ت).
6. ابن منظور: لسان العرب، الدار المتوسطة للنشر والتوزيع، تونس، ط01، 1426هـ-2005م، ج04.
7. -ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ج 2، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1964.
8. ابن يعيش ، شرح المفصل ، عالم الكتب ، بيروت ، القاهرة ، ج 3 .

9. أبو بكر الباقلائي، إعجاز القرآن، تح: أحمد صقر، دار المعارف القاهرة، ط03، (د.ت) .
10. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرح السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، المدينة النبوية، ط03، 1971.
11. أبوتمام الطائي، ديوان أبي تمام بشرح التبريزي، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ج 3.
12. أبي محمد القاسم السجلماسي ، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، تح : علال الغازي ، مكتبة المعارف ، الرباط ، 1980 م .
13. أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرف، القاهرة، ط1، 2001م.
14. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1998.
15. الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث فيما يكون به اللفظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993م.
16. أمير عبد العزيز، دراسات في علوم القرآن، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، ط02، 1408-1988م.
17. البدرابي زهران ، ظواهر قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء والمحدثين ، دار المعارف ، القاهرة ، ط2 ، 1993 .
18. برهان الدين البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 1995.
19. تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط2 ، 2000م ، ج 1.
20. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط03، 1418هـ-1998م.
21. الجاحظ ، البيان والتبيين ، دار الفكر ، بيروت ، (د.ط).
22. الجرجاني، أسرار البلاغة، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط02، 1420-1999م.
23. الجرجاني، دلائل الإعجاز، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، 1424-2003.

24. الجرجاني ، **الجمال** ، تح : علي حيدر ، دمشق ، 1972 م .
25. جلال الدين السيوطي ، **معترك الأقران في إعجاز القرآن** ، تح : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1988 ، مج 2 .
26. جلال الدين السيوطي، **الاتقان في علوم القرآن**، **المكتبة الوقفية**، بيروت، (د.ط)، 1973، ج1.
27. الخليل بن أحمد الفراهيدي، **كتاب العين**، تح: مهدي المخزومي، ابراهيم السامرائي، دار ومكتبة هلال (د.ط) (د.س)، ج7.
28. جميل عبد الحميد، **البدیع بین البلاغة العربية واللسانيات النصية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د.ط)، 1998م.
29. جميل عبد المجيد، **علم النص أسسه المعرفية وتجلياته النقدية**، عالم الفكر، العدد: 2 ، مج32 ، (أكتوبر 1 ديسمبر 2003) .
30. حازم القرطاجني، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، (د.ط)، 1986.
31. حسام البهنساوي، **اهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث**، مكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، (د.ط)، 1994.
32. حسين النصار ، **إعجاز القرآن - التكرار -**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 2003 م .
33. خولة طالب إبراهيم، **مبادئ في اللسانيات**، دار القصة للنشر، حيدرة، 5د.ط0، 2000م.
34. رابح دوب، **البلاغة عند المفسرين**، ص: 402-412، نقلا عن: نوال لخلف، **الانسجام في القرآن الكريم**.
35. رضي الدين الاسترياضي، **شرح كافية ابن الحاجب**، تح: حسن محمد ابراهيم الحفيظي.
36. ريماء سعد سعادة الجرف، **مهارات التعرف على الترابط في النص**، مجلة رسالة الخليج العربي، العدد 7 ، د.ت .
37. الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت.

38. الزمخشري ، الكشاف ، تح : عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط 1 ، 1998 .
39. سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة فس قصيدة جاهلية، مجلة فصول، ج1، مج10، عدد2،1، يوليو 1991.
40. سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ط 32 ، 2003 ، مج 2 .
41. صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء القاهرة، ط1، 2000 ج1.
42. صلاح الدين صالح حسنين ، الدلالة والنحو ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط 1 ، 2005.
43. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، الجيزة، مصر، ط1، 1996.
44. ضياء الدين بن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تح : أحمد الحوفي - بدوي طبانة ، نهضة مصر ، القاهرة ، ج 3 .
45. طاهر سليمان حمودة ، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر ، 1999 .
46. طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط2، 2000.
47. عباس حسن ، النحو الوافي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 6 ، (د.ت) .
48. عبد الرحمن البرقوقي ، شرح ديوان أبي الطيب المتنبى ، دار الكتاب العربي ، بيروت، ط 1 ، 1986 م .
49. عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1986م.
50. عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، (د.ط)، 1418-1998م.

51. عبد المالك مرتاض، النص الادبي من أين؟ وإلى أين؟، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، 1983.
52. عبد المالك مرتاض، نظام الخطاب القرآني، تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمان، دار هومة، الجزائر، 2001.
53. علي عزت، الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، شركة أبو الهول للنشر، القاهرة، ط01، 1996م .
54. عمر أبو خرمة، نحو النص، نقد نظرية وبناء أخرى، عالم الكتب الحديث، أريد، الأردن، ط01، 1425-2004م.
55. فتحي رزق الله الخوالدة، تحليل الخطاب الشعري، ثنائية الاتساق والانسجام، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006.
56. الفيروز آبادي ، القاموس المحيط مادة (و س ق) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 8 ، 2005 .
57. القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، تح : عبد الله التركي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 1 ، 2006 ، ج 7 .
58. كريم البستاني وآخرون، المنجد في اللغة والاعلام، دار المشرق، بيروت، ط39، 2002.
59. المبرد ، المقتضب ، تح : محمد عبد الخالق عزيمة ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، (د.ط) ، 1399هـ ، ج4 .
60. المثني عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني، دراسة تأصيلية دلالية نقدية، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط01، 1429هـ-2008م.
61. محمد الشاوش ، أصول تحليل الخطاب ، المؤسسة العربية للتوزيع ، تونس ، 2001 ، ط 1 .
62. محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير ، دار التونسية للنشر ، تونس ، 1984 .

63. محمد العبد، اللغة والإبداع الأدبي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط01، 1989.
64. محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، ادار البيضاء، 1999.
65. محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، (د.ط)، 1993.
66. محمد بن مالك - ابن الناظم - ، شرح ابن الناظم ، تح : عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت .
67. محمد حماسة عبد اللطيف ، بناء الجملة العربية ، دار غريب ، القاهرة ، 2003 .
68. محمد خطابي، لسانيات النص- مدخل الى انسجام الخطاب- المركز الثقافي العربي، بيروت، ط01، 1992.
69. محمد علي الصابوني ، مختصر تفسير ابن كثير ، دار القرآن الكريم ، بيروت.
70. محمد عمر بازمول ، شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ، الدار الأثرية ، عنابة ، الجزائر ، ط 1 ، 2003 .
71. محمد مفتاح، التشابه والاختلاف نحو منهجية شمولية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 1999.
72. محمود أحمد نحلة ، مدخل إلى دراسة الجملة العربية ، دار النهضة العربية ، بيروت (د،ط) ، 1988 .
73. مصطفى بن العدوي، التسهيل لتأويل التنزيل (سورة المائدة) ، مكتبة مكة ، 2004.
74. مفتاح بن عروس ، الاتساق والانسجام في القرآن ، رسالة دكتوراه دولة ، كلية الآداب واللغات ، جامعة الجزائر ، 2007-2008 .
75. مفتاح بن عروس ، حول الاتساق في نصوص المرحلة الثانوية (مقارنة لسانية) ، مجلة اللغة والأدب ، العدد 12، الجزائر : جامعة الجزائر ، ديسمبر 1997 .

76. مفيد قميحة، **المعلقات العشر**، شرح ودراسة وتخليل، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط05، 2002.
77. مهدي المخزومي ، **في النحو العربي نقد وتوجيه** ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ط 2 ، 1986.
78. نور الدين السد، **الأسلوبية وتحليل الخطاب**، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 1417هـ-1997.

كتب مترجمة :

1. براون ويول، **تحليل الخطاب**، تر: محمد لطفي الرابطي ومنير التركي، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، (د.ط، 1417هـ-1997م).
2. جوليا كريستسفا، **علم النص**، تر: فريد الزاهي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط02، 1997.
3. روبرت دي بوجراند ، **النص والخطاب والإجراء** ، تر : تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 1 ، 1998.
4. فولفجانج هانيه من و ديترفيهيجر ، **مدخل الى علم اللغة النصي**، تر: صالح فاتح الشايب، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، (د.ط)، 1997م.
5. كلاوس بريتك، **التحليل اللغوي النصي**، تر: سعيد حسن بحتري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط01، 1425-2005.

الرسائل الجامعية :

1. ردة الله الطلحي، دلالة السياق (رسالة دكتوراه في اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1423هـ).
2. فهد الشتوي، دلالة السياق واثرها في توجيه التشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام، (رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1426هـ-2005م).
3. محمود بوسنة ، الاتساق والانسجام في سورة الكهف ، رسالة ماجستير ، غير منشورة، جامعة باتنة ، 2008-2009 .
4. نوال لخلف، الانسجام في القرآن الكريم، سورة النور انموذجا، رسالة دكتوراه في الأدب العربي قسم اللغة العربية آدابها، جامعة الجزائر، 2006/2007.

المجلات :

- 1.السعيد بوسقطة، مجلة التواصل، شعرية النص بين جدلية المبدع والمتلقي، مجلة علمية محكمة، جامعة عنابة.
- 2.سليمان بوراس ، (مفهوم الاتساق والانسجام وأشكالهما) ، دراسات أدبية⁴، (نوفمبر 2009).
- 3.عبد الرحمن بودرع، أثر السياق في فهم النص القرآني، الإحياء، 25، (جمادي الثانية 1428هـ- يوليو 2007م).
- 4.محمد الولي، السياق إشكالية قديمة في أضواء جديدة، الإحياء، 25، (جمادي الثانية 1428هـ- يوليو 2007م).

قائمة المصادر والمراجع الأجنبية :

1. David Crystal ,**the Cambridge encyclopedia of language** .
2. Halliday ,M.A.K and R.Hassan, **cohésion in English**,longman,London, 1976 .
3. OXFORD , (Advanced learner' s Encyclopedia) , (OXFORD : oxford University Press , 1989) .
4. Robert Micro. Alain Roy et auter. dictionnaire le Robert paris- Montréal 2 édition.1998.

مواقع الأنترنت :

1. <http://www.chihab.net/modules.php?name=News&file=article&sid=389>
2. www.CHIHAB.net/module.php
3. مسعود صحرأوي ،
<http://www.chihab.net/modules.php?name=News&file=article&sid=389>

الفهرس

الصفحة	الموضوع
أ	مقدمة
	الفصل الأول: مفاهيم لسانية
07	I- من الجملة إلى النص
16	II- مفهوم النص
17	1- المفهوم اللغوي
20	2- النص إصطلاحا
26	III- مفهوم لسانيات النص
29	IV- أهداف لسانيات النص
30	V- القدمات والدراسات النصية
32	1- التراث اللغوي
40	2- التراث النقدي
45	3- النظرة الدينية
	الفصل الثاني: الاتساق وتجلياته في سورة المائدة
55	I- مفهوم الاتساق
55	تمهيد
55	1- لغة
58	2- اصطلاحا
61	II- أدوات الاتساق في سورة المائدة
63	1- الإحالة
63	1_1_ مفهوم الإحالة
64	1_2_ أنواع الإحالة
70	1_3_ التحليل النصي للسورة
87	2_ الحذف
88	2_1_ مفهوم الحذف
89	2_2_ أنماط الحذف
91	2_3_ علاقة الحذف بالإحالة

92	2_4_ علاقة الحذف بالاستبدال
94	2_5_ كيف يتحقق الاتساق م خلال الحذف ؟
95	2_6_ التحليل النصي لسورة المائدة من خلال ظاهرة الحذف
101	3_ العطف
101	3_1_ مفهوم العطف
101	3_2_ العطف عند القدمات
106	3_3_ العطف عند النصانيين
108	3_4_ التحليل النصي لسورة المائدة من خلال ظاهرة العطف
114	4_ التكرار
115	4_1_ مفهوم التكرار
117	4_2_ التكرار بين البلاغيين العرب والنصانيين
118	4_3_ أنواع التكرار
120	4_4_ وظائف التكرار وأغراضه البلاغية
121	4_5_ التحليل النصي لسورة المائدة من خلال التكرار

الفصل الثالث: الانسجام وتجلياته في سورة المائدة

128	تمهيد
129	1- مفهوم الانسجام
129	1_1_ لغة
129	1_2_ اصطلاحا
134	2- آليات الانسجام
139	2_1_ السياق
139	أ_ مفهوم السياق
142	ب_ أنواع السياق في القرآن الكريم
144	ج_ التحليل النصي للسورة
150	2_2_ بنية الخطاب
151	أ_ دور المتلقي في الحكم على انسجام النص
151	ب_ خصائص البنية الخطابية
152	ج_ البنية الخطابية في سورة المائدة

156	2_3_التغريض
156	أ_ مفهوم التغريض
158	ب_ العلاقة بين اسم السورة ومحتواها
160	2_4_ المناسبة
160	أ_ تعريف علم المناسبة
162	ب_ أول من ألف في علم المناسبة
163	ج_ فائدة علم المناسبة و أهميته في تماسك النصوص
166	د_ التحليل النصي للسورة
170	الخاتمة
174	قائمة المصادر والمراجع

يقول القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني
، في رسالته إلى العماد الأصفهاني
يراجع كشف الظنون و أجد العلوم
، إنني رأيت أنه ما كتب أحدكم في يومه كتاباً إلا قال في عديهِ
، لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد ذلك لكان يستحسن
، ولو قديم هذا لكان أفضل، ولو ترك ذلك لكان أجمل
، وهذا من أعظم العبر
، وهو دليل على استيلاء التفصيص على جملة البشر.

ملخص البحث :

مع التطور الحاصل وانتقال محورية البحث اللساني متجاوزة الجملة إلى البنية اللغوية الكبرى " النص " ، نشأ علم جديد يهتم بدراسة النصوص وتحليلها وهو ما يعرف اليوم بلسانيات النص ، ومن أهم المفاهيم التي عنيت بها لسانيات النص مفهوم الاتساق والانسجام ، فهما من أهم المسائل التي تطرحها لسانيات ما بعد الجملة ، ومن أهم القضايا التي لقيت اهتماما كبيرا من علماء العرب والمسلمين في دراستهم للنص القرآني ، من أجل إبراز التماسك الشكلي والدلالي له من جهة وردا على كل من يذهب به رأيه إلى أن القرآن الكريم كتاب غير منسجم ، ويفتقد للأسس النصية ، كما كان الحال في سورة المائدة التي قيل عنها ما عن القرآن ، إذ قيل عنها أنها لا رابط يجمع محاورها ، فكان هذا البحث للرد على هذه الافتراءات بإبراز مدى ترابطها شكلا ودلالة من خلال دراسة آليات الاتساق والانسجام والتي كشفت عن تماسك شكلي وتلاحم دلالي خفي فيها.

Avec l'evolution et la transmission de pivot duRecherchelingualesurpassant la phrase pour unestructure linguistique majeure "le texte", il a grandiune nouvelle science qui s'intéresseà étudier et à analyser les textes, qui estconnueaujourd'hui par linguistiquetextuelle, et les concepts les plus importantesqueenglobe on al'harmonie, qui estparmi les questions les plus importantessoulevéespar la linguistiquetextuelle, et les questions les plus importantes qui ontreçuune attention considérable de la part des scientifiquesarabes et musulmansdansleurétude du textecoranique, afin de mettre en évidence la cohérenceformelle et sasémantiqued'une part et uneréponse à chaqueapostat qui ditque le Coranest un livreincohérant, et manque les bases du texte, commeilétait le casdans le Surat "Maida" quel'on a donné le meme jugement, commeétait un Surat qui manque un lien combine entre ses axes de base. Cetterechercheestfaitepour répondre à cescalomnies en mettant en évidencel'ampleur de sainterdépendancedans la forme et la signification à travers l'étude des mécanismes de l'harmonie qui a révéleunecohésionformelle et uneautresémantiqucachées en eux.